

کتابی

الکتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية



ماہی سراد

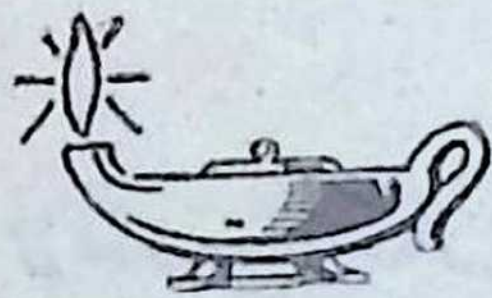
حسناء من اندونسیا

للفنان الاندونسی "بازوکی عبداللہ"

لوحة

كتابخه

كتاب شهرى لنديحص الكتب الصائمية
يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحرير: حلمى مراد



الكتاب الواحد والتسعون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل
الإدارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة)

مجموعة كتابي

(الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها واحد وتسعون كتابا، يضاف اليها كتاب جديد في اول كل شهر.

مطبوعات كتابي

(الترجمة الكاملة الامة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها اربعة وخمسون كتابا (ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

• تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابي » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابي في ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الاخرى والبلاد الاجنبية على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها في مصر . علما بأن سعرها في مصر ولن شاء أن ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم .

• ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات في مصر باذن بريد عادي . وللمشتركون في البلاد الاخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤ مليما ، فالاشتراك السنوي ١٨ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

- الأزوابع التي أثارها أدب ((لورنس)) : تحقيق أدبي ،
 للمحرر ٦
- عشيق الأيدي تشاتراي : القصة التي أثارت أكبر
 ضجة في الدوائر الأدبية العالمية خلال عام ١٩٦٠ ،
 للأديب الانجليزي الكبير ((د. ه. لورنس)) . ٣٥
- أضاله الهوى : حلقة جديدة من سلسلة « نساء
 ومآس في ساحة العدالة » ، للمؤرخ المحقق
 ((روجيه ريجي)) ٩٩
- الحب . . أبدى ! : قصة المرأة التي دفعت ((ابراهيم
 لنكولن)) الى كرسى الرئاسة ، للكاتب المعاصر
 ((ارفنج ستون)) ١١٥
- المنبوذ : قصة من روائع اديب الهند الكبير
 ((رابندرانات تاغور)) ، تلخيص : المحرر . ١٥٩
- كتب جديدة ، من الغرب والشرق : (عرض لأحدث
 الكتب - أخبار الحركة الأدبية في العالم) : رسالة
 باريس ، للدكتور أنور لوقا . رسالتا لندن
 ونيويورك ، تقديم : على شلش . من الكتب
 العربية .. الخ ١٧٥
- نشوء الفكرة القومية ، (في اوربا عامة ، وألمانيا ،
 والبلقان ، وتركيا ، والبلاد العربية) : للفيلسوف
 العربي المعاصر ((ساطع الحصري)) ٢١٣

القصة التي حكم ببراءتها ..

بعد مصادرة استمرت ٣٣ عاما !

((لو كانت لى ابنة فى سن الزواج ، لما تركتها تعقد خطبتها -
ما استطعت - حتى تقرأ هذا الكتاب .. ان قصة ((ليدى
تشارلى)) ينبغي أن توضع فوق أرفف كل مدرسة للبنات
المراهقات .. ويجب أن تجبر الفتيات على قراءتها ، والا حرمن
من الحصول على ترخيص بالزواج !))

((برنارد شو))

عزيزى القارئ ..

قد يدهشك أن تقرأ هذا الرأى ، للكاتب الايرلندى الذى
كان ((لاورنس)) يمقته ويهاجمه فى كل مناسبة .. ومع ذلك
لم يمنعه هذا العداء الشخصى من أن ينصف الرواية التى
راها جديرة بالانصاف !

بل قد يدهشك ان يصدر هذا الرأى من ((برنارد شو)) ،
وهو الذى بلغ من تزمته فى شأن ما يمس الاخلاق انه احرق
نسخة كان قد اهداه اياها الكاتب ((فرانك هاريس)) من
كتابه المشهور « حياتى ، وغرامياتى » ، خشية أن تقع فى
يد خادمة بيته !

واذا أردت مزيدا من المفارقات التى تظهر مدى تشير
احكام المجتمع والرأى العام على الاعمال الأدبية والفنية بين
جيل وجيل ، وبلد وبلد .. فاليك طائفة من الامثلة التى قد
تبدو لك اليوم بعيدة عن التصديق ، وان كانت جميعا
« حقائق » تاريخية ثابتة :

فرواية **شكسبير** الخالدة « هاملت » ، كانت في عصر « كرومويل » تصدم مشاعر طائفة « البيوريتان » المتزمتة المعروفة !

وكان **تولستوى** في فترة من حياته يصرح بأنه لو ملك السلطان ، لأحرق أو صادر أكثر مسرحيات شكسبير ! وتولستوى نفسه ، كانت بعض كتبه - وفي مقدمتها تحفته الخالدة « انا كارنينا » - موضع الاضطهاد والمطاردة في وقت من الاوقات !

و « **فلوير** » ، ألم يقدم الى المحاكمة في فرنسا بسبب قصته التي يمجدها العالم اليوم : « مدام بوفارى » ؟ .. بل **وبازاك** ! .. ألم يقف السناتور الامريكى « ريد سموت » في مجلس شيوخ بلده (الكونجرس) في مارس عام ١٩٣٠ ليندد باباحية « بلزاك » ويطالب بفرض الرقابة على مؤلفاته ؟

ومسرحيات اديب الاغريق الفذ « **اريسستوفان** » - (مؤلف : الضفادع ، والطيور ، والحشرات ، والسحب ، والسلام ، والفرسان ، وليسستراتا .. الخ) - ألا تصدم مشاعر بعض ذوى الأفق المحدود ، حتى يومنا هذا ؟

وقصة (جين اير) - التي تدرس اليوم للمراهقين والمراهقات في المدارس - ألم يقل فيها « د. ه. لورنس » نفسه في مقاله المشهور الذى جعل عنوانه « الادب المكشوف وادب الفحش والبذاءة » .. ما يلى بالحرف الواحد : « وان كنت اعترف بأن « **شارلوت برونتى** » لم تتعمد اثارة المشاعر الجنسية فى القارىء ، فانى أجد قصتها (جين اير) تنحو منحى الأدب المكشوف ، أكثر مما ينحو « **بوكاشيو** » فى اقاصيصه .. فقد كانت شارلوت برونتى فى حالة انهيار فيها أقوى الفرائز ، فبات الجنس عندها شيئاً بديئاً ، محتقراً .. ولا تغدو العاطفة الجنسية عند بطل القصة

« مستر روشستر » عاطفة « محترمة » إلا بعد أن يحترق الرجل ، ويصاب بالعمى ، والتشويه ، ويصبح عاجزاً ، بلا حول ولا طول .. عندئذ فقط ، بعد كل هذه المهانة والمذلة ، تصبح عاطفته الجنسية شيئاً معترفاً به ! «

و « ابسن » - خالق المسرح الحديث غير منازع - لم يسلم بدوره من تهمة الفحش والابتذال ، فتعرض انتاجه الخالد لحملات غير قليلة من هذا النوع ..

و « زولا » ، زعيم مدرسة الأدب « الطبيعى » - التى سبقت مدرسة الأدب « النفسى » الحديث - ألم تعتبره انجلترا رمزا للأدب المكشوف ، وتحكم على ناشر كتبه بالسجن والغرامة ؟

وملحمة « جيمس جويس » المعاصرة المشهورة « أوليسيس » - أو « عولس » ، نسبة الى بطل « أوديسة » هوميروس - .. ألم يلاحقها الاضطهاد أعواماً ، بل ويصفها « د . ه . لورنس » نفسه بأنها « كتاب غير نظيف » ، من فرط ما تتمرغ بطلته « موللى بلوم » وسنانة فى فراشها ، وهى تجهد وعيها بحثاً عن أطول عبارات الابتذال التى عرفتھا اللغة الانجليزية .. الى أن أدركتها رحمة القضاء الانجليزى على يد القاضى « وولسى » فى عام ١٩٣٣ ، فأفرج عنها وبرا ساحتها ، استناداً الى أنها « عمل فنى ، يعكس الحياة .. ولما كانت الحياة تتصف بالخسة أحياناً ، فمن الطبيعى أن يكون العمل الفنى الذى يمثلها ، على صورتها . «

هل كان للسياسة دخل فى اضطهاد لورنس ؟

.. ويطول بنا المقام لو مضينا فى تعداد أمثلة هذه المفارقات ، التى كان آخرها إفراج القضاء الانجليزى منذ أسابيع عن النص الأصيل « غير المذهب » لقصة (عشيق اللىدى تشاترلى) ، بعد أن شهد لصالحها أكبر رجال الأدب والدين ،

وبعد ان ظلت ممنوعة من التداول بنصها الاصلى نحو ثلث قرن . . وبذلك دخلت هذه القصة ومؤلفها - من الباب الضيق - الى رواق الخلود والخالدين !

ولست أريد هنا ان أحدثك عن قصة هذه « المحاكمة » الاخيرة للقصة - التى انتهت بتبرئتها والافراج عنها - فهذه قصة أفاضت الصحف والبرقيات فى سرد تفصيلاتها يوما بعد يوم ، واحسبها ماتزال ماثلة فى ذاكرتك من طول الاعادة والترديد . .

. . وانما أود اليوم أن أزيح لك الستار عن الفصول الاولى - التى دخلت التاريخ - من هذا الصراع الطويل المرير الذى نشب بين الاديب التعس « د. ه. لورنس » وبين أعداء أدبه ومضطهديه من الرقباء . . **وهو الصراع الذى عجل بموته** فى الوقت الذى كان فيه أحوج ما يكون الى راحة النفس والبال كى يقاوم عدوه الداخلى - السلى - الذى أنشب أظافره فى رئتيه . . وقد أشار لورنس الى مأساته هذه فى حديث له مع « ايرل برويستر » فى لقاءهما بجنوب فرنسا قبيل وفاة الاديب بأسابيع ، حين نقر على صدره باصابعه وقال : **« ان الكراهية التى أثارها كتيبى ضدى ترد الى ، وتنشب مخالباها هنا ! »**

. . وسترى ان اضطهاد الرقباء للورنس لم يكن لوجه الأدب والاخلاق وحدهما ، وانما شابته شائبة من النزعات السياسية الاستعمارية ، فقد كان لتنديده - فى احدى رواياته التى حوربت - **بالروح الاستعمارية البريطانية فى حرب (البوير)** ، التى اشتعلت فى جنوب افريقيا بين أهل القارة وبين مستعمرهم الانجليز فى مطلع هذا القرن . . دور ايجابى مستتر إعترف به المعلق الانجليزى « هارى مور » فى كتاب حديث له ، كما سيجىء !

على ان ذلك لاينفى ان مفتاح اية دراسة لأدب « لورنس » ،

هو الاعتراف بادىء ذي بدء بأنه كان على الدوام رائدا « جريئا » لموضوع « الجنس » ، داعية الى معالجته في الأدب والقصة بصراحة علمية ونفسية لم تكن مألوفة في عصره ، قبل شيوع نظريات « فرويد » ..

ذكريات صباه ، تلقى ضوءاً على شخصيته

وقد ظهرت بوادر هذه الجراءة والصراحة عند لورنس قبل ان يكتب بواكير انتاجه الأدبي ، اذ تروى رفيقة صباه ويفاعته « جيسى تشيمبرز » - وهى التى رسم على صورتها شخصية « ميريام » فى قصته المعروفة (أبناء وعشاق) - انهما عندما كانا يقرآن معا مسرحيات « أبسن » بصوت مسموع ، كانت تخجل من ان تنطق بعبارة « يتخذ له خليلات » الواردة فى المسرحية ، فكان لورنس يعنفها ويلومها من أجل هذا « الفرار من الواقع » !

كما روت « أشسا برويستر » - صديقه فى مرحلة تالية من حياته - فى مذكراتها عنه ، ان احد معلميه فى المدرسة وبخه ذات مرة لاستعماله لفظ « الحصان الطلوقة » فى موضوع دراسى كتبه فى الفصل . وحين روى لورنس هذه الحكاية لمستى برويستر وزوجته - والذى صديقه - بعد حدوثها بسنوات ، نكس رأسه كأنما خجلا من أجل الجمهور « الذى لا يستطيع مواجهة الحياة ! »

وقد كان لورنس فى شبابه خاضعا لسلطان أمه ، التى كانت معلمة تنتمى الى طائفة (البيوريتان) المتزمتين ، ولم يكن تزمته مقصورا على رفضها تعلم اللهجة العامية لاقليم (ميدلاندز) التى يتحدث بها زوجها وأصدقاء أطفالها - وقد كان زوجها من بيئة عمال مناجم الفحم ! - وانما جاوز ذلك الى منعها أولادها من التحدث بتلك اللهجة السوقية فى البيت ، وكان من الطبيعى ان تتطلب مثل هذه الأم فى القصص

التي يؤلفها ابنها ان تكون ذات نزعة « طهرية » . . وفي هذا الصدد تروى « جيسى تشيمبرز » في مذكراتها ان لورنس حين جعل بطل روايته الاولى « الطاووس الابيض » يقرر بالبطله ويعتدى عليها ، واطلعت أمه على المسودة الاولى للقصة ، شكت الى « جيسى » معربة عن ألمها لتصرف ابنها ، بقولها : « تصورى ان « ابني » انا يكتب مثل هذه الرواية ! » . . ثم مرضت الأم واشتد عليها المرض فلم تقرأ « البروفة » الاخيرة للقصة ، وماتت قبيل صدور الكتاب في يناير عام ١٩١١ بنحو شهر واحد !

ومما يذكر في صدد نشر هذا الكتاب ، ان لورنس حين فرغ منه ، دفع به الى الناشر المعروف « وليم هاينمان » الذي كان قد « اجتراً » قبل ذلك على نشر كتب « تولستوى » و « ابسن » - وكانا يعتبران يومئذ من المؤلفين الذين تصدم كتبهما مشاعر الجمهور الانجليزى ! - فلما أوشكت مرحلة طبع (الطاووس الابيض) أن تتم ، أعاد الناشر الى لورنس صفحة ٢٣٠ من المخطوط ، طالبا اليه أن يحذف منها فقرة « قد تصادف اعتراضا من البعض » ، ويكتب بدلا منها عددا مماثلا من « الكلمات التي لا تحتل اعتراضا من أحد » !

وكانت تلك اولى المصادمات بين نزعة لورنس المتحررة وبين تقاليد مجتمعه المتزمته . وقد استجاب في تلك المرة لرغبة الناشرين ، لكنه ازداد تشددا معهم في المستقبل ، وقل استعداداه للمساومة ، كما سنرى !

على ان مؤلفات لورنس الاولى - سواء في ذلك قصصه أو دواوينه الشعرية - استقبلت بوجه عام بالمديح والثناء من جانب كبريات الصحف البريطانية والامريكية . . أما النقد فكان موقفهم مغايرا ، اذ توالت تعليقاتهم التي وردت فيها هذه العبارات والنعوت للورنس : « صريح أكثر من المناسب »

١٢ الزوابع التى أثارها ادب « لورنس »

.. « ينحو منحى زولا » .. « منحل » .. « ينزع الى الادب الجنسى » .. الخ .

الناشرون يتحكمون فى انتاجه !

وكانت نتيجة هذه الحملات ان خشى الناشرون من نشر انتاج لورنس كما هو ، بدون تعديل ، فكانوا اذا رفضوا اجراء التعديلات التى يطلبونها ، يعمدون هم أحيانا الى تعديل أو حذف العبارات التى لا تروق لهم . بل لقد تجاوز الأمر هذا النطاق حين قدم لورنس روايته المعروفة (أبناء وعشاق) الى ناشره « وليم هاينمان » ، فقد رفضها بأكملها .. بحجة انها « كتاب غير نظيف » !

لكن ناشر آخر ، هو « دكورت » ، نشر (أبناء وعشاق) فى عام ١٩١٣ . وامتدحها أكثر النقاد ، ولو ان بعضهم انضم الى الناقدين المجهول لصحيفة (نيشن) اللندنية ، الذى أعرب عن نفوره من بطل القصة !

وكانت قصة لورنس التالية - (قوس قزح) - أتعس من هذه حظا ، فقد رفضها الناشر « دكورت » لأنها لم تعجب محررا فى داره يدعى « ادوارد جارنيت » ! وكان جارنيت صديقا للورنس ، وقد اقترح عليه ان يعيد كتابتها بطريقة معينة ، لكن لورنس أبى ذلك .. وأخيرا قبلت دار ثالثة للنشر ، أكبر من تلك - هى دار « ميشوين » - ان تنشر الرواية الحائرة !

وكانت (قوس قزح) ، كما وصفها الناقد المنصف ريتشارد الدينجتون : « ثمرة صبر طويل ، وكتابة - واعادة كتابة - مركزتين .. وما من كاتب يبقئ مجرد كتابة قصة « مكشوفة » يقبل بذل كل هذا الوقت والمجهود ! »

على ان القصة لم تكذتصدر - فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩١٥ - حتى انطلق النقاد يتصايحون : « انها أسوأ من قصص زولا ! »

.. « انها بذئنة » .. « فاجرة » .. « القذارة فيها تطفى على الفن » .. الخ

وانتهت هذه الحملة بأمر صدر في ٣ نوفمبر الى المفتش « ألبرت دريبر » من (سكتلنديارد) بمصادرة الكتاب لدى الناشرين ، فصادر نحو الف نسخة وجدها لديهم ! .. لكن هؤلاء رحموا أعصاب لورنس فلم يخطروه بالملابس المتاعب التي تعرضوا لها . وفي ١٣ نوفمبر عرض النزاع على محكمة (باو ستريت) ، وكان دفاع الناشرين انهم أعادوا المخطوط الى المؤلف مرتين لمراجعته وتعديله ، فقام بالمهمة ، ثم « رفض أن يفعل شيئا آخر ! »

وبعد ان أعرب الناشرون عن أسفهم وقدموا الاعتذار الكافي . أصدر القاضي حكمه بإعدام النسخ المضبوطة في غضون سبعة أيام ، والزامهم بالمصاريف وقدرها عشرة جنيهات . وهكذا ألقى لورنس نفسه « كاتبا فقيرا سوف يظل الناشرون زمنا طويلا يتجنبون التعامل معه وينفرون منه ! » .. فضلا عن المتاعب التي لحقت به بسبب زواجه من « امرأة دخيلة ، من الاعداء » ، اذ كانت زوجته من أصل ألماني ، في وقت كانت فيه إنجلترا مشتبكة في حرب مع ألمانيا ! على ان مصادرة ذلك الكتاب كان وراءها سبب مستتر ، أهم بكثير من تهمة « الادب المكشوف » ، فقد ردد الاديب « ماي سينكلر » في مجالسه - وكان أحد القلائل الذين دافعوا عن كتاب (قوس قزح) في ذلك الحين - ان سبب المصادرة كان « سياسيا » ! .. كما يقرر الباحث « هاري مور » نقلا عن « ريتشارد ألدينجتون » ان **الدافع الحقيقي لمصادرة القصة هو انها تنطوي على نقد لاذع لوجهة النظر الاستعمارية في حرب (البوير) ، الأمر الذي أدى الى اعاقه حركة تجنيد المواطنين للقتال في تلك البلاد، فتراخت بصورة ملحوظة !**

.. وقد تسربت تلك الهمسات والاقاويل المكتومة الى الراى العام العالمى ، حين نشرت احدى صحف نيويورك فى عام ١٩٢٠ مقالا بقلم « جلبرت كانان » صرح فيه بأن « هستيريا الحرب » هى المسئولة عن مصادرة (قوس قزح) ! على ان الضجة التى أثارها الكتاب لم تنته بمصادرته ، فقد وعدت « جمعية المؤلفين » بأن تتبنى قضية (قوس قزح) وتكافح لكسبها .. فى الوقت الذى اقترح فيه بعض اصدقاء لورنس عليه أن يرفع الأمر للقضاء العالى ، لكنه كان مجردا من السطوة والنفوذ ، فلم يأخذ بالنصيحة .. على ان صديقا له - هو « فيليب موريل » ، عضو البرلمان البريطانى ، وعضو حزب الاحرار - **نقدم الى مجلس العموم فى جلسة ١٨ نوفمبر بسؤال فى صدد مصادرة الكتاب** ، ختمه بالتساؤل عما اذا كانت قد اتاحت للمؤلف فرصة ممارسة حقه الشرعى فى دفع التهمة عن نفسه ؟ ! وبعد مناقشات « بيزنطية » استمرت طوال تلك الجلسة وامتدت الى جلسة اول ديسمبر ، اقفل باب المناقشة فى الموضوع ، دون الوصول الى نتيجة ايجابية ! .. وبعد يومين ، صرح لورنس لليدى موريل - زوجة صديقه عضو البرلمان - بأن محاميا كبيرا نصحه برفع دعوى جنحة مباشرة ضد اثنين من النقاد الذين هاجموه ، لكنه عقب على هذه النصيحة بقوله : « ان روحى المعنوية لن تصمد للصراع ، فلقد ضقت ذرعا بهم ، ولن ابذل المزيد من نفسى ، حتى من أجل الانتصار عليهم ! »

سنوات الفقر .. والمذلة

وكان يأمل ان يفر من هذه المحنة الى أمريكا ، لكن المطاف انتهى به الى الإقامة فى اقليم (كورنوال) ، حيث عاش سنتين فى فقر مدقع ، ومذلة ، فضلا عن استهدافه للتجسس

عليه ، ولكافة صنوف الآلام التي تكاثرت عليه . . وفي تلك الاثناء صدرت في أمريكا طبعة متهذبة من (قوسن قزح) ، عام ١٩١٦ . . ولكن فيما عدا ذلك لم يقدم ناشر على إصدار أية قصة للورنس حتى عام ١٩٢٠ ، وان أصدر أحدهم له كتابا « بريئا » في الرحلات ، وديوانا من الشعر ، بعد ان حذف منه ما رأى حذفه ! . . وفيما عدا مجلة « انجليش ريفيو » ، فقد تجاهلته أكثر المجلات وأعرضت عنه !

وزادت من حدة الحملة عليه معارضته لفكرة الحرب ، واعتباره اياها مجهودا عقيما وتضحية لا جدوى منها ، في الوقت الذي كانت فيه انجلترا مشتبكة في الحرب العالمية الطاحنة . . ولم يشفع له ان ابن عم زوجته المدعو « مانفريد فون ريشتوفن » كان أعظم أبطال المعارك الجوية في تلك الايام ، في الجانب الألماني بالطبع . . بل لعل ذلك ضاعف موجة الكراهية له ، وأثار شكوك المسؤولين في وطنيته !

وأخيرا ، في أكتوبر ١٩١٧ ، أمرت السلطات بنقل لورنس وزوجته من منطقة الساحل ، والزمته بأن يتقدموا الى ادارة الشرطة في لندن بانتظام كل فترة معينة . . **كما تزايدت حركة التجسس عليه ومضايقته . . الى ان وجد مخرجا من هذا العذاب بالانتقال الى مسقط رأسه في اقليم (ميدلاندز) ، حيث قضى المدة الباقية حتى انتهاء الحرب ، فقيرا ، محروما من كل فرصة لنشر إنتاجه الادبي .**

. . فلما استطاع مغادرة انجلترا ، بعد توقيع الهدنة العالمية بنحو عام ، فعل ذلك غير آسف ، وكان ذلك آخر عهده بالاقامة المستقرة في وطنه . . ولو انه ادخر المزيد من المساجلات وجولات الصراع مع الرقباء الانجليز للأعوام التالية !

على ان جولته التالية كانت مع السلطات الامريكية لا الانجليزية . . فقد ابتاع منه ناشر جديد يدعى « تومباس

سلتزر « قصته الجديدة » (نساء عاشقات) ، كى ينشرها فى طبعة محدودة للمشتركين فيها فحسب ، فى نوفمبر ١٩٢٠ . بعد ان ظلت القصة حائرة تبحث عن ناشر طيلة أربع سنوات ! . ثم أصدر الناشر طبعة عادية منها فى عام ١٩٢٢ .

القارئة التى جلبت عليه الكوارث !

لكن المتاعب بدأت ذات مساء حين عاد « جون فورد » قاضى المحكمة العليا بنيويورك الى داره فوجد ابنته تقرأ (نساء عاشقات) . واذا ذاك ثارت ثائرتة فحرض جماعة « الكتب النظيفة » وجماعة « مكافحة الرذيلة » على محاربة الكتاب . لكن حملتهم فشلت ، فربح الناشر المعركة ، بل وطالب بتعويض قدره عشرة آلاف جنيه استرلينى ! . وكان عدد من أطباء نيويورك قد أدلوا بشهادتهم لصالح الكتاب ، فأصدر القاضى حكمه الذى ورد فيه « ان لورنس يحاول جادا اكتشاف القوة الدافعة للحياة . »

وبمضى الايام وتباعد ذكرى الحرب واجراءاتها الاستثنائية، خفت القيود وازداد التسامح والحرية ، فكلفت جامعة اكسفورد «لورنس» - فى مارس عام ١٩٢١ - بأن يؤلف لها كتابا دراسيا عن «**اتجاهات التاريخ الاوروبى**» ، وان حرمت على اغفال اسم لورنس كمؤلف للكتاب، وابداله باسم مستعار ! ثم رحب الناشر الانجليزى «سيكر» بنشر قصة لورنس الخامسة «**الفتاة المفقودة**» ، بعد حذف بضع فقرات منها ، فكان ان فازت بجائزة جامعة (ادنبرة) لأحسن قصة فى العام ! . واذا ذاك تشجع الناشر فأصدر (نساء عاشقات) فى لندن ، فى مايو ١٩٢١ .

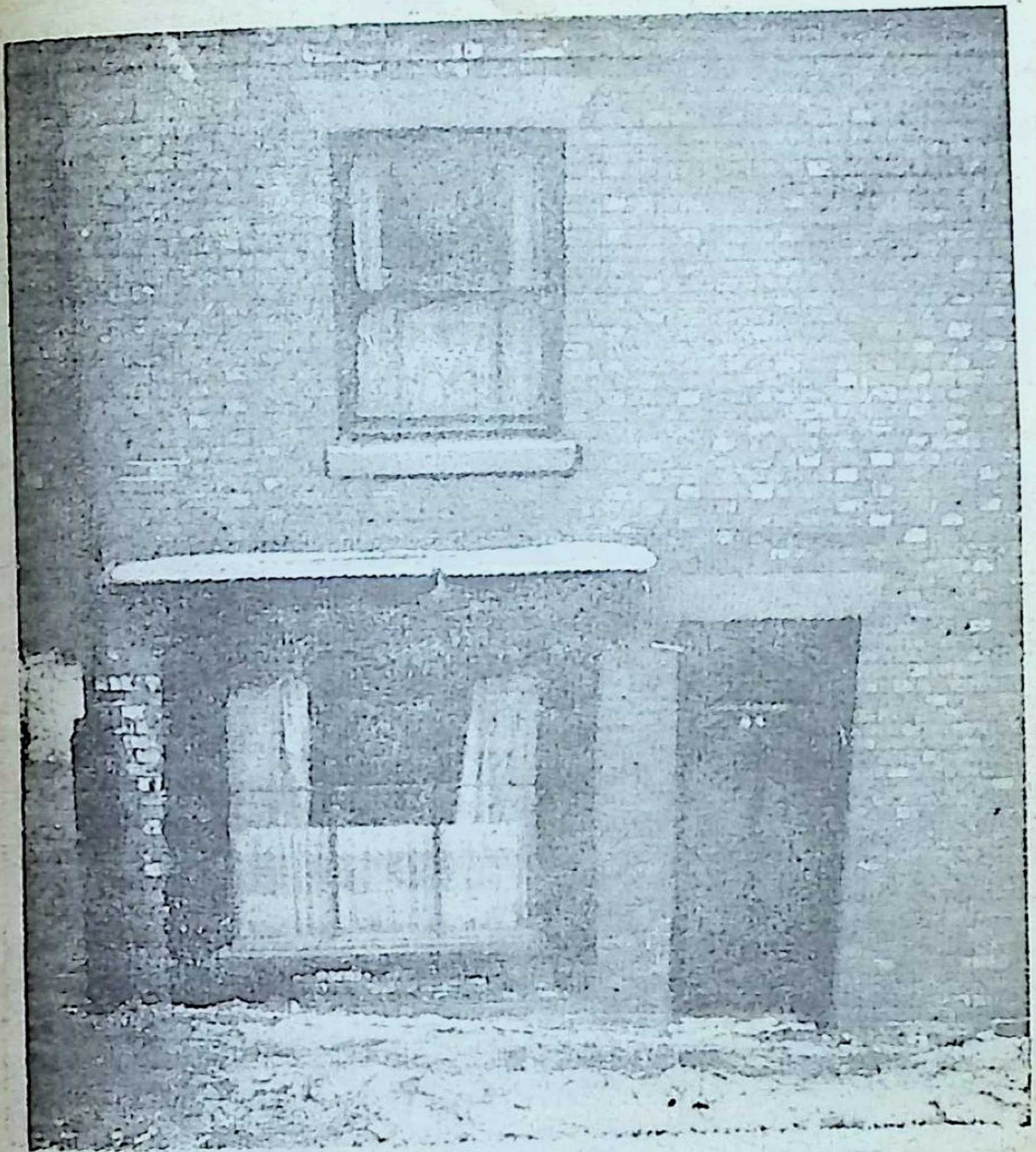
.. وعندئذ قامت قيامة الصحف الانجليزية ! . وكانت أعلى الصيحات تلك التى اطلقتها صحيفة (جون بول) الواسعة الانتشار ، اذ صدرت وفى رأس صفحتها الاولى

هذا العنوان : « كتاب يجب أن تصادره السلطات .. دراسة بغضبة للانحلال الجنسي ، تفود الشهاب الى هاوية ليس لها قرار ! »

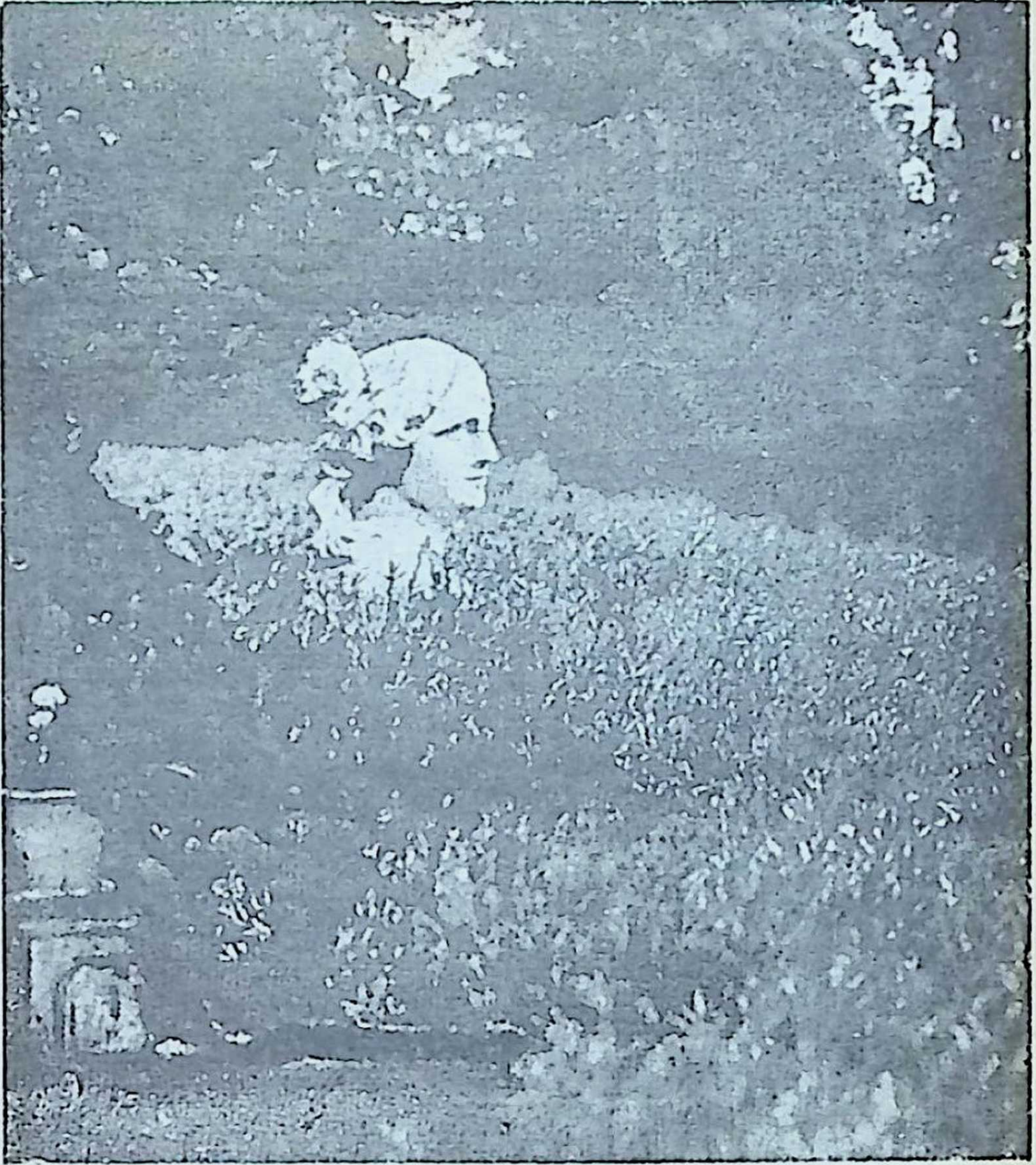
ولكن لم تمض أسابيع ، حتى تورط صاحب الصحيفة في شر أعماله ، اذ قدم للمحاكمة بتهمة القذف والتفجير بالرأى العام ، ولم يفلح في تحريضه على مصادرة الكتاب .. ورغم ان صحفا أخرى ، أكثر وقارا ، واصلت الحملة ضد (نساء عاشقات) ، فان أحدا لم يصادر القصة .. ولو أن متاعب أخرى لم تلبث أن تشعبت عنها ، حين هدد أحد البارزين في المجتمع الانجليزى يومئذ برفع دعوى ضد الناشر ، بسبب احتواء القصة على شخصية فيها تعريض « كاريكاتورى » بشخصه ، فاضطر « لورنس » الى تغيير ملامح تلك الشخصية في الطبعة التالية للقصة !

وفى تلك الاثناء كان القضاء قد بدأ يخفف قبضته على الكتب التى يرفع أمرها اليه بغية مصادرتها .. وهكذا ربحت المعركة كتب مختلفة ، بعضها تافه رخيص مثل « جورجين » و « بئر الوحدة » - والآخر قصة وصفت فيها مؤلفتها « رادكليف هول » عشق امرأة لامرأة ! - ثم توجت هذه النزعة الى حماية حرية الرأى باطلاق سراح قصة « جيمس جويس » المشهورة (أوليسيس) فى عام ١٩٣٣ كما أسلفنا .

لكن لورنس ظل رغم الضجة التى كانت تثيرها كتبه ، أدبيا من أدباء الخاصة أو الاقلية ، لا يتمتع بشعبية بين القراء ولا يظفر بمديح يذكر من جانب النقاد والمعلقين .. وكان ايراده من انتاجه الادبى قد ارتفع الى نحو ألف جنيه انجليزى فى العام ، وهو مبلغ كان لا بأس به فى تلك الايام ، سيما بالنسبة لرجل معتدل ومقتصد فى نفقاته . **ولكن** لورنس كان مثقلا بأعباء تنقلاته المستمرة ورحلاته فى أنحاء



واجهة البيت الذى ولد فيه ((لورنس)) (فى شارع فيكتوريا بمدينة
ايستوود ، باقليم نوتنجهامشاير) يوم ١١ سبتمبر ١٨٨٥ ، حيث كان
أبوه يعمل فى منجم للفحم الحجرى . وحين بلغ العاشرة انتقلت الاسرة
الى منطقة (الشرخ) التى أشار اليها فى قصته (أبناء وعشاق) ، وقد
وصفتها شقيقته ((ادا)) بقولها : « كان بيتنا فى نهاية صف من بيوت
يملكها أصحاب المنجم .. وكانت تحيط به ، من ثلاث جهات ، حديقة
عامرة بشجيرات الزبيب البناتى والورد الابيض .. »



حديقة قصر (جارسنجنون) الذي وضعته «ليدى موريل» تحت تصرف «لورنس» كي يقضى فيه بضعة أسابيع .. وقد كتب اليها رسالة شكر ، جاء فيها : « انه مثل قصر أبطال «بوكاشيو» الذي رويت فيه قصص (ديكامرون) .. ذلك المرج العجيب المليء بالاشجار ، تتوسطه الدار القديمة ذات الواجهة العريضة الجميلة . انها من القدم بحيث تبدو بمثابة عالم صغير مستقل بذاته تماما ، يستطيع المرء فيه أن يفر من الاشياء الدنيوية التافهة ، كي يهتم بالامور الهامة .. »

القارة ، بحثا عن الصحة وسكينة النفس .. وخلال تلك الرحلات أتاحت له الفرص للملاحظة السلوك البشرى فى شتى مظاهره الجوهرية ، فلم يعجبه الكثير مما رأى وسمع ، ولو أن قدرا كبيرا من انتقاداته للحياة فى عصره إنما كان ثمرة تجاربه ومشاهداته الباكرة ، فى المراحل الاولى من حياته . كان قد رأى فى طفولته كيف تجنى على بعض الافراد روح التجنيد الجماعى التى تلازم التصنيع .. وبحكم نشأته بين بقايا غابة (شروود) ، رأى دخان مناجم الفحم الحجري يلطخ جمال الطبيعة التى كانت من قبل فاتنة .. كما لمس كيف تفزو آلية الحياة عواطف البشر ، وتقتلها ، ولا سيما عاطفة الحب ..

على أن لورنس لم يقنع بالملاحظة السلبية ، وإنما بحث عن العلاج لمشكلات المدنية ، فدرس الفلسفات الاجتماعية المتنافسة - كالفاشية والشيوعية - وانتهى بعد نقدها نقدا عميقا ، الى نبذها

.. على أن لورنس لم يلبث أن سئم محاولات قيادة الراى العام فى المجال السياسى ، ووضع النظريات لأقامة دولة مثالية فاضلة (يوتوبيا) .. واكتشف فى النهاية حاجة البشرية الى التعاون والمحبة ، أو على حد تعبيره فى عنوان بحث كتبه فى تلك الآونة : « **اننا فى حاجة الى بعضنا البعض** » . نعم ، كان الحب هو جواب الحيرة والتساؤل اللذين عانى منهما طويلا .. « الحب العاطفى المنطلق ، لا الحب الذى تسيطر عليه الارادة ويلجمه العقل - والذى هو ثمرة حضارة كسيحة - وإنما حب يحرق الخجل وجميع العوائق الاخرى التى تعترضه .. »

وكانت مقالات لورنس و « فلسفته » تجيء دائما فى مرحلة لاحقة للتعبير عن آرائه بالقصص والاشعار .. ذلك أن الروايات والقصائد تنساب فى أول الأمر من قلم الكاتب غير

ملحوظة . . ثم يبدأ بعدها احساسه بالحاجة الى اتخاذ مسلك عقلى معين نحو نفسه ونحو الأشياء عموما ، ومن ثم يحاول أن يستخلص بضعة نتائج محددة من خبرته وتجاربته ككاتب وكانسان . »

وهكذا انسابت قصته (عشيق الليدى تشاترلى) من قلمه ، غير ملحوظة . . أو على حد تعبيره فى مقال له عنها : « عندما خلقت شخصيتى بطلى القصة - « كليفورد » ، و « كوني » - لم تكن فى ذهنى فكرة محددة عنهما وعن أسباب وجودهما ، وإنما انساق بهما قلمى دون تكلف أو صناعة » . . أما الشخصية الثالثة فى القصة - وهى شخصية العشيق - فقد غير فيها لورنس وبدل : خلال الطبقات الثلاث للقصة ، التى كتبها من أواخر عام ١٩٢٦ حتى أوائل عام ١٩٢٨ . . بل ان التفسير تناول اسم العشيق ذاته ، فبعد ان أطلق عليه فى الطبعة الأولى اسم « باركين » ، غير الاسم بعد ذلك فجعله « ميلورز » ! . . وبعد أن كان « باركين » فى القصة الأولى أقرب الى الشخصية « الاجتماعية » ، صار المحافز الاجتماعى عند « ميلورز » فى القصة الثالثة ضمناً أكثر منه صريحاً مباشراً ، وبالتالى ازداد عنصر الحب رسوخاً فى شخصيته .

ايطاليا ملاذ الأدباء المضطهدين !

وقد أدرك « لورنس » منذ البداية ان هذا الكتاب سيجلب عليه المتاعب من جانب سلطات الرقابة . . بل ان ناشريه أنفسهم رفضوا مجرد التفاوض معه فى أمر نشر الكتاب ، فلم يجد مفراً آخر الأمر من ان يتولى مهمة النشر بنفسه ، بمعاونة « كتيبى » ايطالى فى (فلورنسا) يدعى « جيزيبى أوريولى » - (كما وجد « باسترناك » فى الاعوام الاخيرة لدى الناشر الايطالى « فيلترينيللى » العون الوحيد على

نشر قصته الكبرى : دكتور جيفاجو) ، قبل أن تضيع صيتها
ضجة فوزه بجائزة نوبل !)

وقد طبع « اوريولي » الكتاب في مطبعة صغيرة ، وكان
عامل جمع الحروف الذي تولى صفاحروفا يجهل الانجليزية ،
فوقع في أخطاء مطبعية كثيرة مضحكة . وكان لورنس قد
حذر الناشر من موضوع القصة وصارحه بمضمونها ، لكن
هذا هز كتفيه في غير مبالاة وقال : « أوه ، اننا نفعل هذا
الذي تروييه القصة ، كل يوم ! » . . . وتقول « فريدا » زوجة
« لورنس » - في صدد ظروف نشر القصة - ان لورنس كان
يتوقع « المحنة » التي تنتظره ، وانه كان « خائفا » . . . لكنه
ملك الشجاعة التي مكنته من المضي قدما في طريقه !

. . . وقد عادت عليه المجازفة بالربح في أول الأمر ، فان
« المشتركين » لم يلبثوا أن استنفدوا الألف نسخة التي
طبعت من الطبعة الأولى ، وقد بيعت النسخة منها بجنيهين
. . . ثم توالى الطبعات فحققت كلها رواجاً طيباً ، ولو ان
« قراصنة » النشر لم يلبثوا ان قطعوا على لورنس طريق
الربح ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، فان منع نشر الكتاب
في إنجلترا وأمريكا بصفة رسمية بواسطة كبار الناشرين
المعتمدين قد فتح أمام القراصنة طريق استغلال المؤلف في
السوق السوداء !

طوفان من المتاعب . .

ولكن ، اذا كان الكتاب قد جاء عوناً للورنس من الناحية
المادية ، فانه كان السبب في تدمير صحته . ذلك ان الارهاق
العصبي الذي أصابه من جراء الهموم المترتبة على اشكالات
نشر الكتاب ، والتحامه بسببه كل حين مع سلطات الرقابة ،
قد عجل بموته . . . فقد استمرت تلك الاشكالات طوال عامي
١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، في الوقت الذي كان فيه لورنس مريضاً

بداء الصدر ، يتنقل بين جبال الألب السويسرية ، وشاطئ
الريفيرا الفرنسية . وكان يتلقى كل يوم خطابات بهذا
السن من شتى المصادر والطبقات . . من أصحاب المكتبات ،
والنقاد ، وعامه القراء ، فكان لورنس يخط على هوا مشها
تعليمات عاجلة ويحولها الى الناشر الايطالى « أوريولى » كى
يتولى الرد عليها . . وانه لمن سخرية القدر أن يشغل كاتب
من احصب مؤلفى العصر الخلفين - وكاتب مريض ! - بكتابة
رسائل اداريه كضمة ، على نحو لم ينغمس فيه من أنداده
سوى « كافكا » - الذى كان من « الكتبة » باحدى شركات
التأمين - و « اليوت » ، الذى كانت أعباء عمله كناشر
تستنفد أكثر وقته !

وخلال عملية توزيع (عشيق الليدى تشاترلى) ، استمر
لورنس فى كتابة أشعاره ، ومقالاته ، وقصصه . . كما واصل
مراسلاته العديدة مع اصدقائه فى انجلترا ، الذين أخفوا
نسخا مهربة من الكتاب فى مساكنهم بلندن أو بيوتهم الريفية
فى الضواحي . . ومن هناك كانوا يرسلونها بالبريد الى
المشاركين الذين أرسلوا فى طلبها من فلورنسا .
أما فى أمريكا فكان حظ الكتاب أتعس ، لا بسبب قراصنة
النشر وحدهم ، وانما بسبب موظفى جمارك نيويورك ، الذين
كانوا يصادرون النسخ المرسلة بالبريد ، ثم يبيعونها خلسة
فى السوق السوداء بضعف ثمنها ! . . فاضطر لورنس آخر
الأمر الى توصية ناشره الايطالى بأن يغلف النسخ قبل
ارسالها بغلافات مزيفة لكتب أخرى لا غبار عليها !
. . فى الوقت الذى واصل فيه أعداء لورنس حملاتهم ضده
ضد الكتاب فى مختلف الصحف ، وفى مقدمتها صحيفة (جون
بول) . . كما ضيق أعداؤه من رجال السلطات والمسؤولين
الحناق على المنافذ التى تتسرب منها كتبه ومطبوعاته الى
البلاد ، فأقاموا حضارا محكما اشركوا فيه مفتشى

(سكوتلنديارد) ، وموظفى البريد والجمارك . . وفى يوم ٧ يناير عام ١٩٢٩ أرسل لورنس من جنوب فرنسا ، بالبريد المسجل ، مخطوط ديوانه الشعري الجديد الى وكيله فى لندن ، وكتب على المظروف ما يوحى بأنه يحوى أوراقا ومستندات خاصة ببعض الاعمال . . لكن المخطوط وقع لسوء حظه فى ايدى مفتشى البوليس ، فصادره وزير الداخلية ولم يسلمه الى الناشر الا بعد ان أشر بحذف ١٤ قصيدة منه ! . . وصدر الديوان بالفعل على تلك الصورة الناقصة المشوهة ، لكن صديقا المؤلف لم يلبث ان أصدر طبعة محدودة (من خمسمائة نسخة) من الديوان بأكمله ، فى صورته الاصلية الكاملة ، فكان ربح لورنس منها خمسمائة جنيهه ، اذ كان اجراء وزير الداخلية بحذف بعض القصائد خير دعاية أعانت على ترويح الديوان !

١٢ ألف زائر ، لمعرض لوحاته !

وفى ذلك العام - ١٩٢٩ - تعرض لورنس لمحنة أخرى مع سلطات الرقابة ، بسبب المعرض الذى أقيم لرسومه ولوحاته فى قاعة (وارين جاليرى) بحى (ماى فير) . وقد سافرت زوجة لورنس « فريدا » الى لندن لحضور المعرض ، أما لورنس نفسه فانه اتجه الى ايطاليا لزيارة صديقه « ألدوس هكسلى » وزوجته . وقد افتتح المعرض فى ١٤ يونية ، فى الوقت الذى ظهرت فيه طبعة ملونة من لوحاته فى كتاب . وخلال الأسابيع الثلاثة التى ظل فيها المعرض مفتوحا للجماهير - قبل أن تغلقه سلطات البوليس فى ٥ يوليو - زاره اثنا عشر ألف شخص ، وفى هذه المرة جاء دور نقاد الفن كى يهاجموا لورنس ، من الناحيتين الفنية والاخلاقية . وفى الخامس من يوليو أقبل رجال الشرطة فنزعوا ١٣ لوحة ، كما أخذوا أربع نسخ من الكتاب الذى يضم طبعة ملونة من لوحات

رجال "أرامكو"

تحتاج صناعة الزيت الى كثير من المعلومات . فسجلات الضغط والحرارة التي تؤخذ من المناطق التي تحتوى على الزيت داخل الارض هامة جدا . وتظهر هذه المعلومات التحاللات التي بموجبها تعرف نسبة انتاج الزيت في باطن الارض .



والسيد عبد الرحمن سليمان العجاجي هو المشرف على الموظفين الذين يقومون بهذه القياسات . ومن عمله فحص الآلات ومعرفته دقتها بمقاييس ثابتة كما يظهر في الصورة .

وقد التحق السيد عبد الرحمن في شركة ارامكو في عام ١٩٤٨ ، فعمل في فرقة قياس الحرارة والضغط ، ثم في مراكز فرز الفاز من الزيت حتى أصبح مشغلا أعلى خارج الورشة . وفي اوائل هذا العام عاد الى العمل فأصبح مشرفا بقياسات الحرارة والضغط . وقد درس السيد عبد الرحمن سبع سنين في بلدة ظرما في نجد . وبعد ان التحق بشركة ارامكو واصل دراسته خلال ساعات العمل وبعدها في مدارس الشركة ، حيث درس الجبر والهندسة والعلوم الطبيعية بالاضافة الى اللغتين العربية والانجليزية فساعدته هذه الدروس على التقدم المستمر .

وقد سافر السيد عبد الرحمن أخيرا الى الولايات المتحدة الأمريكية اذ مهدت له الشركة السبيل ليعمل هناك لمدة سنة يتمرن خلالها على أعمال تسجيل الحرارة والضغط في حقول متعددة للزيت . وسيقود الى ارامكو حاملا معه مزيدا من المعلومات والخبرة في هذا الباب .

أرامكو : شركة الزيت العربية الأمريكية
الظهران - المملكة العربية السعودية

الروائى الشاعر الرسام « د. ه. لورنس » .
وعرضت الدعوى الخاصة بتلك الرسوم فى ٨ اغسطس
أمام القضاء . وكان القاضى فى الثانية والثمانين من عمره ،
فرفض الاستماع الى شهود الدفاع من خبراء الفن . . فى
الوقت الذى طالب فيه الاتهام باحراق اللوحات المصادرة !
. . وأخيرا صدر الحكم بتسليمها الى أصحاب المعرض ، ولكن
بشرط الامتناع عن عرضها !

((ألدوس هكسلى)) يخف الى نصرتة . .

ومن ايطاليا ، حيث كان لورنس يستشفى من دائه ،
ارتفع صوت الفنان المضطهد يلعن قومه - الذين لم يقدر له
أن يلتقى بهم ثانية فى موطنهم - فى ديوانه التالى ، سخر
لورنس من نقاد الفن ، والرقباء ، وجماهير الشعب البريطانى !
. . ثم انضم اليه « ألدوس هكسلى » فى مقال نشره فى نوفمبر
١٩٢٩ بصحيفة (فانيتى فير) الامريكية ، كما دافعت عنه
الأديبة « ربيكا وست » فى صحيفة أمريكية أخرى تدعى
(بوكمان) ، ووصفت منع عرض اللوحات بأنه « عمل ينطوى
على عدم التبصر الى درجة مفزعة ، فى حق فنان لعله أعظم
عبقري فى عصرنا . . وهو من الحساسية بحيث يكفى هذا
الحادث كى يشل إنتاجه الأدبى والفنى . »

على ان لورنس خرج من محنة منع عرض لوحاته ، محطماً
الاعصاب ، ممرور النفس ، متفاقم العلة . . وكانت تلك
هى الفترة التى شكا فيها الى صديقه « إيرل برويستر »
بقوله ، وهو يتحسس صدره بأصابعه : « ان الكراهية التى
اثارتها كتبى ترتد الى وتنشب مخالبتها هنا ! »

ولم تمض أسابيع ، حتى قضى عليه داء الرئة - فى ٢ مارس
١٩٣٠ - فى ضاحية (فينس) ، من ضواحي (نيس)
بفرنسا ، قبل أن يكمل عامه الخامس والأربعين . . ورغم قصر

عمره ، وضعف صحته الهشة ، فقد عاش حياته مشتمل النشاط والحمية ، عملاقا في طاقته الانتاجية الجبارة ، فترك وراءه نحو خمسين كتابا ، في شتى فروع الأدب والكتابة : في القصة الطويلة ، والقصيرة ، والمسرحية ، والشعر ، والمقالة ، وأدب الرحلات . . وقد أعانه على الإبداع في هذا اللون الأخير من الكتابة أنه قضى أكثر حياته متنقلا بين القارات الخمس ، سعيا وراء انتجاع الصحة التي كان محروما منها . . فزار الكثير من بلاد أوربا ، كما زار استراليا ، والهند ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والمكسيك . . الخ

على أن قصة لورنس مع سلطات الرقابة لم تنته بانتهاء حياته . . فبعد وفاته بأقل من أسبوعين ، شن عليه الشيخ الأمريكي السناتور « ريد سموت » حملة في مجلس الكونجرس ، خص فيها بهجومه قصة (عشيق الليدى تشاترلى) بوجه خاص ، فتصدى له السناتور « برونسون كاتنج » بالقول أن من يبنى تصيد المثالب والاختفاء ، لا يصعب عليه أن يجد في (التوراة) نفسه فقرات تخدش الحياء ! . . وفي إحدى الحملات التي أثرت حول أدب لورنس ، تصدى للدفاع عنه الناقد الكبير المعاصر « ت . س . اليوت » - الفائز بجائزة نوبل ، والذي كان مذهبه في النقد محل معركة بين نقادنا العرب في القاهرة منذ أسابيع - فقال عنه : « أن تأثير لورنس على عصره يفوق تأثير أى أديب من معاصريه ! »

((لورنس العرب)) يؤيد ((لورنس)) الأديب . .

وثمة دفاع آخر عن لورنس ، خطه قلم سمييه « ت . ا . لورنس » - المعروف باسم ((لورنس العرب)) ، ومؤلف الكتاب المشهور (أعمدة الحكمة السبعة) - وقد كتبه في رسالة له غداة وفاة لورنس الأديب مباشرة ، (أو على وجه التحديد يوم ٣ مارس ١٩٣٠) ، وجاء فيه : « أن مفزى قصة

(عشيق الليدى تشاترلى) هو ان اعتبار « الجنس » امرا مخجلا محتقرا ، انما يفقد الرجال ما ينبغى أن يكون موضع فخرهم وقوتهم الحيوية ، واعتزازهم بالحياة . . . «
وفى بحث علمى صرف ، موضوعه « علم فلسفة اللفظة » نشره البروفيسور « ألين ووكر ريد » فى مجلة (اميريكان سبيتش) - عدد ديسمبر ١٩٣٤ - قال الباحث الكبير : « وهناك محاولة جريئة لتجاهل اعتبار الجنس من المحرمات ، قام بها « د . ه . لورنس » فى قصته الطويلة المعروفة (عشيق الليدى تشاترلى) . . فنحن نرى فى هذه القصة الفارق الصارخ بين استعماله هو للألفاظ الشائكة فى بساطة مخصصة ، وبين استعمال نفس الألفاظ من جانب أولئك الذين يتجرون بالجنس باعتباره سرا قدرا ! . . واذا استطاع الناس فهم مغزى استعمال لورنس لتلك الكلمات ، فان كتبه سوف تقرأ يومئذ كما ينبغى أن تقرأ ، وكما بدأ كثير من الناس فى قراءتها بالفعل . »

ومنذ أعوام قليلة ، أشار صديق لورنس القديم « **الدوس هكسلى** » فى كتابه (شياطين لودون) الذى نشر عام ١٩٥٢ ، الى الفارق بين « الجنس فى جنة عدن ، والجنس فى أعماق المجارى القذرة » . . فقال : « ان فى أمور الجنس عنصرا بريئا ، وعنصرا آخر قدرا وضيعا . . وبينما أبرز مؤلف مثل « جان جينيه » العنصر الأخير ، بقوة مخيفة وتفصيل وافر غزير ، نرى « د . ه . لورنس » قد كتب عن **العنصر الأول - الجنس الذى يمت الى جنة عدن -** كتابة هى آية فى **الجمال والروعة !** »

وقد كتب لورنس نفسه بحثا فى هذا الصدد تحت عنوان « الأدب المكشوف ، والبذاءة » أثناء اقامته فى إقليم (بافاريا) الالماني ، فى ضيافة الطبيب والكاتب المسرحى «ماكس موهر» - فى الفترة بين أواخر أغسطس ومنتصف سبتمبر ١٩٢٩ -

قال فيه : « ان ما يعتبر بذاعة من كاتب ، قد يسمو الى مرتبة « العبقرية » اذا صوره كاتب آخر ، بطريقة أخرى . . . واذا رجعنا الى أصل مصطلح « الأدب المكشوف » في لغتنا الانجليزية ، نجده مشتقا من لفظ « عاهرة » . . . ولكن من هي « العاهرة » في أيامنا هذه ؟ . . . اذا كانت هي المرأة التي تتقاضى المال من رجل في نظير أن تصحبه الى الفراش ، فما أشد الزوجات اللواتي ((بعن)) أنفسهن بالمال ، في الماضي ، وما أشد المومسات اللواتي ((منحن)) أنفسهن لرجال ، بدافع عاطفي ، دون أدنى مقابل ! »

وفي بحث آخر عنوانه « بصدد (عشيق الليدي تشاترلى) » - وقد كتب لورنس جزءا منه كمقدمة لطبعة ١٩٢٩ من القصة ، التي صدرت يومئذ في باريس ، ثم توسع فيه ونشره كنبة مستقلة في لندن في يونية ١٩٣٠ - قال لورنس عن « سير كليفورد » (زوج الليدي تشاترلى في القصة) :

الشلل العاطفي ، أنكى من الشلل الجسماني !

((لقد سئلت عدة مرات عما اذا كنت تعمدت ان أجعل الزوج في القصة يصاب بالشلل ، وهل كان قصدى من ذلك رمزيا ؟ . . . وقال نقاد وأدباء آخرون انه كان الأفضل أن أترك الزوج سليما قويا ، وأجعل المرأة تهجره مع ذلك . . . وردى على ذلك اننى لست أدري اذا كنت تعمدت تلك الرمزية أم لا . . . وان يكن المؤكد اننى لم أتعمدتها في البداية ، حين خلقت شخصية سير كليفورد . فعندما خالقت « كليفورد » و « كوني » لم تكن عندي أدنى فكرة عن حقيقة شخصيتيهما ، أو سبب وجودهما . . . وانما جاءا هكذا عفوا ، كما وصفتهما . وقد أعدت كتابة القصة من بدايتها الى نهايتها ثلاث مرات ، وحين قراتها بعد المرة الأولى ، أدركت أن عرج كليفورد كان

رمزا للشلل .. للشلل العاطفى أو النفسانى - الأعمق من شلل الجسم - الذى يصيب اليوم أكثر الرجال الذين من طبقتهم وعلى شاكلته ! .. وأدركت أننى قد أظلم « كونى » وأسىء إليها لو أصبته بالشلل الجسمانى ، فان ذلك يجعلها أكثر ابتذالا لو هجرته .. غير أن القصة سارت فى مجراها هكذا من تلقاء نفسها ، فتركها كما هى .. وسواء سميننا ذلك « رمزية » أم لا ، فإنها كانت السياق الذى لا مفر منه للقصة ..

« وأنا أكتب هذه السطور بعد نحو عامين من انتهائى من القصة ، لا بفرض الإيضاح أو التبرير ، وإنما لظهور « المعتقدات » العاطفية التى أملت على مواقف القصة ، والتى قد تكون ضرورية كإطار خلفى لها .. فأنا لم أكتبها لرغبة سخيفة فى إثارة حيرة القارئ العادى وبلبلته ، ولم أستخدم فيها بعض الألفاظ « المحرمة » لغير ما سبب وجيه ، وإنما كان يحدونى الاعتقاد الجازم بأننا لن نحرر الحقيقة العارية من الصبغة الزائفة التى تغطيها ، إلا اذا وصفناها بأوصافها العارية وألفاظها « البذيئة » ! .. وان أكبر كفر بالحقيقة العارية لهو ذلك « التسامى بها الى مستوى أعلى » .. فاذا تزوجت الليدى تشاترلى من البستانى مثلاً - وهى لم تفعل ذلك بعد - فلن يكون ذلك منها « بغية الكيد والتحدى » لفوارق الطبقات ، وإنما ستفعله مضطرة ، « بالرغم من » هذه الفوارق ! »

ثم يمضى لورنس فى الدفاع عن القصة ، فيقول : « بالرغم من كل الحملات التى وجهت الى ، فانى أقدم هذه القصة باعتبارها كتابا مخلصا ، موفور الصحة ، بل ضروريا لنا فى هذه الأيام . فان ألفاظها التى تصدم لأول وهلة ، لا تعود تصدم على الإطلاق بعد فترة وجيزة .. وما ذلك إلا لأن

هذه الألفاظ إنما تصدم ((العين)) فحسب ، لكنها لا تصدم ((العقل)) بتاتا . قد يصدم بها القراء المجردون من العقل . لكن هؤلاء لا وزن لهم . أما ذوو العقول فانهم يدركون أن الألفاظ القصية لا تصدمهم ، ولم تصدمهم حتى عند قراءتهم اياها لأول مرة . . بل انهم يحسون ازاءها بشعور من الارتياح . وهذه هي الحقيقة الجوهرية في الموضوع : فتحن اليوم قد جاوزنا في ثقافتنا وتطورنا حدود المحرمات التي كانت سائدة في عصر الحروب الصليبية مثلا ، يوم كانت للألفاظ في ذاتها قوة وقدرة على الاثارة . وهذه القدرة على الاثارة كانت لها خطورتها على ذوى العقول المعتمدة والطبائع الحادة العنيفة ، من أهل العصور الوسطى . أما نحن ، فان ثقافتنا لا تدع للألفاظ المجردة سوى رد الفعل العقلي فحسب ، وتحميننا من رد الفعل الجسماني العنيف المتهور الذي قد يهدد حدود اللياقة الاجتماعية !

« ففى الماضى كان الناس من ضعف العقل أو فجأجته بحيث لا يفرقون بين الفكر والفعل ، بين الكلمة والتصرف . أما نحن ، فقد علمتنا الثقافة والمدنية أن «الفكرة» لا تستتبع حتما «الفعل» ، وانما هما شكلان منفصلان من أشكال الوعي . . حياتان منفصلتان نحياهما . فنحن أثناء تفكيرنا ، لا نقدم على فعل ، وحين نقدم على فعل ، لا نفكر ! . . والهدف الاصلى لهذه القصة هو اننى أريد من الرجال والنساء على السواء أن يكونوا قادرين على التفكير الجنسى الصحيح ، السليم ، المخلص ، النظيف . »

٣ طبعات أصيلة . . وعشرات الطبقات ((المزيفة)) !

والآن ، تعال نقرأ هذا التلخيص « المذهب » للقصة التي احدثت كل تلك الضجة في الدوائر الأدبية العالمية ، وكل ذلك الأذى والمتاعب لصاحبها ! . . والتلخيص التالى مأخوذ من الطبقات الثلاث - أو « القوالب » الثلاثة المتباينة -

للقصة ، فهو يجمع أهم المواقف والوقائع التى تضمنتها تلك الطبعات ، والتى كان لورنس - فى حيرته بينها ، وعدم استقراره على قالب واحد نهائى منها - يحذف بعضها منها فى طبعة ، ليوردها ويحذف سواها فى طبعة أخرى .. وهكذا ! .. بل انه عدل وبدل فى اسم بطل القصة نفسه كما أسلفنا ، فجعله « باركن » فى طبعة ، و « ميلورز » فى طبعة أخرى ! والواقع أن هذه القوالب الثلاثة هى التى كتبها لورنس نفسه ، وذلك بخلاف القوالب والطبعات العديدة الأخرى التى زيفها عليه « القراصنة » - كما أسماهم - سواء من الانجليز أو الأمريكين ، وهم الناشرون غير الشرفاء الذين راحوا يعيشون فى القصة تعديلا وتحويرا وافسادا ، وفق هوى قرائهم وهوى نزعاتهم التجارية وهوى سلطات الرقابة فى بلادهم ، ثم طبعوها دون اذن من مؤلفها - ودون أن يدفعوا له أى مقابل - وباعوها فى « السوق السوداء » بأسعار خيالية ، بلغت فى بعض الأحيان خمسين دولارا للنسخة الواحدة (أى نحو ١٧ جنيهها مصريا) !

وقد عرض بعض الناشرين الانجليز على لورنس فى عام ١٩٢٩ أن يعد لهم طبعة خاصة ، وفق شروط ومواصفات معينة رسموها له ، مقابل مبلغ سخى من المال . وبدأ لورنس بالفعل فى اعداد الطبعة المطلوبة ، ثم لم يستطع الاستمرار فى المحاولة ، وقال « الجلاديه » : « مستحيل ! .. انه لأهون على أن أجدع أنفى بالمقص .. فقد أحسست بالقصة تكاد تنزف دما ! » ومن الطبعات التى وقعت فى يدي لهذه القصة ، طبعة أمريكية عثرت عليها فى أحد أكشاك فناء محطة (فرانكفورت) بألمانيا ، فى ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد ذلت بفصل ممتع بقلم زوجة لورنس الألمانية « فريدا » ، التى تركت زوجها الاول وأطفالها الثلاثة لتتزوج من الأديب الانجليزى الذى كان يومئذ « نكرة ، فقيرا » .. **واليك فقرات من مقالها :**



كان «لورنس» رساما ، الى جانب كونه روائيا ، وشاعرا . وهذه احدى لوحاته الست والعشرين التي عرضها عام ١٩٢٩ ، وسماها «البعث» . . . وقد كتب عنها الى صديقه «ايرل برويستر» في ٢٨ مايو ١٩٢٧ يقول « لقد فرغت من لوحتي «البعث» ، وهي تعجبني . انها تصور المسيح ينهض من القبر ، أغبر الوجه ، تعاونه أمه من الخلف ، وتسندة مريم المجدلية الى صدرها من الامام . . . وكان لورنس قد بدأ محاولاته الاولى الجادة في الرسم ، في خريف ١٩٢٦ ، في ايطاليا . . . حين اعطته «ماريا هكسلي» - زوجة صديقه الروائي المعاصر «الدوس هكسلي» - بعض دهاش لرسم اللوحات عشرت عليه في الفيللا التي استأجرها في ذلك العام . . . فبدأ لورنس يرسمها في نفس الوقت الذي بدأ فيه يكتب قصته «عشيق الليدي تشاترلي» .

« منذ عرفت لورنس ، وهو يحلم بأن يكتب قصة (عشيق
الليدى تشاترلى) ، ولقد كتبها فوق تلال (توسكانيا) ، فى
غابة من غابات أشجار الصنوبر الوارفة ، حيث كان له فراش
حجرى داخل كهف صغير ، ومنضدة حجرية أصفر ، ونبع
ماء قريب . كان المكان ساحرا ، ولا سيما فى الربيع ، وكان
يمضى اليه كل صباح ليكتب ، فيسير بمحاذاة أشجار الزيتون
حتى يبلغ شجرة الصنوبر الظليلة . . . وهناك يجلس ، على
بساط من زهر البنفسج ، وأزهار ((الجلاديوليس)) البرية ،
وحوله الثيران البيضاء الوادعة تحرث الأرض . . . يجلس
بلا حراك ، سوى حركة انسياب ريشته السيالة . ويبلغ من
سكونه ان السحالى لا تحس بوجوده ، فتروح تجرى وتمرح
بين ساقيه ، والطيور والعصافير الصغيرة تحجل على مقربة
منه . وبين حين وآخر يجفل صياد عابر حين يفاجأ برؤية
هذا المخلوق الصامت ! . . . وكان الفلاحون القلائل حولنا فى
تلك البقعة المنعزلة يميلون اليه ، رغم نفوره الفريزى ، ويبدون
استعدادهم لخدمته . وكل يوم ، بعد الغداء ، كنت أقرأ ما كتبه
فى الصباح . . . فكانت تدهشنى مقدرته الفائقة على خلق
شخصيتى القصة المتنافرتين : سير كليفورد ، وحارس الغابة
. . . الشخصيتين اللتين عاش فى صحبتهما ثلاث سنوات - من
١٩٢٥ الى ١٩٢٨ - وهى السنوات التى استغرقته كتابة
الطبقات الثلاث . . .

« وحين وافاه أجله ، مات لورنس ، دون ان ينهزم ! . .
فانه لم يفقد يوما ايمانه بالحياة ، ولم يفعل شيئا لا يرغب فى
فعله - وما كان بوسع أحد ، أو قوة ما ، أن تجبره عليه ! -
ولا كتب يوما كلمة لم يكن يعنيها ساعة كتبها . . . أو دخل
فى مساومة مع القوى الحفيرة التى ناوأته . . . والخلاصة ، انه
لو كان قد عاش يوما على ظهر الأرض رجل حر ، أبى ، فقد
كان زوجى « لورنس » ذلك الرجل ! »
وفى هذا القدر الكفاية . .



د. ه. لورنس

عشيق الليدي شاترلي

المقصة المخالفة التي أثارت أكبر ضجة عالمية في عام ١٩٦٠
.. ثم فازت بحكم البراءة !

تلخيص : رمسيس شكرى

تنقيح : حلمى مراد

- ١ -

ان عصرنا ، بظبيعته ، عصر حزن وشقاء ، لذلك يجب علينا - وقد ولدنا بين خرائبه وانقاضه - ان نرفض الاستسلام للهزيمة ، وان نبذل كل ما بوسعنا من جهد ، حتى نتغلب على العقبات التي تواجهنا ، وان نحيا في انفسنا الأمل في حياة باسمة ومستقبل أفضل !

كان هذا هو حال « كونستانس تشاترلى » ، فقد قوضت الحرب آمالها وقضت على آمانيها ، فأدركت انه لم يبق لها غير ان تجابه الواقع بشجاعة ! .. كانت قد تزوجت من « سير كليفورد تشاترلى » ، حين عاد الى بلده من ميدان القتال ليقضى عطلة لمدة شهر ، رحل بعدها الى اقليم « الفلاندر » حيث كان القتال يدور .. ثم عاد من الميدان بعد ستة أشهر وقد مزقت الحرب جسمه ! .. وكانت زوجته في الثالثة والعشرين . بينما كان كليفورد لم يتجاوز التاسعة والعشرين !

على ان تشبثه بالحياة كان عجيبا ، فاندملت جروحه ، وعادت اشلاء جسده الممزق الى الالتئام من جديد ، فعاش تحت رعاية الأطباء لمدة عامين ، حتى خرج أخيرا من التجربة كسيحا يجلس على مقعد متحرك .. فقد شل نصفه الاسفل .. وفقد رجولته !

وكانت حياته عزيزة وغالية عليه ، فقد نجا من الموت بأعجوبة ، وكان واضحا في عينيه البراقتين اليقظتين ، مقدار شعوره بالزهو لبقائه حيا .. غير ان عواطفه ومشاعره كانت قد ماتت واندثرت ، وحل مكانها فراغ قاتم كئيب !
اما زوجته « كونستانس » - أو « كوني » كما كانوا يطلقون عليها - فقد كانت فتاة جميلة ، تبدو على وجهها

مسحة من الارهاق ، ذات جسد فائر ، وعينين واسعتين
تفيضان عذوبة وجاذبية ، وصوت ناعم لين النبرات . وكان
والدها « سير مالكولم ريد » ضابطا كبيرا بالجيش ، قبل
أن يحال الى الاستيداع .

وقد عاشت كوني واختها « هيلدا » - منذ نعومة
اظفارهما - في جو مشبع بالفن والافكار الاشتراكية ، فقد
ارسلهما والدهما الى (باريس) .. و (فلورنسا) ..
و (روما) ، ليستنشقا الفن في عقر داره .. كما اتجها الى
(لاهاي) و (برلين) حيث كانت الدعوة الاشتراكية قد
بدأت تنتشر ، وحيث كان يحق لكل انسان - أيا كانت لفته
وجنسيته - أن يروج لأي مذهب أو مبدأ ، دون أن يعترض
عليه أحد !

وقد كانت الشقيقتان في نحو الخامسة عشرة من عمرهما
عندما ذهبتا الى (درسدن) لتتعلمتا الموسيقى والرسم ،
وغيرهما من الفنون .. وهناك عاشتا في انطلاق وحرية ،
واختلطتا بغيرهما من الطلبة ، وتناقشتا في الأمور الفلسفية،
والاجتماعية ، والفنية .. والجنسية ! .. وذاقتا طعم الحب
في سن الثامنة عشرة ، تحت ظلال الاشجار الوارفة في
المتنزهات العامة ، بين أحضان شايبين المانيين ، رأيا أن
استسلام الأختين لهما ، بمثابة دليل منهما على اتساع
مداركهما وتفكيرهما !



وحين نشبت الحرب ، اضطرت كوني وهيلدا الى العودة
الى وطنهما .. وهناك تقدم كليفورد بطلب الزواج من كوني،
التي أعجبت به ، لوسامة وجهه وطول قامته واتساع كتفيه
.. فتم زفافهما عام ١٩١٧ ، وقضيا شهر العسل وقد

رفرفت عليهما السعادة .. رغم ان كليفورد كان - بطبعه - لا يعير المسألة الجنسية أى اهتمام ، وظل لم يقرب امرأة الى أن تزوج .. وفيما عدا ذلك كان الزوجان متقاربين ، متفاهمين ، يربط بينهما رباط من العاطفة العميقة !

- ٢ -

.. فلما وقعت الكارثة ، وأصيب كليفورد بالشلل ، اقترح على كوني أن يعيشا فى ضيعته (رجبى هول) ، حيث كان يملك قصرا قديما ، شيد فى منتصف القرن الثامن عشر ، فوق ربوة عالية ، وسط متنزه كبير ، يحيط به سور كثيف من أشجار السنديان .

ولم تجد كوني فى مقرها الجديد الهدوء الذى كانت تشده .. وشكت مرارا لكليفورد من الضوضاء التى كانت تصدر من المناجم والمصانع التى فى القرية المجاورة ، ومن الغازات والروائح الكريهة المنبعثة من مداخنها ، والتى كانت الريح تدفعها نحو القصر ، فتنشر فى حجراته .. **كما احست كوني أن محاولاتها لاكتساب ثقة وصداقة زوجات المعدنين من أهل القرية قد قوبلت - رغم مظاهر الود - بستار من الزيف ، والشك ، وعدم الاطمئنان !**

أما كليفورد ، فقد كان ينظر الى الأمر من وجهة نظر مغايرة ، اذ كان يؤمن ايمانا راسخا بأن تلك الفئة من العمال لا تستحق من أمثاله سوى الاحتقار والاهمال !

وصار كليفورد يعتمد على زوجته اعتمادا كليا ، فرغم ضخامة جسمه وقوة بنيته ، فانه كان يحس وهو بعيد عنها بالعجز والضياع .. ويشعر بالحاجة الى وجودها بجانبه ، كى يشعر بأنه ما زال حيا ! .. كانت لا تفتح عينها فى الصباح الباكر ، حتى يناديها لتخرج به للنزهة فى الحقول ، فتستجيب

له في فتور وعدم اكتراث ، وتدفع مقعده المتحرك مسافات طويلة في العراء ، ثم يعودان الى القصر ليتناولوا طعام العشاء . وكان كليفورد - رغم نكبه - طموحا ، فأخذ يؤلف ويكتب قصصا ومسرحيات واقعية ، تدور حوادثها حول شخصيات من معارفه وأصدقائه ، وكانت قصصه قوية الحكمة ، جيدة البناء ، غير انها كانت مفعمة بالحق . وقد تسابقت معظم المجلات العصرية الى نشرها . على ان كليفورد كان شديد الحساسية نحو النقد الذي كانت تتعرض له قصصه أحيانا من بعض النقاد ، وكان يطلب من الجميع ان يقرظوها ويثنوا عليها !



وفي احدى الأمسيات حضر والد الزوجة - « سير مالكولم ريد » - الى القصر لتمضية عطلة الاسبوع ، فهاله شحوب وجه ابنته ونحول جسمها ، وأدرك - وهو الرجل المجرب الخبير - حقيقة علتها . . فربت على كتفها بحنان ، قائلاً في مرارة : « لست أدري يا كوني الى متى سوف تظلين في هذا الموقف المذل ! ؟ » . فنظرت اليه كوني متسائلة : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » ، فأجابها بصراحتة المعهودة : « من الخطر ان تعيش المرأة هكذا ، نصف عذراء ! » . فاندفع الدم الى وجهها ، وغمغمت : « نصف عذراء ؟ . . وماذا في ذلك ؟ » . فأردف ببطء : « اذا كنت تجدين الراحة في هذا . . »

لكنه لم يجد مفرا من مصارحة كليفورد بمخاوفه ، فقال له وهو يعبث بشاربه الكث : « أخشى يا ولدى أن أقول لك أن حياة كوني المسكينة باتت تقلقنى ، فهي تتعذب في أعماقها . . ولست اعتقد ان هذه الحالة تلائم من كانت في مثل

سنها.. اننى آسف يا كليفورد ، ولكنها امرأة من لحم ودم !))
 .. فاطرق الفتى برأسه الى الأرض ، ولم ينبس بكلمة !



وحدثت « كونى » أن أباهما قد تحدث الى كليفورد
 بصدد موضوع « نصف العذراء » ! .. غير انها كانت واثقة
 من أن زوجها ما كان ليعير الأمر أدنى اهتمام - سواء عاشت
 « نصف عذراء » أو « غانية لعوب » - ما دامت تحرص على
 أن يتم الأمر فى سرية وتكتم ، بعيدا عن سمعه وبصره ..
 فقد كان يردد دائما أن الاشياء التى لا تبصرها عيناد ولا
 يدركها عقله ، ليس لها وجود بالنسبة له !



وفى غضون ذلك الشتاء ، قدم الى القصر صديق لكليفورد
 يدعى « ميكاليس » ليقضى معه بضعة أيام . وكان
 « ميكاليس » هذا شابا ايرلنديا فى الثلاثين من عمره ، بدأ
 حياته العملية عازفا موسيقيا فى أمريكا ، فكون ثروة طائلة ،
 ثم استهواه مجتمع لندن الراقى ، فكتب عنه عدة مسرحيات
 اجتماعية ، غير أن المجتمع اللندنى اكتشف أن مسرحيات
 ذلك الكاتب الحقير - عدو الانجليز - تظهره بمظهر مشين
 يحط من كرامته ، فثار المجتمع على « ميكاليس » ونبذ
 نبد النواة !

وقد جاءت دعوة كليفورد لزيارة (رجبى هول) فى الوقت
 الذى قاطعه فيه جميع أفراد المجتمع الراقى ، فلم يتردد فى
 القبول ، وجاء فى سيارة فخمة يقودها سائق أنيق ويرافقه
 خادمه الخاص !

وقضى الضيف مع مضيفه ساعات طويلة يتناقشان فى

مختلف الشئون الأدبية والفنية ، بينما انزوت « كوني » في زاوية من الحجرة تستمع في أناة الى مناقشاتهما .. وكانت تنظر الى ميكاليس في أعجاب ، فقد كان يحمل طابعا خاصا يميزه عن باقي الرجال الذين التقت بهم من قبل ! .. ولم يكن مفرورا ولا دعيًا ، وكان في حديثه مع كليفورد عاقلا ، متزنا ، رقيق العاطفة .. وكان هو ، من جانبه ، يختلس النظر اليها بين الفينة والاخرى . ليرى مدى تأثير آرائه وافكاره عليها !

وفي المساء ، استدعته كوني الى غرفة استقبالها الخاصة ، التي كانت تقع في الطابق الثاني ، والتي كانت جدرانها تزدهان بلوحات رائعة من أعمال أشهر الفنانين ، أمثال « رنوار » و « سيزان » . وجلس الاثنان بجوار المدفأة ، ودار بينهما حديث طويل عن عائلته ، ومختلف شئونه واحواله .. وكان « ميكاليس » يتحدث اليها ببساطة وصراحة ، مجردة عن العاطفة ، كاشفا عن المראה التي كانت تعمل في اغوار وجدانه !

وكانت كوني تستمع اليه مأخوذة .. وسألته أخيرا : « ولكن .. لماذا تعيش وحيدا ، كالطير الذي فقد أليفه ؟ » .. فتنهد وأجاب : « ان من الطيور ما يستعذب الوحدة ! » ، ثم أردف : « في سخرية : » وماذا بصددك أنت ؟ .. ألا تعاني بدورك من برودة الوحدة ؟ » ، فأجفلت ، وفكرت قليلا .. ثم قالت : « نعم .. الى حد ما .. ولكن ، ليس مثلك ، تماما ! » .. فانتفض في مقعده ، وهمس ببطء ذاهل : « صدقت .. اننى شقى تعس ! » ، واستدار برأسه بعيدا وقد خفض بصره في ذلة ، فشبعرت كوني نحوه بجاذبية غريبة ، كادت تفقدها رشدها !

ورفع ميكاليس بصره نحوها وقد بان في عينيه نداء

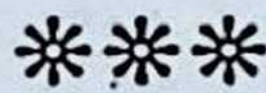
مؤثر ، نداء طفل يلتمس من أمه الحنان والدفء ! .. ثم
ركع فجأة بجوارها ، وامسك بساقيها ، ودفن رأسه فى
حجرها . وظل هكذا ساكنا لفترة طويلة ، بينما اخذت كونى
تحدف فى عنقه ذاهلة .. ولم تملك نفسها من أن تمد يدها
الى رأسه ، فتداعب خصلات شعره الناعم الغزير بأناملها
.. فارتجف جسمه ورفع رأسه ، ثم انتصب واقفا ، وقد
التمعت عيناه ببريق الرغبة والشهوة !
وأحست كونى بحنين طاغ يدفعها نحوه ، وادركت انها ما
عاد بوسعها أن تقاوم ذلك النداء ، وان عليها أن تستسلم
له .. أن تمنحه أى شىء .. وكل شىء !

ولما نهض « ميكاليس » ، قبل كلتا راحتيها .. ثم انتقل
بشفتيه الى قدميها الصغيرتين ، المدترتين فى خفين سويديين ،
ثم انسحب بهدوء الى نهاية الغرفة ، وران عليهما صمت
طويل .. وأخيرا التفت نحوها وقال : « **والآن .. لك
تكرهيننى !** » .. فأجابت مستنكرة : « بل لعلها اسعد لحظة
فى حياتى ! » .. وادهشها أن بدت على سيماء دلائل الألم
والتعاسة ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم استدار
اليها ، وقال متلثما : « وسير كليفورد .. الن .. الن
يكون .. ؟ » ، فترددت لحظة ثم أجابت قائلة : « ربما ..
غير اننى أرجو أن تظل علاقتنا سرا مكتوما بيننا ، فلست
أريد لكليفورد أن يعرف عنها شيئا .. ان ذلك خلى بأن
يؤله ويحطم قلبه !

ولأول مرة منذ وطأت كونى قصر (رجبى هول) ،
استطاعت أن تنام نوما هادئا لا تتخلله الأحلام المزعجة ! ..

لقد فارقها القلق الجنسي المدمر الذى عانت منه كثيرا ،
فكانت أشبه بالجائع حين يخلد للنعاس بعد وجبة دسمة !
.. وسرت البهجة الى نفسها وفؤادها ، واستغلت بهجتها
فى الهام كليفورد بأروع ما كتب ، فصار سعيدا - فى غفلته -
وقد جنى ، دون أن يدري ، ثمار ارتواء مشاعر زوجته من
علاقتها بميكاليس ..

غير أن كوني ما لبثت ، حين عاد ميكاليس الى لندن بعد
ثلاثة أيام ، أن عاودها انقباضها وقنوطها من جديد .. فعاود
كليفورد الحنين الى سالف أيام سرورها وابتهاجها !



.. وذات صباح خرج الزوجان للنزهة فى المزارع المحيطة
بالقصر ، وسارت كوني الى جوار المقعد المتحرك وهى
لا تنبس بكلمة ، وانما ترنو ببصرها بين لحظة وأخرى نحو
كليفورد ، الذى كان يركن أيضا الى الصمت ، وقد علت
قسمات وجهه سحابة من الهم .. وكأنما خشيت كوني
مفبة هذا الصمت الطويل ، فسألته : « فيم تفكر ؟ » ..
فدار ببصره حوله . وقال بقنوط : « انه لمن المحزن الا يكون
لنا ولد ! .. لقد اعتدنا أن نتوارث هذه الضياع أبا عن جد ،
وكانت عائلتنا تشبه سلسلة متصلة الحلقات .. أما الآن ،
فقد انفرط عقدها ! »

فتجهم وجهها ، وقالت بحزن : « اننى آسفة لعدم قدرتنا
على انجاب أطفال ! » .. واذا ذاك رفع وجهه الشاحب
المغذب ، وغمغم : « لماذا تتحدثين بصيغة الجمع ؟ .. لا ريب
أن فى مقدورك انجاب طفل من رجل آخر .. ولعمري أن
هذا لن يحزننى بقدر ما شوف يبعث السرور فى قلبى !! »
فبدت عليها الدهشة ، وقالت : « ماذا تعنى يا كليفورد ؟ »

فقال فى هدوء ، وقد غامت عيناه : « اذا حدثت وانجبت طفلا من رجل آخر ، فسوف اتخذه ابنا لى ، كى يرث القصر وكل ممتلكاتى .. الا ترين انها فكرة جديرة بالاعتبار يا كونى ؟ ! » .. فتطلعت فى وجهه دون أن تفارقها الدهشة ، وتمتمت : « وماذا عن الرجل الآخر ؟ » .. فأجاب : « ليس هذا بالأمر الحيوى ، فأننى أثق فى ذوقك وحسن اختيارك ، ولا أعتقد انك تسمحين لأى مخلوق كان أن يقربك .. المهم فى الأمر الا يكون ذلك سببا للتفرقة بيننا ، فلست أقوى على العيش بدونك ! .. ان مثل هذه الخطيئة لا تعد ذنبا كبيرا فى حقى ، وهى لن تؤلمنى بقدر ما يؤلمنى عجزى ، ولن تقتلنى بقدر ما يقتلنى مرضى .. كلا يا كونى ، ان الحب يفنى ويزول ، أما الصداقة فتبقى وتطول . انها العيش معا الى أبد الدهر ، وليست الامتزاج الجسدى بين حين وآخر .. لقد اعتدنا أن يرى أحدهنا الآخر ، والألفة - فى رأى واعتقادى - أمر حيوى بالنسبة للرجل والمرأة ، وهى التى تجمع بيننا الآن .. بل هى السر الحقيقى للزواج ، وليس الاتصال الجنسى .. قد اكون مغاليا بعض الشيء ، ولكننى اتحدث بشعورى ، واضعا نصب عينى الظروف المؤسفة التى ابتلتنى بها الأقدار ! »

وفكرت كونى قليلا .. لقد نطق صدقا ، فليس من العدل أن تستمر حياتها على هذا النحو .. صحيح أن واجبها يحتم عليها أن تبقى الى جواره ، وأن تكبت عواطفها ومشاعرها ، ولكن ، هل تقوى على ذلك الى النهاية ؟ .. وأخيرا قالت : « أعتقد انك على صواب يا كليفورد .. ولكن الأمور موقوتة بظروفها ! »

وكانا قد وصلا فى تلك اللحظة الى الغابة ، فوقفت كونى تتأمل مظاهر الطبيعة التى بدت أمامها ، وقد استتفرقها

التفكير في الحديث الذي دار بينهما . وفجأة مرق بجوارها كذب ضخم من كلاب الصيد ، فأجفلت كوني وفزعت ، ثم ظهر خلفه رجل في نحو الخامسة والثلاثين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، وشيق القوام ، أحمر الوجه ، يرتدى سترة من سترات الصيد ، وقد تدلت بندقيته خلف ظهره .

وناداه كليفورد : « ميلورز » ، فاستدار الرجل نحوهما ، ولما اقترب منهما قال كليفورد : « هذا هو « ميلورز » يا كوني ، حارس الفجأة الجديد . . ألم يسبق لك رؤية الليدى من قبل يا ميلورز ؟ » . فأجاب الحارس ببطء : « كلا يا سيدى . . لم أحظ بهذا الشرف من قبل » ، ورفع قبعته محييا ، فظهر شعره الأشقر ، ثم حلق في عيني كوني بنظرة جريئة غير هيابة . كما لو كان يرغب في أن يختبر معدنها ، فأحست بالدماء تصعد الى وجهها ، ونكست رأسها خجلا ! . . وحين تمالكت نفسها ، سألته :

— لقد التحقت بالعمل هنا أخيرا . . اليس كذلك ؟

— منذ ثمانية أشهر يا سيدتى . . الليدى !

— وهل يعجبك العمل هنا ؟

.. وضاق عيناه قليلا ، وكانت نظراته وقحة ، تحمل معنى السخرية والاستهزاء . . وأخيرا أجاب : « بلا ريب . . اشكرك يا سيدتى الليدى . . » ، وانحنى لها ثم أعاد قبعته الى رأسه ، ودار على عقبه وانصرف !

ووقفت كوني تراقبه وهو يبتعد ، وقد غلت الدماء في عروقها . . رباه ! ماذا دهاها ؟ . . ما بالها تفقد سيطرتها على أعصابها بمثل هذه السرعة ؟

وفي تلك الليلة لم يكف لها دمع ، فقد أحست بنوع من المذلة ! . . سحقا للحياة ! . . انه لجنون مطبق هذا الذي يسيطر عليها ، ويدفعها الى التفكير في كل رجل يقع عليه بصرها !



وكرر ميكاليس زيارته لـ (رجبى هول) ، فحضر فى المرة التالية مرتديا حلة قاتمة اللون وقفازين سويديين . وعلى محياه سيماء الفوز والظفر ، فقد فازت مسرحيته الأخيرة باعجاب النقاد وثنائهم ، ولاقت نجاحا هائلا ، واكسبه النجاح الذى واتاه آخر الامر بهاء . فنظرت اليه كوني نظرة اعجاب ، وبدا فى عينيها رائعا !

غير أن الأمور لم تسر وفق هوى ميكاليس ، فقد كان يحسب أن كوني لن تتردد فى اللقاء نفسها بين ذراعيه . . غير أن الليلة انقضت ، ولم تزره كوني فى غرفته ! . . فصرى القلق والاضطراب اليه ، واخذ يسائل نفسه : أتراها تتدلل . . فى ساعة مجده وانتصاره ؟

فلما استيقظ من النوم مضى الى حجرة استقبالها ، وقد بدت عليه سيماء السهد والأرق ، فلم تبد على كوني معالم الدهشة لرؤيته ، وكأنها كانت تتوقع قدومه . ولبثا بعض الوقت يتحدثان عن مسرحيته الجديدة ، غير انه لم يتمالك ان استدار فجأة نحوها وهتف : « أصفى الى يا كوني . . لماذا لا نتزوج ؟ » . . فأجابته كوني ذاهلة : « ولكننى متزوجة ! »

— أوه . . أو تعتبرين حياتك الحاضرة . مع رجل عاجز ، زواجا ؟ . . ان الزواج أخذ وعطاء ، فماذا قدم لك كليفورد مقابل رضائك بالحياة معه ؟

— انك تعلم جيدا أن ليس بوسعى أن أهجره !

— ولكن ، لماذا ؟ . . ما الذى يحول دون زواجنا ؟ . . ان كليفورد لن يتردد فى طلاقك اذا طلبت منه ذلك ! . . انه لا يحسن بوجود أحد سوى نفسه ، وهو ليس فى حاجة اليك !

- كلا .. ليس هذا صحيحا .. انه عاجز !
 - وهل أصبح « العجز » وسيلة لابتزاز عواطفك ؟
 اذن ، ففى وسعى ان اتحدث اليك عن مقدار شهورى
 بالوحشة بغير رفيق أو انيس ..

وفى ذلك المساء ، قال ميكاليس لكونى : « سوف تحضرين
 الليلة الى غرفتى .. اليس كذلك ؟ .. اننى لا أعلم أين تقع
 غرفتك !
 - حسنا ، سوف أحضر ..

- ٤ -

جلست كونى تتجاذب اطراف الحديث مع « تومى
 ديوكس » ، أحد أصدقاء كليفورد ، وكانت كونى تعتبره
 بمثابة كاهن تعترف له بأشجانها وهمومها . ودار بينهما
 حديث طويل ، استهلته كونى قائلة :
 - لست أدري لماذا لم تعد العلاقة بين الرجل والمرأة ،
 قوية ، ثابتة الجذور ، كسالف عهدها ! ؟
 - أعتقد أن العلاقة بينهما لم يمتورها أى تغير . فانا -
 مثلا - أجد متعة فى الحديث مع النساء ، تفوق المتعة التى
 أجدتها مع الرجال . فالمرأة أكثر شجاعة من الرجل ، وفى
 وسع المرء أن ينطلق فى الحديث معها بصراحة تامة !
 - ولكننى أعلم انك لا تحب النساء ، ولم تكن لك علاقة
 بأحداهن فى يوم من الايام !
 - اذن : فلماذا اتحدث اليك الآن ، لو كنت لا أحب
 النساء ؟ !
 - نعم ، انك تتحدث .. ولكن المرأة ترغب فى .. !

— انها تتطلب من الرجل أن يعجب بها ويتحدث اليها ..
وفي الوقت نفسه ، أن يهواها ويشتهيها .. وشكتان بين
الحالتين !

— لا أرى فى الأمر وجهها للتناقض .. غير اننى أحس ان
المرأة فى هذه الايام قد فقدت بريقها وجاذبيتها للرجل !
— وعين الشيء يمكن ان يقال بالنسبة للرجل !
— أصبت .. أصبت !



وفي ذلك اليوم أراد كليفورد أن يبعث ببعض تعليماته الى
حارس القابة . وكانت السماء قد أمطرت ، وطرقات المزرعة
موحلة ، فتعذر عليه أن يخرج بمقعده المتحرك . وصادف
أن أصيب جميع الخدم بالانفلونزا ، فتطوعت كونى بأن
تقوم بنفسها بالمهمة !

وسارت على قدميها شطر الكوخ وقد استفرقها التفكير
فى الحديث الذى دار بينها وبين « تومى ديوكس » .. حقا ،
لقد صدق حين قال انه لم يعد للرجال بريق يجذب النساء !
.. ان « ميكاليس » — الذى كانت كونى تنظر اليه كفارس
أحلامها — قد غدا بالنسبة لها نسيا منسيا !

وأخذت تقلب الأمور على كافة وجوهها : نعم ، لقد كانت
تتحرق شوقا الى أن تنجب طفلا .. ولكن ، مهلا .. مهلا ..
ليس ثمة ما يدعوها الى أن تتعجل الأمور ، اذ عليها أولا أن
تجد للطفل أبا ! .. ان من السهل عليها أن تجد لها عشيقا ،
ولكن المتعذر حقا ، هو ان تجد الشخص المناسب الذى
يليق لهذه المهمة .. وليس ضروريا ان تكون مدلهة فى
غرامه . فسواء لديها ان كانت تعشقه أم تكرهه !!
وسارت كونى حتى وصلت الى الكوخ . وفجأة توقفت

قدمها عن المسير ، وشعرت بالخوف والرغبة يقبضان قلبها . . وبأنها ليست في حالة تسمح لها بأن تصدر التعليمات الى « ميلورز » . غير انها ما لبثت أن استجمعت شجاعته وطرقت الباب ، فلم يجيبها أحد . وخيل اليها أن ثمة صوت قد صدر من خلف الكوخ ، فدارت حوله ، وإذا بها تفاجأ بمنظر ، أثار في نفسها مشاعر متضاربة . . رأت الحارس واقفاً في الفناء ، وظهره اليها ، وقد خلع قميصه فبدأ جذعه عارياً ! . . وكان منحنيًا فوق وعاء كبير من الماء الملىء بفقااعات الصابون . وبعد أن دلى رأسه في الوعاء ، رفعه الى أعلى ، وهزه هزا عنيفا ، في حركة حيوانية سريعة ، ثم دفع بينصريه داخل أذنيه ، فبان الفصل الذي اكتنزت به ذراعه القويتان !

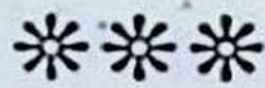
وتراجعت كوني الى ناصية الكوخ ، ثم استدارت وحشت الخطي نحو الفأبة . . ماذا دهاها ؟ . . لماذا أحست كأن صاعقة قد انقضت عليها وأصابتها في صميمها ؟ . . ما وجه الغرابة في رؤية رجل يفتسل في الفناء ؟ . . انه منظر عادي ، مبتذل ! . . بل لربما كان يستخدم صابونا أصفر اللون ، كرية الرائحة ! . . غير انها ما لبثت أن أدركت أن اضطرابها وارتباكها يرجعان - في الحقيقة - الى رؤيتها لذلك الجسد ، القوي ، الناصع البياض ، والذي كان يفيض رجولة وفحولة ! . . فلقد كان جسد . . رجل !

وأخذت كوني تسير لفترة طويلة على غير هدى ، غير انها ما لبثت أن تذكرت المهمة التي حضرت من أجلها ، فعادت ادراجها مرة أخرى الى الكوخ !

وطرقت الباب ، وقد أخذ قلبها ينبض بقوة وسرعة . وكان « ميلورز » قد ارتدى ملابسه ، وما أن شاهدها حتى

أشرق وجهه بابتسامة مهذبة ، ودعاها فى أدب الى الدخول . . فقالت فى صوت هامس ناعم : « لقد جئت أحمل لك رسالة من سير كليفورد » . وبينما كانت كونى تفضى إليه بتعليمات زوجها ، التقت عيناها بعينه ، فرأت فيهما نظرة عطف دافئة !

— حسنا يا سيدتى الليدى . . سأقوم بالمهمة حالا !



وعندما صعدت كونى الى غرفة نومها ، فعلت ما لم تفعله منذ زمن طويل : أخذت تخلع ملابسها قطعة قطعة ، ثم وقفت أمام المراة تتأمل جسدها العارى . . وشعرت برغبة حادة فى أن تحطم شيئاً ! . . رباه ، لقد كان الجميع يحسدونها ذات يوم على رشاقة قوامها واستدارة ثدييها الممتلئين . . فأين ذهبت تلك الرشاقة والفتنة التى كانت تبعث الرغبة عارمة فى الرجال ؟ . . لقد تهدل ثدياها ، وجف عودها ، وانطفأ ذلك البريق الذى كان ينبعث من بدنهما ، والذى طالما أطاش عقل عشيقها الالمانى ، قبل أن تتزوج . . لقد فقدت أنوثتها ، وأصبحت أشبه ما تكون بفلام قد اقترب من دور المراهقة !

وانسلت كونى فى رداء نومها الشفاف ، وارتمت فوق سريرها ، وأخذت تنتحب بحرقة ، يحدوها احساس داخلى بالظلم . . مسكين كليفورد . . ان الذنب ليس ذنبه ، وليس لاحد ان يلومه . . فهو — بدوره — ضحية من ضحايا المأساة التى حلت بهما . . ولكن ، لماذا تضحى بحياتها وشبابها من أجله ؟ . . ان شبابها يذوى وينصهر ، كالشمعة ، ومفاتها تكاد أن تفنى وتضيع . . من جراء حرمانها !



ووصلت شقيقتها « هيلدا » بعد أيام ، فما كاد بصرها يقع على كوني حتى أخذتها بين ذراعيها وتطلعت إلى وجهها الشاحب ، فلم تملك أن هتفت : « أوه يا كوني .. ماذا حدث لك بحق السماء ؟ .. لقد نحل جسدك بدرجة فظيعة ! » . فابتسمت كوني بمرارة وهمست : « اننى فى خير حال » ، ثم أطرقت برأسها وتركت العنان لدموعها !

ولم تترك هيلدا الأمر يمر بسهولة ، فقد انتهزت فرصة انفرادها بكليفورد وفاتحته فى الموضوع ، فقال انه لاحظ ان صحة « كوني » ليست على ما يرام ، ولكنه يرجو أن تتحسن حالها فى القريب العاجل .. فقالت « هيلدا »

باصرار : « سوف أصحبها معى الى لندن لاستشارة أحد الأطباء ، فانى أخشى أن تزداد حالتها سوءا »

فشعنت عيناه ببريق الغضب ، وفتح فاه ليعترض ، ولكنه لم يلبث أن أطبق شففيه . غير أن هيلدا لم ترحمه ، بل أخذت تكيل له اللوم ، وتنحى عليه بالتأنيب .. وخلصت من ذلك الى القول بوجوب احضار ممرضة لتعنى بأمره وتسهر على راحته .. واذا ذاك خرج عن صمته ، فقال : « اتعتقدين أن ذلك ضرورى ؟ » .. فأجابت بجفاء : « بلا ريب .. والا فسوف أجد نفسى مضطرة لأن أحدث أبى فى الأمر .. وعندئذ لن يسمح لها بالبقاء فى هذا المكان يوما واحدا ! »

واضطر كليفورد - تحت ضغط هذا التهديد - للرضوخ ،

بعد أن لم يعد هنالك مفر من الاذعان ، فان فكرة اختفاء كوني من أفق حياته كانت تذله وتشقيه ، وتطرد النوم من عينيه !

ورحلت الشقيقتان الى لندن فى صباح اليوم التالي ،

حيث قامت بزيارة طويلة لأحد الأطباء .. لكن الطبيب لم يتبين لدى كونى مرضا يذكر ، غير أنه استطاع أن يفهم علتها ، وان يحدد سبب نحول جسمها وشحوب وجهها . فنصح لها بأن تقوم برحلة طويلة تسترد خلالها ما فقدته من حيوية ، إذ أن أعصابها كانت منهارة تماما ، وفى حاجة الى تجديد نظام معيشتها .. ثم ختم الطبيب كلامه قائلا : « عليك بالضحك والمرح ما وجدت اليهما سبيلا ، ولن تلبثى أن تستردى صحتك وقواك ! »

وعادت الشقيقتان الى القصر فى صباح اليوم التالى ، وبدا جليا أن كليفورد قد عانى الأمرين خلال الأربعة والعشرين ساعة الماضية : فقد نحل جسمه بشكل واضح ، وبدأت فى عينيه علامات القلق والسهاد ، إذ أحاطت بهما هالتان من السواد . وانصت الى ثرثرة هيلدا وهى تهول فى أقوال الطبيب بشأن مرض شقيقتها وتكرر القول بوجوب احضار ممرضة لتعنى بأمره فورا ، والا فانها سوف تضطر الى العودة بكونى الى لندن .

- ٥ -

واضطر كليفورد الى الاذعان ، فاستدعى الى القصر ممرضة من أهل البلدة تدعى « مسز بولتن » ، كانت قد أظهرت مهارة فى علاجه عندما أصيب فى صفرة بالجدرى ، وكانت تناهز الآن الأربعين من عمرها ، وتبدو على وجهها آثار جمال ذابل ، وكان زوجها « تد بولتن » قد توفى أثناء انفجار حدث فى أحد المناجم حيث كان يعمل . وتسلمت « مسز بولتن » مهام وظيفتها ، وأظهرت نشاطا وافرا وهمة ملحوظة للترفيه عن سير كليفورد .. فكانت تلبى طلباته ، وتعده له طعامه ، وتخرج به الى الخلاء .

وعلى الرغم من ذلك كان كليفورد لا يكف عن التذمر و اظهار روح الضيق والسخط ، فقد اعتبر تخلى كوني - لامرأة غريبة - عن أبسط واجباتها كزوجة ، بمثابة اتجاه منها بكل احساساتها وعواطفها نحو نفسها ، ومثل هذا العمل خليق بأن يقتل ما بقى بينهما من صلة روحية وصداقة متبادلة . وفطنت مسز بولتن الى ما كان ينتاب كوني من ازمات نفسية ، نتيجة لثورة « الحيوان » الراقد في أعماقها ، فأخذت تترجى لها النصيح ، محاولة التسرية عنها والترفيه عن أعصابها ، قائلة : « آواه يا سيدتى الليدى ! .. لماذا

تلازمين حجرتك باستمرار .. انك في حاجة الى الشمس والهواء النقي ، ان هذه البقعة من أجمل بقاع الأرض قاطبة .. ولعمري أن نزهة قصيرة على الاقدام حتى كوخ الحارس ((ميلورز)) قد تفيدك كثيرا))

فنظرت كوني اليها بدهشة واستغراب ، وقد ذكرت لتوها ذلك الحارس ، وجسده القوى الناصع البياض ، وساءلت نفسها : هل هناك معنى خفى وراء عبارتها الأخيرة ؟ وماذا تقصد على وجه التحديد ؟ .. ولكنها استطاعت أن تقنع نفسها في النهاية بأن مسز بولتن - مهما كانت الغاية أو الهدف الذى تقصده - على حق ، وان مثل هذه النزهة قد تبث في نفسها الراحة والطمأنينة !



وخرجت للنزهة في ممرات الغابة ، وسط الأشجار الكثيفة ، حتى وجدت نفسها في ساحة منعزلة ، لم تكن قد رأتها من قبل . وهناك أبصرت بالحارس راكبا على الأرض أمام حظيرة للدواجن لم يكتمل بناؤها بعد ، وقد حمل مطرقة وأخذ يدق بعض الأخشاب .

ولما وصل الى سمعه وقع خطواتها المتسللة ، رفع رأسه فجأة واصاخ السمع ، وهو ينظر حوله فى حذر وتشكك ! . . لقد كانت وظيفته الأساسية أن يمنع الدخلاء من التسلل داخل أراضى سير كليفورد !

وما أن شاهدها حتى توقف عن العمل ، ورفع قبعته محيا فى أدب . . فاقتربت كونى منه وقالت :

— لقد سمعت صوت المطرقة ، فجئت أتبين مصدره .

— اننى أشيد حظيرة للدواجن ، يا سيدتى الليدى .

ودخلت كونى الى الحظيرة ، وأخذت تتأمل أدواته الملقاة على الارض فى اهمال ، بجوار وعاء من القار وبعض ألواح من الورق المقوى . . بينما عاد الحارس الى عمله ، دون أن يكثر لوجودها ! . . فلم تلبث كونى أن خرجت الى الساحة وجلست على مقعد صغير ، تتأمل ساعديه المفتولين وهما يرتفعان وينخفضان فى حركات منتظمة . . وبدأ جليا على وجهه أن وجودها يضايقه ويحد من حرите ، غير أن كونى لم تشعر برغبة فى الانصراف ، بل انها وجدت فى مراقبتها له متعة لم تدرك لها سببا ! . . وظلت تراقبه وهو يعمل حتى غربت الشمس ، دون أن ينبس أى منهما بكلمة . .

وأخيرا ، وقفت كونى على قدميها وتقدمت نحوه ، وقد بدا وجهه المتعب جامدا ، خاليا من أى تعبير . .

— انه مكان جميل ومريح يا ميلورز . . ألدك مفتاح آخر للحظيرة ؟

— مفتاح آخر ؟ . . لماذا ؟

واذ ذاك صعد الدم الى وجهها ، فقد ضايقها انه تحدث اليها بهذه اللهجة ، كما لو كان هو المالك الشرعى للحظيرة ! . . فأجابته بنبرات أمرة توحى بالاصرار :

— نعم . . مفتاح آخر .

- بوسك القاء هذا السؤال على سير كليفورد يا سيدتى
الليدى ، اذ قد يكون لديه مفتاح آخر !
- حسنا .. سوف ارى ما يمكن عمله فى هذا الصدد ..
والتقت عيناها بعينه ، فخفق قلبها بشدة ، اذ قرأت
فيهما مقدار حقه عليها ، وضيقه بوجودها ! .. ثم هز
كتفيه فى استخفاف وهو يلقي اليها بتحية المساء ، ودار
على عقبه وانصرف ..



وكان كليفورد ينتظرها فى غرفة الطعام على احر من الجمر ،
فقلت بلهجة تنم عن الاعتذار : « هل تأخرت يا كليفورد ؟
.. لقد قمت بجولة فى المزرعة بالقرب من كوخ ميلورز ،
وامضيت بعض الوقت فى حظيرة الدواجن التى يشيدها ..
هل تملك مفتاحا آخر لها ؟ » ، فأجاب : « نعم ، لماذا ؟ » ،
فقلت وهى تطرق براسها : « لقد سرت الراحة الى نفسى
هناك .. لذلك قررت أن اكرر الزيارة كلما سمحت لى
الظروف » .. فسألها وهو يحدجها بنظرة ثاقبة : « اكان
ميلورز هناك ؟ » ، فأجابت : « نعم .. وقد بدأ جليا انه
يضيق بوجودى .. وبالاختصار ، **لقد عاملنى بوقاحة وسوء
ادب !** » . فضحك كليفورد وقال : « انها طبيعته .. فهو
يكره النساء ولا يأمن جانبهن .. فقد فرت زوجته مع رجل
آخر ! »



وفى صباح اليوم التالى جلست كوني الى مائدة الطعام
بجوار كليفورد ، يتناولان افطارهما فى صمت واكتئاب ..
وفجأة سألته ، بغير مقدمات : « كليفورد .. هل يسرك حقا
أن انجب طفلا ؟ » .. ففكر قليلا ثم قال : « حسنا .. ان

الأمر لا يهمنى ما دام وجوده لن يضعف من حبنا . . كل ما
 أخشاه أن يفتر حبك لى وافقدك الى الأبد ! » . فتطلعت
 اليه وقالت ببطء : « اننى واثقة ان وجود الطفل لن يبدل
 من شعورى نحوك يا كليفورد ! » . فأطرق برأسه ، وقال فى
 وهن : « هذا كل ما يهمنى من الأمر . . فلا شك أن وجود
 طفل - أى طفل - كفىل بأن يبعث الحياة فى هذا القصر
 الساكن العنيق . . كما اننى سوف أجد عزاء فى انه طفلك
 انت ! »

وكان يبدو جليا أن الكلمات تخرج من صميم قلبه
 ووجدانه ، عن اقتناع . . وانه يعنى تماما ما يقول .



وكثر تردددها على حظيرة الدواجن ، حيث كانت تقضى
 وقتا طويلا ، بمفردها ، فى تأمل الدجاج والافراخ الصغيرة .
 وكان الربيع قد بدأ ينشر ظلاله على الفأبة ، فتمت الأزهار
 البرية ، وانتشر اريجها فى الجو . . وذات يوم ، وجدت
 ميلورز يفلق باب الحظيرة ، استعدادا للانصراف الى كوخه ،
 فاستوقفته قائلة :

لقد حضرت لأرى الافراخ الصغيرة . .

ثم جلست على الأرض ومدت يدها داخل القضبان ،
 لتلتقط احد الكتاكيت ، فاذا الدجاجة الأم تنقض على يدها
 فتنقرها بشدة . . فسحبت كونى يدها مجفلة وقالت :
 « انها لا تريدنى أن أمسك بصغارها . . انها تكرهنى ! » . .
 فضحك ميلورز لسذاجتها وجلس الى جوارها ، ثم زحف
 بجسمه نحو الحظيرة ، ومد يده فالتقط كتكوتا صغيرا
 ووضعته فوق كف كونى . . فأحست بحرارة المخلوق الرقيق

تسرى في جسدها ، وبدا التأثير عليها ، فأخذت الدموع تنهمر من عينيها وتسيل على وجهها ..

وسقطت قطرة منها على ذراع ميلورز ! .. فذاب قلبه وانصهر ، كالحمم السائلة ، ثم مد يده فأراح أصابعه فوق ركبتيها ، وقال : « لا تبكى بالله .. لا تبكى بحق السماء ! » .. فأخفت وجهها بساعديها وقد أحست بأن قلبها قد تحطم ، وأنه لم يعد ثمة ما تبالى به بعد ذلك ..

ووضع يده على كتفها ، ثم انحدر بها ، في نعومة ورقة ، تجوس خلال ظهرها ، بحركة غريزية عمياء .. وهمس لها بصوت خافت أجش : « هلا ذهبنا الى الكوخ ؟ ! » .. ثم أغلق يده برقة على أعلى ذراعها ، وجذبها متجها بها نحو الكوخ ، في خطوات بطيئة متعشرة ، دون أن يفلتها الا بعد أن صاروا في الداخل .. وهناك أزاح المنضدة والمقعد جانبا ، وتناول « بطانية » ففرشها في تودة .. بينما وقفت « كوني » ساكنة بلا حراك ، تتفرس في وجهه الذي علاه الشحوب ، وبدا خلوا من التعبير ، شأن رجل قد استسلم للأقدار !

وأشار لها الى الفراش ، ثم أغلق الباب ، فساد الظلام .. ظلام دامس !

وفي طاعة عجيبة ، استلقت على الفراش .. واذ ذاك أحست بيده العاشقة تتلمس جسدها ، وتربت على وجهها .. ثم أدركها أخيرا ملمس قبلة ناعمة على خدها ..

وحين أفاقت ، لم تملك نفسها من التساؤل : لماذا كان ذلك ضروريا ؟ .. لماذا تحس كأنه قد أزاح غمامة ثقيلة كانت جاثمة على روحها ، ومنحها سكينه النفس ؟ .. أو كان

الامر حقيقيا ؟ .. أم انها تحلم ؟ .. ان ذهنها الانشوى
المعذب لا يزال قلقلًا ، تستعصى عليه الراحة .. أو كان الامر
حقيقيا ؟

وكان الرجل راقدا بلا حراك .. بماذا كان يشعر ؟ ..
فيم كان يفكر ؟ .. انها تجهل أفكاره وأحاسيسه .. انه
بالنسبة لها رجل غريب .. انها لا تعرفه ! .. كل ما تملكه
هو أن تنتظر .. فانها لا تجرؤ على قطع حبل هذا الصمت
الغامض الذى يشمله .. لكم هو قريب منها .. ولكم هو
مجهول منها تماما ! .. لكنه كان ساكن النفس .. صمته
ذاته كان سكينه !

ولقد أدركت ذلك ، حين نهض أخيرا .. وابتعد عنها ..
وكأنه يهجرها ! .. لقد توقف لحظات ، ثم فتح الباب
بهدوء .. وخرج !

ومن فرجة الباب لمحت هى قمرا مشرقا فوق أشجار
البلوط .. فنهضت مسرعة ، وأصلحت من شأنها .. ثم
اتجهت نحو الباب .

- ٦ -

دخلت كوني فى الصباح التالى حجرة المكتب ، فوجدت
كليفورد هناك . وما أن وقع بصره عليها حتى بدأ ثرثرته
المعتادة ، لكنها لم تع منها شيئا . إذ كان ذهنها شاردًا ،
يحوم حول ذلك الكوخ . وميلورز .. ترى أين هو الآن ؟ ..
وماذا يفعل ؟

واستيقظت من تأملاتها على صوت كليفورد يسألها :
« هل تودين أن أقرأ لك قليلا ؟ » ، فالتفت نحوه ، وتفرست
فى وجهه بامعان .. ماذا يقول هذا المجنون ؟ .. الا يعقل
الأمور ؟ .. ماذا يريد منها الآن ؟ .. ألا يدرك انها لا تطيق

الاستماع الى قراءاته المملة ؟ .. واعتذرت له بأنها تشعر
بصداع شديد ، وصعدت الى غرفتها .. حيث ظلت تتقلب
في فراشها ، حتى أرخى الليل سدوله ، فانسلت من القصر ،
وأوسعت خطاها نحو الكوخ ..

وجلست على عتبة بابه ، تنتظر عودة ميلورز الى مأواه ،
وقد ساورها القلق لتأخره .. ماذا حدث ؟ .. أياكون قد
ندم وقرر هجرانها ؟ .. وأخيرا وصل الى سمعها وقع
خطواته ، فاهتز جسدها كريشة في مهب الريح .. فلما
رآها ، قال بلهجة عطف : « آه .. ها أنت ذى قد عدت
ثانية » .. فرمقته بنظرة حب ووله ، وغمفمت : « نعم ..
لماذا تأخرت ؟ » . فربت على كتفها وهما يدخلان ، وقال :
« ألا تخشين أن تلوك الافواه علاقتنا ؟ » ، فنظرت اليه
طويلا وقالت : « ماذا تعنى ؟ » .. فأجاب : « أعنى .. أن
حضورك هكذا في جوف الليل » ، فقالت غاضبة : « لكن
أحدا لم يلحظ حضوري »

- اليوم ، نعم .. ولكن ، ماذا عن الغد ، وبعد الغد ؟
.. اتعتقدين أن علاقتنا ستظل الى الأبد سرا مكتوما ؟
فهزت كتفها باستخفاف ، وقالت : « لست أبالي ! »
- هل أفهم من هذا أنك مصرة على الحضور ، رغم كل شيء !
- نعم ، رغم كل شيء !

- ولكن ماذا يحدث لو شاع الأمر ؟ .. فكري قليلا ..
اننى شخص متواضع الاصل .. أما أنت .. ان هذا لخليق
بأن يضعك في مركز حرج .. شديد الحرج .. ماذا يحدث
لو عرف سير كليفورده وسواه بالأمر ؟ .. لسوف تصبح
سمعتك مضفة في الافواه ، مما قد يدفعك الى احتقار
نفسك !

فهزت كتفها بلا اكتراث ، وقالت :

- فى وسمى عندئذ الرحيل !
 - الرحيل ؟ .. الى أين ؟
 - الى حيث اشاء .. اننى املك عشرة آلاف جنيه ،
 وبوسمى أن أرحل الى أى مكان ، حيث لا أعرف أحدا ولا
 يعرفنى أحد !
 - إنك تنسين أنك « الليدى تشاترلى » .. أو تضحين
 بمركزك هذا من اجل خادم من خدمك ؟
 - الليدى تشاترلى ؟ .. اننى لا اهتم بذلك .. فكل
 هذه الألقاب زيف ونفاق .. ولطالما احسست برنة التهمك
 فى كل صوت كان يدعونى بهذا اللقب المقيت .. حتى أنت
 يا ميلورز ، يا من تدعو نفسك خادما من خدمى ، الا تذكر كم
 كنت تسخر منى ، خلف قناع الأدب والاحترام ؟
 - على وسلك اذن ! .. لقد أنذرتك .. فلن اكون أنا
 الخاسر على أى حال ..

- أو تعتقد اننى الخاسرة ؟

واقترب منها خطوتين ، واحاط كتفيها بساعديه القويين ،
 فرفعت يدها وأخذت تداعب خده بأناملها المرتعشة ، وهى
 تبسّم ..

- ٧ -

وفى اليوم التالى ، عاودها الشعمور بالمذلة والعار ،
 واحتقار ذاتها .. كيف سمحت لهذا الرجل بأن يلوثها ويهبط
 بها الى هذا الدرك ؟ !
 .. وصح عزمها على قطيعته ، فبذلت خلال الأيام التالية
 جهدا كبيرا فى مغالبة عواطفها .. ولازمت غرفتها ، حيث
 ذرفت دموعا غزيرة ، فقد أدركت مقدار ما انحدرت اليه

من الهوان والضعة . . لقد قاست كثيرا ، وكاد صراعها مع نفسها أن يدفعها الى الجنون !
وفي اليوم العاشر شعرت بقلق مريع ، فخرجت من القصر وسارت على غير هدى في الهواء الطلق ، وتعمدت أن تسير في الاتجاه المضاد للكوخ ، اذ كانت قد قررت ان لا ترى ميلورز ثانية ! . . لو انه كان من طبقتها لاختلف الأمر . .
أما وهو خادم أجير حقير . . !

وحشت خطواتها وهي لا تنى عن التفكير ، حتى وصلت أخيرا الى الغابة ، فجلست في ظل شجرة وارفة ، وانهمرت من عينيها الدموع . . رباه ، لا فائدة . . لا فائدة !! . . وفجأة رفعت رأسها ، فقد وصل الى سمعها صوت تهشم أعشاب جافة تحت وطء أقدام ثقيلة ، فالتفت الى الخلف بحركة غريزية ، فأبصرت ميلورز قادما نحوها ، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين ، وعيناه تقدحان شررا ، وهتفت مأخوذة : « ميلورز ! » فتوقف على مقربة منها ، وحدجها بنظرة ثابتة . . ثم قال : « ما الذى جاء بك الى هذا المكان ؟ . . هل ذهبت الى الكوخ ؟ » ، فأجابت بصوت خافت : « كلا . . ولم أكن أزمع الذهاب الى هناك ! » . . فقال بقسوة : « أحقا ؟ . . ألم تداركى بعد انه لم يعد فى وسعك الهرب من حياتى هكذا ؟ . انك ملك لى ، وستظلين كذلك الى أن يطويك القبر . . »

وتهالك الى جوارها فوق العشب ، وأحاط جسدها بساعديه وضمها الى صدره بعنف ، فبذلت جهد المستميت كي تدفعه عن نفسها ، غير أن مقاومتها لم تليث أن ضعفت ، فتلاشت ارادتها . . وتبدد احترامها لذاتها ! . . وسار الى جوارها فى الظلام حتى بوابة القصر ، حيث ودعها وعاد ادراجة ، فصعدت الدرج وقد سرى الخدر

الى اعصابها .. لقد عاد اليها شبابها ، وعادت عروقتها
تنبض بدماء الحياة .. وفجأة ، طرا على ذهنها سؤال هام ،
جدير بالتدبر : ماذا لو انجبت من .. منه .. طفلا !

واعتذرت الى كليفورد عن تأخيرها بأنها كانت فى نزهة
قصيرة ، فلم تبد عليه اية بادرة من الشك فى صدقها ، غير
ان مسز بولتن رمقتها بنظرة تحمل كل معانى الهزؤ
والاستخفاف ، اذ كانت واثقة - فى أعماقها - من أن
سيدتها كانت على موعد مع عشيق .. لكن ترى من هو ؟
.. ومن اين لها أن تجده ؟ !

وقال لها كليفورد : « ماذا تودين أن أقرأ لك الليلة ؟ » ،
فأجابت بلا اكتراث : « اننى أفضّل الاستماع الى بعض
أشعار راسين » ! .. وكان راسين شاعره المفضل ، وكان
يجد متعة فى قراءة اشعاره بصوت عال ، فأرادت ارضاءه ..
وبدا كأنه ادرك مرادها ، فتناول الكتاب وأخذ يتلو الشعر
بمذلة ومرارة ، وكانت كوني ترمقه بين الفينة والأخرى
بنظرات تفيض باليأس والقنوط .. ما ذنبه يا ربى ! ؟

وعند ما انتهى من القراءة استيقظت من تأملاتها وقالت :
« أشكرك يا عزيزى .. لقد كانت تلاوتك لشعر راسين
رائعة » ، فقال بأسف بالغ : « أنا الذى يجب أن يشكرك
يا كوني ، لانك تنازلت بالاستماع الى » .. فأجابت : « ان
أشعار راسين توحى بالتأملات والأحلام .. انها تدفع
الناس الى اجفانى .. طابت ليلتك يا كليفورد » .
وأخذ يراقبها وهى تبتعد ، بنظرات زائفة .. ولما اختفت
عن ناظره ، سقطت على خده دمعة ، وشعر فى أعماقه

بان الرباط الذى بينهما قد وهن ! .. ولأول مرة تجسمت أمام ناظريه فكرة هجرها له ، كأنها الموت ، مرعبة ، مخيفة !

وَأما « كوني » ، فما أن أراحت رأسها فوق الوسادة ، حتى راحت في سبات عميق ، فلقد فارقها الأرق والقلق ، اللذان انتقلا الى الحارس ميلورز . . فحين ودعها عند بوابة القصر في تلك الليلة ، عاد الى كوخه مهموما ، فجلس بجوار المدفأة ومد قدميه فوق مقعد أمامه ، وغرق في لجة من التفكير .

لقد عاد الى ذاكرته طيف طفولته وأيام شبابه ، وذكرى زوجته التى هجرته لتعيش مع أحد عمال المناجم ، تاركة طفلتها في كنف أمه . . تبا لها من عاهرة !

وتذكر حياته التى قضاه في سلك الجيش ، وما لاقاه من أهوال القتال في الهند ومصر . وعندما التحق بخدمة سير كليفورد تشاترلى ظن انه سيجد الراحة والسلام في هذه الضيعة المنعزلة ، ولكن ، فجأة تظهر في أفق حياته امرأة ، تسعى خلفه وتطارده ، فتعكر عليه صفو وحدته ! .. ماذا ينبغى عليه أن يفعل ؟ .. يستمر في علاقته بها ، أم يقصصها عن حياته الى الأبد ؟ .. ان ضميره يبكته على خيانة سيده المقعد ! .. وتامل في مقعده حائقا ، وشعر بأنفاسه تضيق . . يجب أن يضع حدا لهذه العلاقة الآثمة ، التى لن يجنى من ورائها سوى الشقاء والأحزان !

وأخيرا نهض من مقعده بثاقل وارتنى سترته وغادر الكوخ . كان الليل هادئا ، والدنيا غارقة في ظلام دامس ، وسرت برودة الجو الى جسده ، فتمنى لو كانت كوني بجواره في تلك اللحظة، ليضمها بين ذراعيه ويستمد الدفء من حرارة

جسمها .. ولكن ، أين تراه يجدها الآن ؟ .. لا ريب انها تنعم فى تلك اللحظة بالنوم وقد طوت جسدها بالأغطية الوثيرة ! وعندما وصل الى أسوار القصر رأى الضوء يشع من غرفة سير كليفورد ، وحاول ان يهتدى الى غرفتها .. ولما باءت محاولته بالفشل استدار على عقبه عائدا نحو كوخه . وفى تلك اللحظة اقتربت مسز بولتن من النافذة وازاحت الستائر جانبا ، فلمحت شبعا يتسلل عند باب الحديقة .. وحاولت أن تتبين ملامح وجهه فى الظلام .. وفجأة ، أنبلجت الحقيقة أمامها : انه ميلورز ! .. وقد حضر لموافاة سيدتها .. اذن ، فميلورز .. هو عشيق الليدى تشاترلى !



وانقضت أيام ، أحست كوني بعدها بشمرة علاقتها بميلورز ، تتحرك فى أحشائها ! .. ولم تدر هل آثار هذا الحدث سرورها أم حزنها ؟ .. وأخذت تقلب الأمر على وجوهه .. ماذا يحدث لو علم كليفورد بالحقيقة ؟ .. ولكن ، ترى أينبغى أن يعرف الحقيقة بحذافيرها ؟ .. كلا .. بل عليها أن تخفى شخصية والد الطفل ، فهذه الصدمة قد تفقده عقله ! .. آه لو علم أن الشخص الذى قام بوظيفته هو ميلورز .. الخادم .. الحقير .. رباه ، ماذا ينبغى أن تفعل ؟

وأخيرا استقر ذهنها على خطة ماهرة : لماذا لا تلبى - مع أبيها وشقيقتها - دعوة أحد أصدقاء الأسرة لهم لقضاء أسابيع فى « الفيللا » التى استأجرها فى (فينيسيا) .. حتى اذا ما حان وقت الوضع ظن كليفورد أن عشيقها كان ايطاليا لا يعرفه ، ويبعد عنه مئات الأميال ، فتوفر عليه مذلة الفيرة ، وتهون من شأن فعلتها !



ورحلت كوني الى لندن ، حيث مكثت اسبوعا . غير انها ما لبثت ان ضاقت بالحياة هناك وتوالها حنين الى (رجبى هول) ، والضيعة . . والكوخ ! واستقبلها كليفورد بعطف وشوق زائدين ، وظل يتحدث اليها وقتا طويلا ، ويسألها كيف قضت وقتها فى لندن . . فكانت تجيبه باقتضاب ، اذ كان ذهنها شاردا نحو الكوخ ، وميلورز ! . . ترى اما زال هناك ؟ . . وماذا يفعل الآن ؟ . . اتراه يحقد عليها لسفرها دون ان تخطر ه ؟ وعندما اوى كليفورد الى فراشه فى تلك الليلة . جلست كوني مع مسز بولتن تجاذبها اطراف الحديث ، وفجأة سألتها : « هل فقدت زوجك منذ وقت طويل يا مسز بولتن ؟ »

- منذ عشرين عاما . .
- يا الهى . . انه لعمر طويل !
- نعم ، عمر طويل . . طويل جدا !
- وهل كان يحب الأطفال ؟

- نعم ، قبل ان اضع طفلى الوحيد . . لا زلت اذكر تلك الليلة الرهيبة ، ليلة ان جاءنى المخاض . . كنت اعانى آلام الوضع ، فقبع الى جوار فراشى يراقبنى فى جمود ، وخيل الى ان صرخاتى تنفذ الى قلبه ، وان المه يفوق المي ، فلما انتهت الأزمة قلت له : « تشجع يا « تد » . . ان كل شىء على ما يرام » ، فابتسم ابتسامة شاحبة وقال : « سحقا لهذا الطفل ! . . لقد جلب لك المتاعب والآلام . . انه لظلم فظيع يحيق بالمرأة مقابل الاستمتاع بلحظة عابرة من الحب ! » . ومنذ تلك اللحظة هجر فراشى كيلا يحملنى

مثل هذا الألم مرة أخرى .. مسكين تد .. لطالما افهمته
أن هذا الألم هو دنيا المرأة ، وان جحيمة هو نصيبها !
- وهل كنت مفرمة به ؟

- مفرمة به ؟ .. لقد كنت أعشقه لدرجة الهوس
والجنون .. فهناك نوع من الرجال يسرى حبهم فى عروق
المرأة ، مسرى الدم !

فبدا الاهتمام على وجه كونى وسألتها ، وقد ذكرها هذا
القول بميلورز : « أو يصعب - فى هذه الحالة - على المرأة
الخلاص من ذلك الحب ؟ »

- أوه يا سيدتى الليدى .. ان المرأة تحمل وتلد وتقضى
العمر فى تربية طفلها وتنشئته ، وعندما يشب ويصير رجلا
تنتزعه امرأة غريبة من بين أحضانها ، فلا تحزن ولا تندم ..
بينما تموت كمدا لو اختطفت امرأة أخرى زوجها ! - واقصد
بالزوج : الزوج الرجل .. السيد !



و ذات ليلة ، ، انسلت كونى من فراشها ، واتجهت صوب
الكوخ ، كان ميلورز يتناول عشاءه فى صمت واكتئاب ، وما
كاد بصره يقع عليها عند عتبة الباب حتى كف عن الأكل وظل
فى مقعده ينظر اليها دون أن يفوه بكلمة ، فهمست بصوت
خافت : « هل تسمح لى بالدخول ؟ » ، فقال بهدوء : « بلا
ريب » ، فأردفت : « هل اعتدت تناول العشاء هكذا
متأخرا ؟ » ، فقال وهو يطرق برأسه : « نعم » ، وأكب على
طعامه من جديد !

فلما انتهى من تناول عشاءه رتب المائدة فى صمت ، ثم
خلع سترته ، ووقف أمامها متسائلا : « هل نبدا ؟ » ..

فذهلت ، وقالت مأخوذة : « نبدأ ؟ .. نبدأ ماذا ؟ » ، فلم يكف عن طريقة حديثه الهجومية المذلة ، وأجاب : « نبدأ الحياة ! » .. ثم أردف ، بسخرية مرة : « هل أغلق الباب ؟ » .. فلم تجب بحرف !

ولما عاد الى مكانه نظرت اليه في ذلة وسألته : « لماذا تتحدث الى بمثل هذه المرارة ؟ » ، فأجاب متمهلا : « هكذا انا دائما ، اذا ما عكر على أحد صفو وحدتى » ، فأطرقت برأسها وقالت :

— لن أعكر عليك صفو وحدتك طويلا .. فسوف أرحل مع أبى وشقيقتى الى ايطاليا قريبا !

— وهل سيرحل سير كليفورد معك ؟

— كلا .. لقد أثر البقاء هنا .

— وهل سيطول غيابك ؟

— ربما ..

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته كوني اخيرا قائلة :

— لقد صارحت كليفورد باننى اتوق الى انجاب طفل !

— احقا ؟ .. وماذا كان جوابه ؟

— لم يعترض .. فهو يعتقد ان ذلك بالنسبة الى يعد شعورا طبيعيا .

— ياله من بئس .. وهل تحدثت اليه بشانى ؟

— كلا ..

— هذا طبيعى .. ولكن ، ماذا سيكون تفسيرك للموقف ؟

— سوف أوحى اليه بأن لى عشيقا فى ايطاليا !

— وهل .. هل انت حبلى ؟

فهزت رأسها بالايجاب .. واذا ذاك نظر اليها ، ثم قال بمرارة :

— لقد فهمت .. اذن ، فهذا هو مادفعك الى الارتجاء فى

أحضاني .. لكى تحصلى على طفل !

— كلا .. كلا .. ليست هذه هى الحقيقة !

— اذن ، ماهى الحقيقة ؟ .. على كل حال لن أضرار بشيء
إذا أنجبت طفلا ، مادام سير كليفورد سوف يتكفل به ! ..
ولست هذه هى المرة الاولى التى احقق فيها فائدة للغير ،
دون أن تعود على فائدة ما .. حسنا ، الواقع اننى قد
تقاضيت أجرى ! .. ألسنت أعمل أجيرا عنده ؟ .. لقد
نقدنى مالا ، فوهبت زوجته سرورا ومنتعة .. وطفلا صغيرا !

فدمعت عيناها ، وهتفت :

— أقسم لك ان ذلك لم يدر بخلدى !

— على كل حال .. انبى فى خدمتك دائما يا سيدتى
الليدى !

— كلا .. لا تتفوه بمثل هذا الكلام .. لقد أحببتك دائما .

— لست أنكر اننى أحببتك أيضا .. غير ان ..

— كلا .. هذا غير صحيح .. فلو أحببتنى حقاً لما
عاملتنى بمثل هذه القسوة !

ولم يجبها ، وانما اقترب منها ، وأحاطها بذراعيه ..
ثم دفعها نحو الفراش ..

وهمست كونى بصوت خافت : « ميلورز .. صارحنى ..
هل تحببى ؟ .. وهل ستظل على حبك لى على الدوام ؟ »
فلم يجب ، وانما نظر اليها وقال :

— هيا .. آن موعد عودتك الى القصر !

— ليس فى وسعنى أن أتركك يا ميلورز !

— لقد تأخرت يا كونى ..

— لست أبالي .. لم أعد أبالي بشيء يا ميلورز !
فانحنى نحوها وقبلها ، وعاد يضمها الى صدره ..

- ٩ -

فتحت كوني عينيها في الصباح ، فوجدت نفسها راقدة في فراشه .. فذعرت وارتجف جسدها بشدة ! .. كيف جرؤت على المبيت خارج القصر ؟ .. وكيف تفسر موقفها أمام كليفورد ؟ .. ولكن ، ليحدث ما يحدث ، فما عادت تبالي بشيء ! .. وقفزت من الفراش ثم ارتدت ثيابها في عجلة ، ودخلت الى الغرفة المجاورة لتصلح من شأنها وتصفف شعرها .. وعندما عادت وجدت ميلورز جالسا في الفراش ، فسألته : « صورة من هذه المعلقة في الداخل ، يا ميلورز ؟ » فأجاب ببطء : « صورة زوجتي » .. فاقتربت منه وجلست الى جواره ، ثم قالت : « ألا زلت تحبها ؟ » .. فأجاب : « أحبها ؟ .. أوه .. كلا » ، فسألته : « لماذا اذن تحتفظ بصورتها ؟ .. لماذا لم تحرقها ؟ » ، فأجاب : « لست أدري .. الواقع ان هذه الفكرة لم تخطر على ذهني .. »

وران الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم سألته :

— أخبرني يا ميلورز .. ما الذي دفعك الى الزواج منها مادمت لاتحبها ؟

— انه القدر .. فقد كانت أول تجربة لي ، وكنت اذ ذاك غرا يافعا في العشرين ، وكانت تكبرني بخمسة أعوام ، وتفوقني خبرة وتجربة ، فاستطاعت أن تنصب شباكها حولي .. غير انني لم اوفق الى ارضاء عواطفها الشائرة التي لاتخمد .. فانتهى زواجنا بالفشل ، وهربت هي مع عشيق

لها استطاع أن يستحوذ عليها بمعاقرة الخمر وادمان المخدرات !

وتبينت كونى المرارة فى صوته ، فأحاطته بساعديها وهمست ، محاولة تغير مجرى الحديث : « هل تحبنى يا ميلورز ؟ » ، فلم يجب .. فضمته بشدة وغمغمت : « لماذا لا تجيب ؟ .. قل أنك تحبنى .. لا تدعنى أغادر هذا المكان ، ولنعيش معا حبيين الى الأبد ! » .. لكنه ظل معتصما بالصمت ! .. فقالت وقد انفعل صوتها بالفضب : « أتعلم أن ميعاد سفرى الى ايطاليا قد اقترب ؟ » .. فلم تختلج فى وجهه عضلة واحدة ، وقال بهدوء : « أحقا ؟ .. أتمنى لك رحلة طيبة » .. فأثارها هدوؤه وعدم اكترائه ، غير انها أخفت مايعتمل فى صدرها وقالت :

— ان الضرورة تحتم على الاسراع بالرحيل .. وعندما أعود سوف أبتكر قصة أبرر بها حملى ، ثم أصارح كليفورد بأننى سوف أهجره ، وأعلنه بالقطيعة .. وعندئذ يتسنى لنا أن نرحل سويا الى بلد آخر ، لنعيش حياة جديدة .. بوسعنا الرحيل الى استراليا .. أو .. شرق افريقيا !

— هل سبق لك ان زرت المستعمرات ؟

— كلا .. ولكننى على استعداد لأن أذهب الى أقصى الأرض معك .. ألسنت ترغب فى الهرب معى ؟

— بلى ، ولكن كل شىء مرهون بوقته وظروفه !

— كيف ؟ .. أراك لا تبدو عليك الלהفة على الابتعاد عن هذا المكان .. الا يسعدك أن أعيش بجوارك دائما ؟ .. ان لدى ريعا يقدر بستمائة جنيه فى العام ، وهو كفىل بأن يوفر لنا أسباب العيش .. الا تعتقد ذلك ؟

- بلا ريب . . فمثل هذا المبلغ يعتبر ثروة بالنسبة لى .
- اننى واثقة باننا سوف نكون سعداء ، لاسيما عندما
ننجب الطفل !

- الطفل ؟ . . لست أدري لماذا أشعر بالمرارة كلما جالت
هذه الفكرة بذهنى ! . . يخيل الى انه من الظلم ان ندفع
طفلا بريئا الى غمار هذه الدنيا ، المليئة بالشور !

فهمت كونى فى حلق : « ميلورز . . أرجوك . . لا تتفوه
بمثل هذا الكلام . . انه طفلنا . . وثمره حبنا . . انك بذلك
تحطم قلبى وتفجعنى فى أحلامى ! . . قل أنك سعيد ! »
فربت على كتفها بعطف ، وقال :

- اننى سعيد . . اذا كنت سعيدة ياكونى .
- أوه . . لكم أشعر بالسعادة عندما أتصور أحلامنا
وأمانينا فى طريقها الى التحقق . . بمجرد عودتى !
- ولكن ، ما فائدة عودتك الى زوجك اذا كنت عازمة على
معاودة الهرب ؟

- لقد وعدت كليفورد بأن أعود ، وسأبر بوعدى . . الى
جانب اننى سوف أعود من أجلك .

فقال بصوت تشوبه رنة التهكم والاستهزاء :
- نعم ، من أجل عشيقك . . الحارس ميلورز !
وران عليهما الصمت مرة أخرى ، وأخيرا قالت :
- أخبرنى يا ميلورز ، بصراحة . . ألا تعتقد انه من الحكمة
ان أسافر الى إيطاليا ؟

- بلا ريب . . اذ يتسنى لى خلال هذه الفترة ان أقيم
دعوى الطلاق على زوجتى ، كما يمكنك أنت الاخرى التفكير
فيما أنت مقدمة عليه . .

فأطرقت برأسها ، وقالت : « سوف أحضر لزيارتك ليلة
رحيلى . . فهل تنتظرنى يا ميلورز ؟ »

- بلا ريب .. ولكن ، ألا ترين انه من الخطورة بمكان
حضورك أثناء وجود شقيقتك بالقصر ؟
- انها تعلم ان لى عشيقا !
وسارت صوب النافذة ، وأخذت تتأمل الريح التى كانت
تزمجر فى الخارج ، والمطر الذى كان ينهمر بغزارة !

- ١٠ -

كاد كليفورد ان يفقد عقله حين اكتشف ان كونى ليست
فى القصر ! .. وأخذ يسأل عنها الخدم فردا فردا ، ولكن
أحدا لم يقرر انه رآها تخرج .. فجلس الى جوار النافذة
يراقب الريح وهى تعصف بأوراق الشجر ، وقد كادت
الدموع أن تطفر من عينيه ! .. ولاحظت مسز بولتن
مايعانيه من قلق ، فأرادت أن تبعث الطمأنينة الى قلبه ..
فأكدت له انها شاهدت الليدى تشاترلى تغادر القصر عند
الفجر ، قبل هبوب العاصفة .

ولكن كليفورد لم يقتنع بقولها : بل صاح فى غضب :
- لقد بدأت العاصفة عند الفجر .. فكيف جرؤت على
الخروج .. انه لجنون .. جنون مطبق !
وسكت قليلا ، ثم أردف : « متى غادرت القصر ؟ » ،
فأجابت مسز بولتن فى هدوء : « حوالى السادسة صباحا
يا سيدى » .. فأطرق برأسه وتمتم : « الله وحده يعلم أين
هى الآن ؟ »

.. وانقطع المطر عند الظهر ، والليدى تشاترلى لم تعد !
.. فعاد القلق يساوره ، وأخذ يتململ فى جلسته وقد علا
وجهه شحوب أقرب الى شحوب الموت .. ثم قال وهو
يضغط بأسنانه على شفته حتى كاد يدميها :

— لافائدة يا مسز بولتن .. لقد وقع لها حادث ! ..
فابحثي بمن يبحث عن جنتها في الغابة !

— اوه .. لاتقل هذا القول ياسيدى .. اننى واثقة انها
في خير حال .. وسأذهب حالا للبحث عنها .

.. وكانت تعرف أين ستجدها ! .. فاتجهت رأسا
شطر كوخ ميلورز ، لكنها قبل ان تبلغه التقت بهما في منتصف
الطريق ، فاندفعت نحو كونى بصوت مرتجف :

— اوه يا سيدتى الليدى .. ان سيدى اللورد كليفورد في
أسوأ حال ، وقد كاد يفقد عقله خوفا وقلقا عليك !

فقال ميلورز بلطف : « ان سيدتك الليدى لم تصب بسوء
يامسز بولتن .. طابت أمسيكما » ، وأدار لهما ظهره
وابتعد ! .. وما كاد يختفى عن أبصارهما حتى قالت مسز
بولتن :

— أرجو ألا تفضبنى ياسيدتى الليدى .. لقد كاد سير
كليفورد ان يبعث بالخدم للبحث عنك .. لولا اننى تدخلت
في الوقت المناسب واكدت له اننى شاهدتك تغادرين القصر
عند الفجر !

— لقد غادرت القصر فعلا عند الفجر .. ماذا في ذلك ..
الا يحق لى الخروج وقتما أشاء ؟

واشتعلت عيناها بنيران الغضب وأردفت :
— كيف سمحت لنفسك بأن تتدخل في شئونى ؟ ..
ما شأنك بى ؟

وحين وصلت الى القصر، اندفعت نحو كليفورد وصاحت
ثائرة :

— لماذا لم ترسل خدمك للبحث عني ؟
وما ان بلغ صوتها اذنيه حتى اختفت من وجهه علامات
القلق ، وابتدرها هاتفا :

— يا الهى .. أين كنت أيتها المرأة ؟ .. أين كنت فى هذه العاصفة الهوجاء ؟

— وماذا لو رفضت الاجابة على هذا السؤال ؟

فتحول لون وجهه من الاحمرار الى الاصفرار ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وارتجفت يداه بشكل ظاهر ، وفتح فمه ليتكلم .. ولكن الكلمات ماتت على شفثيه ، فشعرت كونى بالندم يفزو قلبها ، فاقتربت منه وربتت على كتفه بعطف ومودة ، وقالت :

— اننى آسفة يا كليفورد .. كان يجب أن تعلم اننى لابد قد التجأت الى مكان ما من الغابة حتى تهدأ العاصفة ..
— هيا وأبدلى ثيابك المبتلة ، اذ أخشى أن يصيبك البرد بمكروه ..

— كلا .. لن أصاب بشيء ، سيما واننى شديدة الرغبة فى القيام برحلتى الى ايطاليا
فتجهم وجهه وقال : « ألا زلت مصرة على الرحيل ؟ »
— نعم ، وسوف تحضر هيلدا مساء الخميس لتصحبنى الى لندن ، ومن هناك سوف نستقل الباخرة .. لكننى أكرر وعدى بأننى سوف أعود ثانية ، ولن أتغيب أكثر من أسبوعين او ثلاثة على أكثر تقدير .
فأطرق برأسه ولم ينبس ببنت شفة !

ووصلت هيلدا الى « رجبى هول » صباح الخميس ، تبدو على قسمات وجهها أمارات التعب والارهاق . وكانت كونى قد أعدت مستلزمات الرحيل ، فأقبلت على كليفورد تودعه بحرارة ، ثم التفتت نحو مسز بولتن قائلة : « أرجو

ان تعنى به يامسز بولتن ، وتوفرى له أسباب الراحة حتى
أعود .. أتعديني بذلك ؟ »

— بلا ريب يا سيدتى اللىدى .. بلا ريب .

ولما عادت الى حجرتها ، سألتها هيلدا : « هل أعددت
نفسك للسفر ؟ » ، فبدت على وجهها المباغطة وقالت : « اوه
يا هيلدا .. لن أرحل معك الليلة ، اذ اننى مضطرة الى البقاء
على مقربة من هنا .. طوال الليل ! » .. فانفرجت شفتا
هيلدا عن ابتسامة باهتة وقالت : « على مقربة من هنا ؟ ..
أين ؟ » .

— لعلك تعلمين ان لى عشيقا .. وقد وعدته أن أقضى
الليلة الأخيرة معه قبل الرحيل ! »

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته هيلدا أخيراً بقولها :
« لماذا لا تصرحين لى بشخصيته ؟ » .. فترددت كونى قليلا
ثم قالت : « انه حارس الضيعة » .. فشحب وجه هيلدا
وصاحت مذعورة : « كونى .. هل جننت ؟ .. لسوف
تندمين على هذه الحماقة أشد الندم ! » .. فانهمرت الدموع
فجأة من عيني كونى ، بينما وقفت هيلدا تراقبها وهى تبكى ،
فترة طويلة ، وأخيراً قالت كونى : « كلا .. كلا .. بل كنت
لأندم لو لم ألتق به ! »

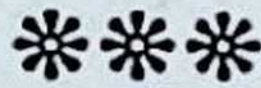
فقالت هيلدا باصرار : « سنرى يا كونى .. سوف يأتى
اليوم الذى لن تجرؤين فيه على أن ترفعى رأسك ، من فرط
الخجل والعار ! » .. فمسحت كونى دموعها وقالت :

— لست أبالى .. يكفى اننى أشعر بالسعادة تغمر قلبى
.. اننى أنتظر مولودا .. منه .. وانى لفخورة به !

— وهل أنت مصممة على الذهاب اليه هذا المساء ؟

— نعم .. لقد وعدته بذلك !

فأطرقت هيلدا براسها وقد أدركت ان من العبث الجدل
مع شقيقتها فى هذا الشأن !



وكان وداع كليفورد لكونى مؤثرا للغاية ، فقد ترقرت
الدموع فى عينيه ، وهو يتوسل اليها أن تذكره وأن تكتب
اليه باستمرار ، لأن رسائلها سوف تكون عزاءه الوحيد فى
وحدته . . فربت على كتفه فى حنو وإخلاص وقد انهمرت
من مآقيها بدورها الدموع الغزار . .
وما ان استقلت السيارة حتى استردت هدوء نفسها ،
فمسحت دموعها بأناملها وقالت : « ياله من بائس . . اننى
أعذب يا هيلدا ، ولست أدري ماذا أفعل . . لقد عزمت
عزما أكيدا على هجره ، غير ان ضميرى سوف يعذبنى على
الدوام ! »

وأدارت محرك السيارة التى اتجهت بهما صوب الكوخ ،
وخلال الطريق لم تستطع كونى أن تكتم سؤالا كان يلح على
خاطرهما ، فقالت : « لماذا تعتبرين الحب حماقة يا هيلدا ؟ »
- ليس هذا ما أرمى اليه . . وانما كان يجدر بك ، اذا
لم يكن من الأمر بد ، أن تختارى رجلا من مستواك وطبقتك !
. . أوتتخلين بمثل هذه البساطة عن لقب « الليدى تشاترلى » ؟
- انه لقب جامد لآحياة فيه . . والسعادة قد تقطن
الأكواخ أكثر مما تقطن القصور الشامخة !

- انك حمقاء يا كونى . . والذى حدث لك لا يخرج عن
نزوة طارئة ، ولدها الكبت والحرمان !
وفى تلك اللحظة وصلت بهما السيارة أمام الكوخ ، ثم
توقفت ، فهمست كونى : « هذا كووخ ميلورز » ، فقلبت هيلدا
شفتها السفلى باحتقار وقالت : « حسنا . . أتمنى لك

ليلة هائلة .. ثم فتح باب الكوخ وظهر ميلورز على عتبة ،
 فأسرعت كوني نحوه قائلة : « ميلورز .. هذه شقيقتي هيلدا »
 فتنحى عن الباب ودعاها الى الدخول ، ثم أغلق الباب
 خلفهما . وأخذت هيلدا تفحصه بنظراتها ، فبدأ - بصورته
 الجميلة ، وصمته ، وتجهم وجهه الحزين القسمات - كأنه
 أعجبها .. وقال أخيرا بهدوء : « هل أعد لكما قدحين من
 الشاي ؟ .. أم أحضر لكما زجاجة من « البيرة » ؟ »
 فقالت هيلدا في استهزاء : اننى واثقة ان البيرة تناسب كوني
 الليلة ! » . فأدرك رنة التهكم في صوتها ، وأراد ان يرد لها
 صفعتها ، فقال : « انتى أعلم أن معظم سيدات الطبقة الراقية
 يتناولن البيرة » ، فرفعت هيلدا الكوب الذى قدمه اليها
 وجرعته دفعة واحدة ، ثم قالت : « أو تعتقد ذلك ؟ »

- وانت ؟ .. ماهو رأيك الصريح فى الموضوع ؟

- حسنا .. اذا شئت الصراحة ..

- أعتقد ان الصراحة أجدى فى مثل هذه الظروف .

- حسنا .. اننى لا أنظر بعين الرضا الى العلاقة التى

بينك وبين كوني !

فتفرس فى وجهها بوقاحة ، وقال : « ولماذا .. هل
 تشعرين بالفيرة منها ؟ » .. فقفزت من مقعدها وصاحت :
 « كيف .. كيف تجرؤ .. ؟ »

- دعينا من هذه الألفاظ الجوفاء .. وأخبرينى .. ماهو

وجه اعتراضك على الأمر ؟

فهتفت كوني فى يأس وقنوط : « ميلورز .. أرجوك ..
 لا تحتد هكذا » .. فأطلق قهقهة عالية ، وأردف : « ان
 شقيقتك ، سليلة المجد والشرف ، تحاول أن تلقى على درسا
 فى الشرف » . فقالت هيلدا ، وصدرها يعلو ويهبط : « وهل

تعتقد انك تملك ذرة من الشرف ؟ « ، فلم يفضب لهذه
الاهانة ، بل استطرد :

— لماذا تلومين شقيقتك لأنها وجدت في شخصي الضعيف ،
المنقذ لها من شقائها العائلى وحرمانها الطويل ؟ .. أليست
امراة من لحم ودم ؟ .. الا يحق لها — كسواها — أن تتمتع
بالحب والحياة ؟

فلم تجب هيلدا بشيء ، ولعلها أدركت عدم جدوى مجادلة
هذا الرجل أو مناقشته ، فسارت نحو الباب . وأسرع ميلورز
خلفها ليرشدها الى الطريق ، غير انها أشارت في كبرياء
وترفع : « الزم مكانك .. اننى أعرف طريقى ! » . فقال
بتهمك : « أوكد لك انك لا تعرفين شيئا ! » .. فأجابت :
« وانا أوكد لك انك أوقح من رأيت من الرجال ! » . ثم
اندفعت نحو الخارج وهى تتعثر في خطواتها ، فأغلق ميلورز
الباب خلفها ، وقال وهو يطلق ضحكة هائلة تجلجل في
الكوخ : « كان ينبغى أن أثيرها ، حتى يخلو لنا الجو .. في
ليلة الوداع ! »

وانحنى على كونى .. فقبلها .

— انهضى ياكونى .. لقد جاوزت الساعة السابعة .
ففتحت كونى عينيها ، ثم أغمضتهما بسرعة وقالت بدلال :
— اسدل الستائر .. من فضلك !
ولعلها تذكرت شيئا كان قد غاب عن ذاكرتها فقالت :
— لشد ما يشق على فراقك يا حبيبى .. لكم أتمنى أن
أبقى بجوارك دائما !
فقال يذكرها : « ورجبى هول ؟ »
— نعم .. هذا صحيح .. يجب أن نبتعد عنها آلاف

الأميال .. سوف نرحل قريبا عن هذا المكان البفيض ، فلن
يهنا لنا عيش بالقرب منه .. أليس كذلك ؟
وهز رأسه مؤمنا على قولها .. فأردفت :

— اتعدنى بالبقاء على حبى ؟ .. عدنى بذلك ياميلورز، حتى
استمد من هذا الوعد القوة على مواجهة العقبات التى سوف
تصادفنى .. عدنى بأنه لن تقوى قوة على التفريق بيننا ! ..
عدنى بذلك ، حتى امضى سعيدة هائلة !

— اننى اكره الاغراق فى الخيال .. كل ما اعرفه انه يتحتم
عليك الرحيل بعد دقائق !

فهمت بحرقه : « او يتحتم على ذلك ؟ .. رباه ، ما أشد
شقائى ! » . وسمع طرق على الباب فى تلك اللحظة ، فأسرع
ميلورز اليه ، ثم عاد قائلا : « انه ساعى البريد ، وقد جاءنى
برسالة من صديق هاجر الى كندا ! » .. فالتمعت عيناها
وهتفت :

— كندا ؟ .. حقا ، لم لانهاجر اليها ؟

— .. انها بالفعل بلد جميل ، ويصلح لاقامة عاشقين جمع
بينهما الهوى !

فاندفعت نحوه وطوقته بذراعيها ، ثم هتفت فى جذل :
« اذن ، فأنت تحبنى .. انك تحبنى يا ميلورز »

= ١١ =

ووصلت كونى وهيلدا الى لندن ، وهناك التقتا بوالدهما
« سير مالكولم ريد » ، ثم ارتحلوا جميعا الى (فينيسيا)
— عن طريق سويسرا وفرنسا — وكانت كونى تسائل نفسها
طوال الرحلة : لماذا لم تعد تلك المناظر الطبيعية الخلابة ،
التي بهر جمالها أنفاسها من قبل ، تستهويها وتشعرها بجو
الخيال والشعر ؟ .. ترى هل أصبحت مثل القديس « برنار »

الذى عبر بحيرة (لوزان) دون ان يلاحظ ان مياهها خضراء اللون أو ان الجبال تحيط بها من كل جانب ؟ . . وانتابها شعور بالوحشة والحنين الى (رجبى هول) ، بل والى كليفورد أيضا ، كليفورد المشلول المسكين ! . . وكان عقلها الباطن دائب التفكير فى الرجل الآخر . . مياورز ! . . أجل . . يجب عليها ان تحتفظ بذكره ماثلة فى خيالها ، والا أدركها الضياع ، الضياع التام ، وسط ذلك العالم المحتشد بالآلاف الرجال الأثرياء ، الذين لا ينفكون يبحثون عن المتعة واللذة ، بلا كلال !

ووصل ركبهم الى فينيسيا فى ليلة مقمرة من ليالى الصيف الدافئة ، واستقلوا « جندولا » يقوده شاب ايطالى يرتدى قميصا أزرق اللون يدعى « جيوفانى » ، وطلبوا منه أن يقلهم الى فيلا « أزميرالدا » التى استأجرها مضيفهم ، وهو رجل اسكتلندى ، ضخمة الجثة ، خشن المظهر ، كان قد جمع ثروة طائلة فى ايطاليا أثناء الحرب .

وكانت « الفيللا » مزدحمة بغيرهم من الضيوف ، فقد كان هناك زوجان اسكتلنديان ، وكونتة ايطالية شابة ، وأرملة ، وأمير من (جورجيا) ، وقس انجليزى شاب !

وقضى ثلاثتهم فى فينيسيا وقتا ممتعا ، فكان سير مالكولم يصطحبهما لزيارة المعارض الفنية التى كانت تعرض آلاف اللوحات من زوائج الفن العالمى ، والمسارح التى كانت تعرض مسرحيات « جولدونى » ، كما ارتادوا مختلف الملامى والمتنزهات ومعالم المدينة . .

وكانوا يقضون فترة الصباح فى تعريض أجسادهم لأشعة الشمس ، وفى المساء كانوا يراقبون جموع الراقصين والراقصات ، الذين جنوا بموسيقى « الجاز » ، واختلطت هيلدا بالنساء اللاتى كن يقضين أوقاتهن فى تتبع حركات

غيرهن من الحسان، والثرثرة عن مغامراتهن وغرامياتهن ! ..
أما الرجال فقد كانوا - في سراويلهم البيضاء - أشبه
ما يكونون بالكلاب حين تقبع في انتظار يد حانية تربت على
ظهرها !

وشعرت كوني بالنعاسة ! .. انها لا تشهر بالرغبة في
الرقص ، فقد كانت فكرة التصاق جسدها بجسد واحد من
تلك ((المخاوقات)) ، تبعث في نفسها التفرز والاشمئزاز !
.. وكانت أسعد أوقاتها هي تلك اللحظات التي تستقل فيها
« الجندول » مع شقيقتها ، فتعبران بحيرة (لاجون) الى
الشط الآخر ، حيث تخلع كل منهما ملابسها ، وتسبحان في
الماء بمفردهما !

وكرس « جيوفاني » ، نوتى الجندول ، كل وقته لخدمة
السيدتين الجميلتين ، كما فعل من قبل بالنسبة « لشحنات »
قاربه من النساء ، وكان يتمنى أن تعجب به أحدهما ، فتخلع
عليه هداياها الثمينة ، ومن ثم يصبح في وسعه أن يتزوج !
وكانت كوني تعود - في كل مرة - وقد استولى عليها
الذهول ، واستسلم عقلها للنعاس ، من جراء انعكاس أشعة
الشمس فوق سطح البحيرة ، لتجد في انتظارها خطابا من
كليفورد - فقد كان يكتب اليها بانتظام - وذات يوم كتب
اليها يقول :

« لقد استمتعنا أخيرا بفكاهة رائعة : اذ يبدو ان زوجة
حارس الضيعة « ميلورز » قد عادت فجأة الى الكوخ ، غير
ان زوجها طردها شر طردة وأغلق دونها الباب . وتقول
« التقارير » التي استقيتها من مسز بولتن ان ميلورز عندما
عاد من الغابة ، وجدها ترقد في فراشه « حارية » كما ولدتها
أمها - بعد ان كسرت إحدى النوافذ واقتحمت الكوخ ! -
ولما لم يجد طريقة لأجلائها ، انسحب الى منزل أمه ! ..

وهكذا احتلت « فينوس » الكوخ الذى تدمى شرعية حقها فى احتلاله ، بينما انسحب « أبوللو » الى قواعده ، سالما !! «
وكان وقع خطاب كليفورد كالصاعقة على اعصاب كوني ، واجتاحها الغضب والفيظ !.. لماذا تواتى الفبى عن التخاص من زوجته منذ زمن طويل ؟ .. وبعد ان قلبت الامر على وجوهه ، كتبت كوني الى مسز بولتن ، تستفسر عن تفاصيل الموضوع !

وفى تلك الاثناء ، وصل الى فيلا «ازميرالدا» ، فنان شاب ، رقيق العاطفة ، من اصدقاء كوني القدامى ، فالف مع كوني وهيلدا ثالوثا لايفترق فى نزعات الجندول ، وصار يلازمهما اكثر الوقت ..

وذات يوم ، تسلمت كوني خطابا من مسز بولتن تقول فيه :
« لاشك انك سوف تشعرين بالسرور والغبطة ، ياسيدتى الليدى ، عندما يقع بصرك على سير كليفورد ، فقد تقدمت صحته بشكل ظاهر ، وبدأ يقبل على الحياة بأمل وحبور .
« لست أعلم الى أى حد من التفصيل ذهب سير كليفورد فيما كتبه اليك بصدد موضوع الحارس ميلورز . والذى أعلمه ان زوجته « برتا كوتس » قد هادت اليه ذات مساء ، قائلة انها أتت لتعيش فى كنف « زوجها » - اذ يبدو أن ميلورز لم يكن قد أتم اجراءات الطلاق منها - غير أنه رفض أن يسمح لها بدخول الكوخ ، وعاد الى الغابة دون أن يفتح لها الباب !

« ولما عاد فى اليوم التالى ، دخل الكوخ فوجدها ترقد فى فراشه ، عارية حتى من ورقة التوت ! .. فعرض عليها نقودا ، لكنها تمسكت بأنها زوجته الشرعية ، وان لها عليه حق الايواء . فأجابها ميلورز بقوله انه يؤثر أن يدفن ويهال عليه التراب ، على أن يعود اليها !

« وفي اليوم التالي ، ذهبت الزوجة الى الكاهن ، وهي تسب وتصخب وترمي ميلورز بكل النقائص والاتهامات ، وادعت انه كان يصحب نساء الى الكوخ ، وانها عثرت هناك على زجاجة عطر وبعض أعقاب السجائر ملوثة بأحمر الشفاه ، ووصفت للجميع في وقاحة بالفة ما كان يقترفه معها من أفعال شاذة أثناء حياتهما معا ، حتى أصبح الناس يتحاشون لقياءه ، كما لو كان « المركيز دى صاد » عينه ! »

وعاد الغضب يجتاح كوني من جديد .. ما الذى دعاه الى أن يتزوج من تلك المرأة المتبذلة ؟ .. ربما كان لديه استعداد طبيعى للأمور المتبذلة والمنحطة ! .. وعادت الى ذاكرتها الاوقات السعيدة التى قضتها معه ، فمرت الرعدة فى جسدها .. لا بد انه قد وجد متعة أخرى فى أحضان امرأة على شاكلة « برتا كوتس » .. وأحست بفثيان ، وانتابها الخوف والقلق ، وتاقت الى أن تسمو بنفسها عن الدرك الذى تردت اليه ! .. وباه ، ماذا يكون من أمرها لو أن كليفورد عرف شخصية عشيقها ؟ .. انه لأمير بايع الاذلال لها !

ولم تتمالك ان كتبت خطابا الى « مسز بولتن » ، أرفقت به مذكرة وجهتها الى ميلورز ، قالت فيها :
« لقد أحزننى أشد الحزن ، ما بلفنى عن المتاعب التى صادفتك من زوجتك ، لكنى أرجو ألا تعيرها اهتماما .. انها امرأة مخبولة ، أفقدها الكبر صوابها ! .. سوف أعود بعد عشرة أيام ، وأرجو ان يكون كل شئ - حينئذ - على ما يرام »

وكتب اليها كليفورد يقول :
« لقد طفى على السرور عندما تسلمت خطابك الذى

حددت فيه موعد عودتك ، فلكم اشتقت الى رؤياك .. ولكن ، اذا كنت تقضين وقتا هنيئاً ، فلا داع لأن تعجلى بالعودة ، فمن الضروري أن تستمتعى بكفايتك من أشعة الشمس ، وارتداء البيجامات !

« أن مسز بولتن تبذل اقصى جهدها لتكفل لى الراحة ، مما يجعلنى أعجب لذلك النوع من البشر ، الذى يبذل نفسه فى خدمة الآخرين ، دون أن ينتظر جزاء ولا شكوراً ! .. انها توافينى بأنباء فضيحة الحارس أولاً بأول ، وهى تذكرنى بالسمة التى - رغم كونها خرساء - تستنشق الشائعات من خلال خياشيمها ! .. ويوسفنى أن أقول اننا على وشك أن نخسر حارس غابتنا ، بعد ان انتشرت الفضيحة وذاعت

على كل لسان ، فقد اتهمته زوجته بأشنع التهم ، بل لقد فازت بتعصيد كافة نساء عمال المناجم بالبلدة ! .. وقد بلفنى انها ضربت حوله حصاراً محكماً فى منزل أمه ، وفى إحدى المرات اقتنصت ابنتها الطفلة عند عودتها من المدرسة .. غير ان الصغيرة ، بدلا من ان تقبل يد أمها ، عضتها عضه

موجعة ، فانفجر مرجل غضب الأم ، وانطلقت فى البلدة تردد أدق تفاصيل حياتها الخاصة مع زوجها ! .. فاضطرت الى أن استدعى ميلورز فأسأله عما اذا كان بوسعه أن يقوم بواجباته فى الغابة ، فأجاب بأنه لم يهمل القيام بها ، واذ ذاك سألته ان كان بوسعه ان يجد له عملاً آخر ، فأجاب قائلاً : « اذا كنت تقصد انك تريد أن تتخلص منى ، فأنى على استعداد لأن أقدم لك استقالتي فوراً ! »

« وعرضت عليه مرتب شهر اضافى ، غير انه نظر الى بأنفة وكبرياء ، وقال انه لا يقبل سوى حقه ! »



وكان لخطاب كليفورد تأثير سيء على كوني ، فقد أظهر بجلاء مدى أنانية كليفورد وعدم اهتمامه بمشاعر الغير ، سيما من كانوا أقل منه مركزا ومقاما . وعزز هذا الظن أن وصل خطاب من ميلورز يقول فيه :

« لقد انطلقت النمرة من قفصها ، تنشب مخالبتها وتفترس كل من يجرؤ على أن يعترض سبيلها ! .. فقد انتهى الأمر بزوجتي الى أن تلوك سيرتك ، حتى وصلت الأقاويل الى مسامع سير كليفورد ، فاستدعاني وفاجأني بأن زوجتي قد أخبرته انها عثرت في كوخى على كتاب ممهور باسمك ، وطلب منى أن أفسر له هذا الامر ، فقلت له اننى أحتفظ أيضا بصورة للملكة فيكتوريا ، ممهورة بامضائها ، ولم يسألنى أحد ان أقدم عنها ايضاحا ! .. غير انه اخذ ينحى على باللوم والتأنيب ، قائلا ان احتفاظى بالكتاب في الكوخ قد أمد زوجتى السليطة اللسان بالسلاح الذى طعنت به سمعة زوجته ، وانه مضطر الى الاستغناء عن خدماتى .. ثم عرض على مرتب شهر ، تعويضا عن الضرر الذى حاق بى .. فأجزلت له الشكر .. غير اننى رفضت منحته ، وغادرت الكوخ الى غير رجعة ! »

وأحست كوني بالامتنعاض .. فان ميلورز لم يشر اليها فى رسالته بحرف ، واكتفى بذكر ما حدث دون تعليق ، تاركا لها مطلق الحرية للعودة - اذا شاءت - الى كليفورد ! .. لماذا يتصرف بمثل هذه الشهامة ؟ .. وودت لو انه واجه كليفورد صراحة فقال له : « ان زوجتك عشيقتى .. واننى لفخور بذلك ! » .. غير انها كانت واثقة من ان شجاعته لم تكن لتدفعه الى هذا الحد !

وظلت كونى فى (فينيسيا) تمارس هوايتها المفضلة ،
وهى التجديف مع « دنكان فوربس » الذى كان مفرما بها
منذ عشر سنوات ، والذى استيقظ غرامه بها بمجرد رؤيته
اياها ! .. غير انها صارحته من فورها بأنها لم تعد تطمع فى
مغامرة عاطفية مع أى رجل ! .. فاكفى منها بمتعة وجوده
الى جانبها ، ومجاذبتها الحديث !

- ١٢ -

وقروت كونى أن تغادر (فينيسيا) فى نفس اليوم الذى
يرحل فيه ميلورز عن (رجبى هول) ، فيصلان الى لندن فى
نفس الوقت بعد ستة أيام .. فلما عرف دنكان بقرارها هذا
عرض عليها أن يرافقها !

وفى القطار ، جلست كونى بجوار أبيها ، مطرقة برأسها ،
وقد شرد فكرها بعيدا .. ولاحظ والدها وجومها وصمتها ،
فأخذ يتأمل وجهها الذى لفحته حرارة الشمس واكسبته
فتنة تخلب الأبواب ، وأخيرا قطع الصمت الذى كان يرين
عليهما بقوله : « أراك لست متحمسة للعودة الى (رجبى)
يا كونى ؟ .. أليس كذلك ؟ » .. فرفعت بصرها نحوه ،
بنظرة ساحرة من عينيها الزرقاوين ، وأجابت :

- لن أعود الى (رجبى) !

- هل تعنين انك سوف تقضين بعض الوقت فى باريس ؟

- كلا .. أعنى أننى لن أعود الى (رجبى) بتاتا !

- لماذا ؟ .. هل حدث بينك وبين كليفورد شيء يدعوك
الى هجره ؟

- كلا .. كل ما فى الامر اننى انتظر مولودا !

وبذل سير مالكولم جهدا كبيرا كى يحتفظ برباطة جأشه ،
قال :

- انه بالطبع ليس ابن كليفورد ؟
- كلا . . انه ابن رجل غريب . . لا تعرفه !
- اليس ثمة أمل فى اصلاح ذات البين بينكما ؟
- أوه . . لقد قال لى كليفورد صراحة انه لا يعير الأمر اهتماما لو انجبت طفلا من رجل آخر !
- يا الهى . . ما كنت أحسب انه يتمتع بمثل هذا الافق المتسع !

ولما وصلت كونى الى لندن ، وجدت فى انتظارها خطابا من ميلورز يقول فيه : « ليس من الحكمة أن اقوم بزيارتك فى الفندق . . أرجو مقابلتى فى حانة (الديك الذهبى) التى تقع فى شارع آدم ، حوالى الساعة الساعة مساء »

وما أن شاهدته قادما نحوها ، حتى عاودها ذلك الاحساس الداخلى بالدفع ، الذى لم تفلح شمس فينيسيا فى بعثه فى كيائها ! . . يا الهى . . لكم يبدو شاحبا ! . . لا بد وانه قد قاسى كثيرا . . أما هو فوقف أمامها وقد ألجم لسانه ، وراحت نظراته تذرعهما من قمه رأسها الى أخمص قدمها ، ثم عادت الى الصعود حتى استقرت على وجهها ! . . وأخيرا قال لها فى صوت هامس ، ينبض بالعشق والهيام : « لكم أنت فاتنة ! »

وفى داخل الحانة طلب لها شرابا ، أخذت تجرعه فى بطء ، وعيناها لا تفارقان عينيه . . وفتحت كونى فاهها لتتكلم ، غير انه قاطعها سائلا :

- هل ما زلت واثقة من انك تنتظرين مولودا ؟
- نعم .. لقد أكد لى الأطباء النبأ السعيد .. ألا يفهم هذا النبأ بالفبطة والسعادة ؟
- نعم ، ولا .. اذ اننى أخشى المستقبل !
- وحز الألم فى قلب كونى ، فأطرقت برأسها وهمست :
- هل ترغب فى ان أعود الى كليفوردا ؟
- وهل ترغبين فى ذلك ؟
- كلا .. اننى أريد ان أعيش الى جوارك الى الأبد !
- ولكننى انسان متواضع ، ولا أملك من متاع الدنيا شيئا .. أتعتقدين ان كرامتى واحترامى لنفسى يسمح لى بأن أعيش معك .. لمجرد اشباع رغباتك ؟
- أرجوك يا حبيبى .. لا تغمط نفسك حقها .. أنا تملك قوة قد لا تتوافر فى أعظم الرجال .. قوة الحنان والرقه !
- وهل تعتقدين انها تكفى ؟ .. أجل ، اننا نحب أحدهم الآخر ، ولكن ، يجب على الرجل أن يوفر لزوجته « معنى لحياتها معه !
- أراك تحاول أن تنتحل الأعذار .. كأنما تخشائى !
- اننى لا أخشاك انت .. وانمما أخشى العالم الذى يتمثل فى حياتك الحاضرة .. عالم الثروة والمركز الاجتماعى
- أرجوك يا حبيبى .. لا تقل هذا .. اننى على استعداد لأن أعيش معك .. جارية !!
- ونظر اليها ميلورز فى حنان ، فأدركت كونى انه قد بدى يستسلم لسحرها ، وظهرت على وجهه امارات العاطف الدافقة ، فأمسك بذراعها وقادها خارجا ، ثم سارا فى سرعة ولهفة حتى وصلا الى غرفته ، الحقيبة الأثاث ، والتي كانت تقع فى اعلى احدى العمارات !

وما ان أغلق الباب خلفها حتى ألقت كوني بذراعيها حوله ،
ضمته اليها بعنف ، وهتفت في حرقرة : « قبلنى يا حبيبى
قبلنى وقل انك لن تهجرنى ، واننا سوف نعيش سويا
الى الأبد ! »



وأفضت كوني الى أبيها بشخصية عشيقها ، فلما علم انه
كان يعمل فى خدمة زوجها أظهر امتعاضا ، غير انه سرعان ما
دا على محياه الرضا والسرور . . بل لقد كان يغبطها فى
سره ، فقد طالما أشفق عليها من اضطرارها الى أن تعيش
مع زوج عاجز مشلول ! . . وفى نهاية حديثهما ، طلب والدها
منها ان تعرفه بعشيقها !

واستجاب ميلورز لطلبه وحضر لزيارته . فأخذ الأب
ناقشه فى شئون حياته ويستفسر منه عن ماضيه ، فأجاب
ميلورز على أسئلته بصراحة تامة ، وبلا لف ولا دوران ، مما
عث الغبطة فى نفس الأب . . فلما انصرف ميلورز التفت
مير مالكولم الى ابنته وقال وهو يفرك يديه ارتياحا :
- يبدو انك قد عثرت أخيرا على الرجل المناسب !



وفى اليوم التالى ، تناول ميلورز غداءه بصحبة كوني
هيلدا ، فى مطعم منعزل . . ولما انتهوا من تناول الطعام
تفتت هيلدا الى ميلورز وقالت : « أعتقد ان الحكمة توجب
لا يظهر اسمك عند السير فى إجراءات طلاق كوني من
وجها ! . . ومن الأفضل أن نبحث عن شخص يقبل تحمل
مسئولية الجنين الذى تحمله كوني ! » . . فنظر ميلورز
بها مذهولا ولم ينبس بكلمة ، غير أن هيلدا استرسلت

قائلة : « وأعتقد اتنى أعرف الشخص الذى قد يقبل القى
بهذا الدور .. » ، فقاطعتها ميلورز : « ولكن ، ما الذى
يدعو هذا الرجل الى تحمل تبعه عمل لم يقم به ، وما الفائد
التي تعود عليه من ذلك ؟ » ، ثم التفت الى كوني وقد
الفضب فى عينيه ، وقال : « أترأه .. ؟ » .. فتدارك
هيلدا الموقف قائلة : « كلا ، فليس له فيها أى مأرب .. وا
هو من ذلك النوع من الرجال الذين تعتمل الشهامة
صدورهم ، دون اعتبار لما قد ينالونه من المرأة .. انه
اصدقائنا القدامى ، منذ كنا أطفالا فى اسكتلندا !
- وما اسم هذا الشخص ؟

- انه يدعى « دنكان فوربس »
- لا أدري لماذا لا ارتاح الى هذا الاقتراح !
- انه الحل الوحيد .. فلو عرف الناس علاقتك بكوني
لأصبح طلاقك من زوجتك فى حكم المستحيل !
وأطرق ميلورز برأسه ، وقد أدرك وجاهة منطقها ، ورا
عليهم صمت طويل ، قطمته هيلدا قائلة :
- اذا كنتما ترغبان فى العيش سويا فى ظل القانون والعرف
ينبغى عليكما أن ترتبطا برباط الزواج .. ومن الضرورى
فى هذه الحالة - أن يحصل كل منكما على الطلاق من
زوجه .. اليس كذلك ؟ »

وكتبت كوني الى كليفورد تطلب منه أن يطلقها ، وشرحت
له انها قد عشقت « دنكان فوربس » - وكانت قد تحدثت
مع كليفورد عنه كثيرا - وانها تنتظر منه مولودا ، لذلك
تشعر ان من حق طفلها عليها أن يتربع فى كنف أبيه
الحقيقى !

وطرقت مسز بولتن باب غرفة سير كليفورد. فلما لم تسمع جوابا فتحت الباب ودخلت ، فوجدته راقدا في فراشه وقد تحجرت عيناه ، ذاهلا عما حوله ! .. وكان خطاب كوني ملقى فوق الأرض بجوار الفراش .. فنظرت اليه بحنان ، واقتربت منه في هدوء ، قائلة : « سير كليفورد .. سير كليفورد ! » .. لكنه بدا كالفأب عن وعيه ، فسرى القلق والخوف الى نفسها وهتفت : « سير كليفورد .. ما خطبك ؟ .. هل انت مريض ؟ »

واذ ذاك استعاد كليفورد وعيه ، وادراكه للكارثة التي انقضت عليه كالصاعقة ، فانفجر يبكي وينتحب كطفل صغير ، وهو ينشج من خلال دموعه : « لقد هجرتنى .. هجرتنى .. الى رجل آخر ! » .. فاقتربت مسز بولتن منه وجلست على الفراش بجواره ، ثم احاطت منكبيه العريضين بذراعيها الحانيتين ، وضمتة الى صدرها ، وأخذت تهدده وتمر بيديها في خصلات شعره ، وتبثه كلمات العزاء ، محاولة أن تسرى عنه ، قائلة : « لا بأس يا سيدى .. لا تحزن .. لا بأس » .. فتشبث كليفورد بها ، وأراح رأسه فوق صدرها ، فبللت دموعه المنهمرة مرولتها ، وصاح : « لقد وعدتنى أن تعود .. وعدتنى أن تعود ! »

وكتب كليفورد الى كوني في منزل أبيها بلندن ، يقول : « لست أرى داعيا لأن أصف لك مقدار ما أصابنى من الحزن والحزن ، حين تسلمت خطابك الأخير . وليس لدى من رد عليه سوى : يجب أن تحضرى الى هنا بنفسك ، حتى نناقش الأمر فيما بيننا ، قبل أن أبت برأى بصدد الطلاق .. وأود أن ألفت نظرك الى انه - في حالة عدم استجابتك لطلبى

المتواضع - سوف انتظر حضورك يوما ما .. حتى لو
هذا اليوم بعد خمسين عاما ! »

وأدركت كونى فورا أنه كان يحاول أن ينتقم منها ! ..
يهددها - تحت ستار من الأدب - بأن يتركها هكذا ((معاقة))
لا بالمتروجة ولا بالمطلقة ، ومن ثم يحرمها من العيش مع
غيره ! .. فقضت ليلتها مسهدة ، تتقلب فى فراشها ، وه
تحاول أن تجد لمشكلتها حلا ! .. وأخيرا هداها تفكير
الى أن تستجيب لطلبه ، وتذهب الى (رجبى هول)
بصحبة هيلدا !

ولم يكن كليفورد فى القصر ليرحب بها ، بل كان فى جول
المعتادة فى الخارج ، فراحت تجوب انحاء القصر وقد ع
القلق قلبها ! .. وفى موعد العشاء حضر كليفورد ، فقابلا
بترحيب تشوبه مظاهر الأدب « الرسمية » .. وأخيرا
صبرها ، فلم تتمالك أن هتفت :

- حسنا .. ماذا قررت ؟

- هل لى أن أعرف السبب الذى دعاك الى أن تهجر
بيتك ومسئولياتك ؟
- انه الحب !

- الحب لدنكان فوربس ؟ .. لكنك لم تريه جديرا بحبك
حين التقيت به ، فى الماضى ، بل فضلتنى عليه .. فهل تغير
انك تحبينه الآن أكثر من أى شىء آخر فى الحياة ؟
- ان شعور الانسان يتغير !

- قد يكون هذا صحيحا .. قد تكون لك نزواتك . ولكن
عليك مع ذلك أن تقنعينى بأهمية هذا التغير . اننى
ببساطة ، لا أصدق قصة حبك هذا لدنكان فوربس !

- وما لزوم تصديقك ؟ كل ما ينبغى عليك هو أن تطلقنى
لا أن تصدق مشاعرى أو لا تصدقها !

— ولماذا أطلقك ؟

— لاننى لا أريد أن أعيش هنا بعد الآن . وأنت نفسك لا تريدنى !

— بل اننى لم أتغير . وانى لأفضل — من جانبى — أن نظلى تحت سقفى ، موفورة الكرامة ، تاركة جانبا مشاعرك الخاصة . . فان الموت أهون على من تحطيم حياتنا اليومية التى لفناها هنا فى (رجبى) ، لمجرد اشباع نزوة من نزواتك ! فلاذت كونى بالصمت لحظات ، ثم أجابته :

— لا أستطيع . . لا مفر لى من الذهاب . . سيما واننى انتظر مولودا . .

— أو من أجل الطفل تذهبين ؟

— نعم . .

— حقا ؟ لكننى أريد الاحتفاظ بزواجى ، ولست أرى سببا للتفريط فيها . . فاذا أرادت أن تنجب طفلا ، تحت سقفى ، فمرحبا بها ، وبالطفل . . بشرط المحافظة على مظاهر اللياقة ، ونظام الحياة المألوفة . . أو تعين أن دنكان فوربس له عليك قبضة وتأثير أقوى مما لى ؟ . . لا أصدق . .

— ألا تفهم ؟ . . اننى يجب أن أذهب . . أريد أن أعيش مع الرجل الذى أحبه !

— انك أذكى من أن تقنعى نفسك بقصة حبك لهذا الرجل ! . . وصدقينى ، انك تبالين بى — حتى هذه اللحظة — أكثر مما تبالين به . . فلماذا أسلم سلاحى وأقبل الهزيمة أمام هذا الهراء ؟ !

وأحست انه على حق . . وانها لن تملك كتمان الحقيقة أكثر مما كتمتها . . فرفعت وجهها نحوه وهتفت ، فى انطلاقة يأس :

— لأنه ليس « دنكان » من أحبه ! . . لقد ذكرت لك

أنه دنكان لمجرد تجنيبك الألم وعدم خدش مشاعرك !
 - عدم خدش مشاعرى ؟

- نعم ! .. لأن الرجل الذى أحبه حقيقة - (وهو الذى
 الذى سوف تمقتنى من أجله) - ليس سوى مس
 « ميلورز » ، الذى كان يعمل حارسا عندنا !
 .. ولو استطاع أن يقفز من مقعده ، لفعل .. فق
 اصفر وجهه ، وجحظت عيناه وهو يحدق فيها بنظرة
 انهار تحت وطأة كارثة قارعة ! .. ثم تراخى فى مقعده وه
 يلهث ، ورفع عينيه نحو سقف الحجرة ..
 .. وأخيرا اعتدل فى جلسته ، وسألها وقد كست وجه
 مسحة من البشاعة : « أواثقة أنت من انك قد تفوه
 بالحقيقة ؟ »

- نعم ! .. أنت تعلم ذلك .
 - ومتى بدأت علاقتك معه ؟
 - فى الربيع ..

وكوحش أعتقل فى قفص ، حدق فيها وهو يتكئ على
 ذراعى المقعد .. ثم صرخ : « يا الهى ! .. انك ينبغى أن
 تمحين من على ظهر الأرض ! »

فتساءلت بصوت خائر : « لماذا ؟ »

لكنه استطرد ، وكأنه لم يسمعها : « ذلك الجلف الحقير ! ..
 القدر ! .. الخائن ! .. أو كنت على علاقة معه وهو واحد
 من خدمى ؟ ! .. يا الهى ، أما من حدود لدناءة النساء
 البهيمية ، وانحطاطهن ؟ ! .. ومعنى ذلك انك ترمعين انجاب
 طفل من جلف كهذا ؟ »

- نعم ..

- ومنذ متى عرفت ذلك ؟

- منذ شهر يونيه ..

وعجز عن الكلام ، وقد ارتسمت في عينيه نظرة جوفاء ،
بلهاء ! .. نظرة بفض عارم ، لا يمكن السيطرة عليه ، أو حتى
وصفه .. شأن شخص لا يملك حتى أن يقبل مجرد ((وجود))
ميلورز في محيط حياته !

- وهل تنوين الزواج منه .. وحمل اسمه القدر ؟

- نعم .. هذا ما أبغيه !

- ذلك يثبت صدق رأيي فيك الذي اعتنقته على الدوام :
انك لست طبيعية .. انك فاقدة القوى العقلية ! .. من
أولئك النساء المنحلات ، نصف المخبولات ، اللواتي يستمتعن
بالتمرغ في الوحل !

وبعد ان تركته ينفث غضبه حتى يهدأ ، سألته : « ألا
ترى من الافضل أن تطلقني وتنفض يدك من الأمر ؟ »
- كلا ! في وسعك ان تذهبي الى حيث تشائين .. لكنى
لن أطلقك !

- ولم ؟ .. أو تترك الطفل ينتسب اليك ، ويرث ممتلكاتك ؟
- لست أبالي بشيء يتصل بالطفل !

- لكنه اذا جاء ذكرا سوف يكون ابنك شرعا ، ويرث
لقبك ، ثم تؤول اليه ضيعة (رجبى هول) !
- لا يهمنى ذلك !

- لكنه يجب أن يهملك ! .. سوف امنع الطفل من أن
ينتسب اليك ، ما استطعت .. بل انى أفضل ان يكون ((غير
شرعى)) وينسب الى .. اذا لم يمكن أن ينسب الى ميلورز !
- افعل ما يروق لك !

- ان في وسعك ان تطلقني ، متخذا « دنكان » حجتك ،
دون أى داع لظهار الاسم الحقيقى . ان دنكان لايمانع فى ذلك .
- لن أطلقك ! .. مهما طال الأمد !

— ولكن لماذا ؟ .. الآننى أريد الطلاق ؟

— لاننى أتبع ميلى الشخصى . ولست أجد فى نفسى ميلا لذلك !

لم تكن ثمة جدوى ! .. فصعدت كونى الى حيث كانت « هيلدا » تنتظرها ، وأطلعتها على الموقف .. فقالت اختها : « يحسن بك ان ترحلى غدا ، وتتركه حتى يعود الى صوابه . »

قضت كونى نصف ليلتها تجمع حاجياتها الخاصة وأمتعتها الشخصية .. وفى الصباح أرسلت حقائبها الى المحطة ، دون ان تخطر كليفورد . كانت تنوى ان تراه لتودعه فقط ، قبيل الغداء . ثم تحدثت الى مسز بولتن مودعة ، وأطلعتها على شخصية عشيقها ، موصية اياها بأن تتكتم الأمر ، وان تخطرها اذا لمست من مستر كليفورد استعدادا لتطليقها .. « فأننى أحب ان يربطنى الزواج الشرعى بالرجل الذى أحبه . » — انا موقنة من ذلك ياسيدتى الليدى . اواه ، فى وسعك ان تشقى بى . **لسوف أكون مخلصه لسير كليفورد ، ومخلصة لك فى الوقت نفسه ، فانى أدرك أن كليكما على حق !** فشكرتها « كونى » ، وأهدتها تذكارا اختارته لها .. ثم غادرت مع شقيقتها (رجبى هول) — للمرة الاخيرة — الى اسكتلندا ..

وكان ميلورز قد استقر فى اقليم (اولدهينور) حيث وجد عملا فى مزرعة (جرانج) ، وفى عزمه أن يحصل على الطلاق من زوجته ، سواء حصلت كونى على طلاقها أم لا .. وكان قد أعد خطته على أساس ان يعمل بلا توان لمدة ستة أشهر ،

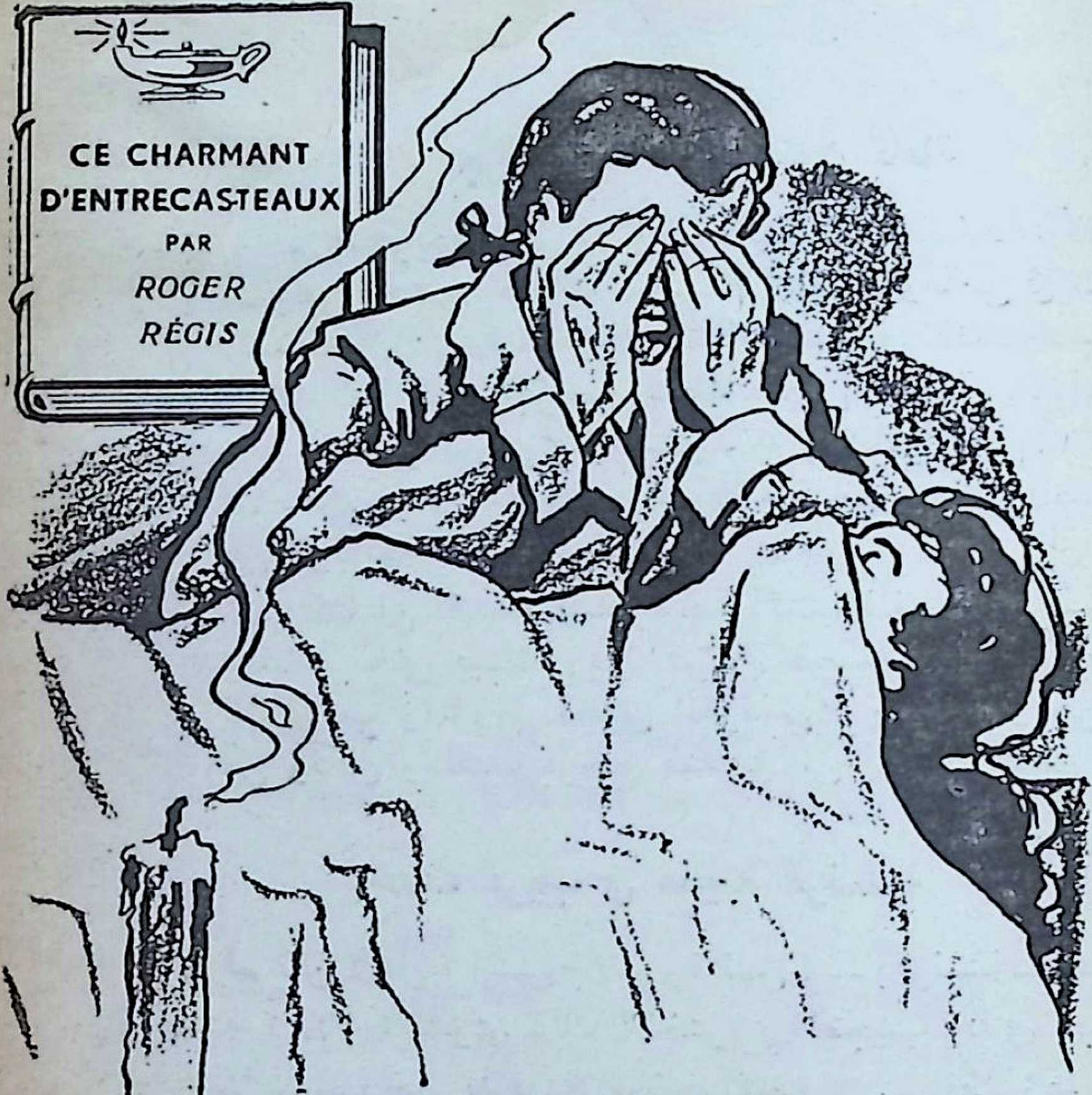
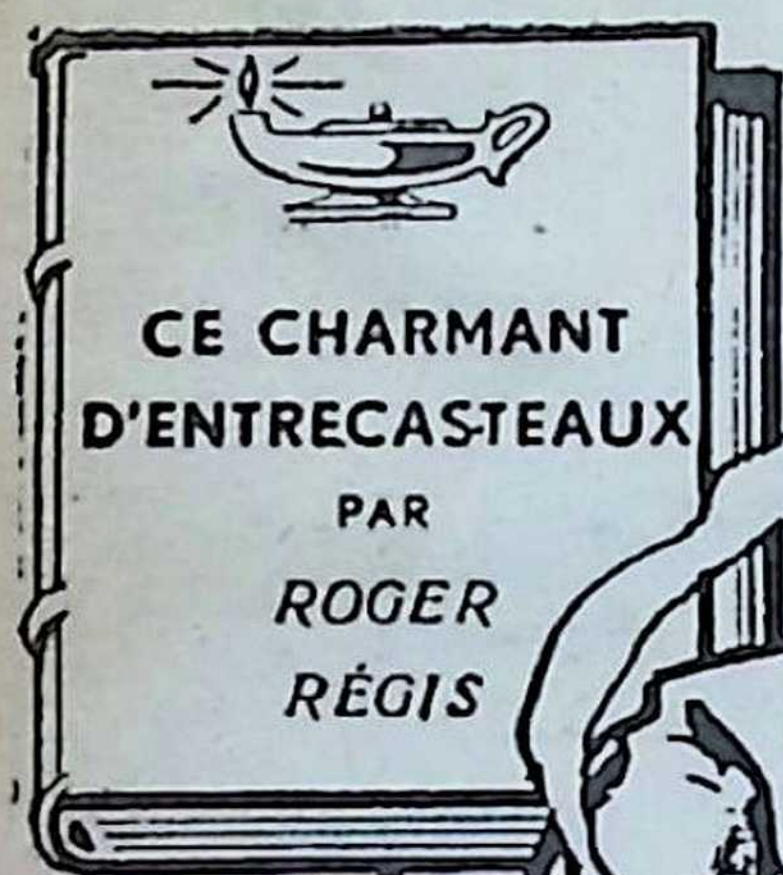
يبتاع بعدها بالاشتراك مع كوني مزرعة صغيرة خاصة بهما ، ويكرسان لها جهودهما ونشاطهما الكامل . . . ومن ثم كان عليهما أن ينتظرا حلول الربيع ، ومولد الطفل . . . وفي آخر سبتمبر ، تلقت كوني من ميلورز الرسالة التالية :

« لقد حصلت على عملى فى المزرعة بوساطة مهندس عرفته فى الجيش ، أيام الحرب . . . وأنا اتقاضى عن هذا العمل ٣٠ شلنا فى الأسبوع ، لكننى استغل وقت فراغى فى إعطاء دروس خاصة لابنة الأسرة التى أقطن معها . وهم قوم محترمون ، يعطفون على . . . أما بشأن طلاقى فأمل أن أظفر به إذا تدرعت بالصبر والمسامحة حتى شهر مارس . . . أما أنت فأنصحك ألا تبالى بموقف سير كليفورد ، فإنه لن يلبث أن يسأم العناد ويسعى إلى الخلاص منك . وحتى لو تركك وشأنك فى سلام ، فهذا وحده كسب كبير .

« ان المجتمع الكادح الذى أعيش فيه يئن من الأحوال الاقتصادية التى تزداد تعقيدا ، ولا هم للناس غير التفكير فى المال والسعى إليه . . . ولو استمرت الحال على هذا المنوال فلن يحمل المستقبل لطبقاتنا غير الموت والدمار . وها أنت تحملين طفلا منى ، ولكن ، لا بأس ، دعك من التفكير فى هذه الأعباء ، فان كل الظروف السيئة التى مرت بالبشر لم تستطع أن تطفىء جذوة الحب . . . ومن ثم فهى لن تملك أن تطفىء لهيب رغبتى فىك ، ولا هذا الوهج الصغير الذى يربط بيننا . لسوف يجتمع شملنا فى العام المقبل ، انى مؤمن بذلك ، والانسان فى حاجة للإيمان بما وراء متناوله . . . بالقوة الخارجة عن ارادته . . . هذا هو السبيل الوحيد لتأمين المستقبل . لذلك أومن أنا بالشمعة التى تربط بيننا . انها كل ما أملك فى هذه الدنيا ، اذ ليس لى أصدقاء . . . ليس لى سواك . . . لهذا

أريدك أن تكونى بجانبى ، لكنى لو بدأت أفكر على هذا النحو فسوف أفسد كل شىء . واذن فليس لنا سوى أن نتذرع بالصبر . . الصبر بغير ملل . . انى اجتاز عامى الأربعين ، وانت فى اسكتلندا ، وأنا فى اقليم (ميدلاند) ، لكنى وان عجزت عن أن أطوِّقك بذراعى ، فانى أملك بعضا منك فى أعماق روحى . لقد صرت أحب العفة الآن ، لأنها السكينة التى تتخلف عن الحب . أحبها كما تحب قطرات البرد المتساقطة صفحة الجليد . انها أشبه بنهر من الماء البارد يخترق روحى . أحب العفة التى يجرى فيضانها بيننا . وكأنها المياه العذبة ، أو الامطار . . انى لأعجب الآن للرجال الذين لا يملون معايشة النساء ، وأرثى للذين يسلكون مسلك «دون جوان» ، ويعجزون عن الاستمتاع بسلام الروح وسكينتها !

« يبدو اننى أفرط فى الثرثرة لأننى لا أملك أن المسك . . فلو استطعت أن أطوِّقك بذراعى لجف قلـمى ، وبقي الحبر فى المحبرة ! . . ان الكثير منك يؤنسنى الآن فى وحدتى ، ولكم تتملكنى الحسرة على أنك لست بأكملك معى ! »
 « ألا دعك من سير كليفورد ، حتى لو لم تصلك منه أنباء قط . انه لا يملك ايداءك بشىء . . فانتظرى حتى يرغب فى الخلاص منك فى النهاية . وحتى لو لم يفعل ، فسوف نتدبر الأمر . لكنه سيفعل ، سيتوق الى أن يلفظك تماما من محيطه . »
 « انى لأعجز الآن عن أن اتوقف وأكف يدى عن الكتابة اليك . . لكن قدرا كبيرا منا يتعائق الآن ، ولسنا نملك غير أن نحافظ عليه ، ونكمله . . نمضى فى طريقنا ، حتى نلتقى . . فى القريب ! »



نساء ومآسٍ في ساحة العدالة

أفكار الشوى

للكاتب والمؤرخ الفرنسى : " روجيه ريغى "

جريمة كادت أن تكون كاملة

♦ **الجريمة** التى نسوقها اليك فى الصفحات التالية - وهى احدى حلقات سلسلة « نساء ومآس فى ساحة العدالة » التى قدمنا لك حلقات منها فى اعداد سابقة - كادت أن تكون جريمة كاملة بمعنى الكلمة .. أى أن دقة التدبير ، وبراعة التنفيذ ، ودهاء المجرم ، كادت أن تحكم ستر الغموض حولها ، فتعمى عيني العدالة عن مرنكبها الآثم ، لولا ..

ولكننا لن نفسد عليك متعة اكتشاف الامر بنفسك ، ولذلك نخلى بينك وبين قراءة تفصيلاتها التى جمعها لك الكاتب والمؤرخ المحقق الفرنسى « روجيه ريجى » ، من وثائق وملفات يرجع عهدها الى القرن الثامن عشر

حدث غريب فى مدينة فرنسية

♦ **لم يكن** لأهل (اكس ان بروفانس) - بفرنسا - حديث فى سنة ١٧٨٤ ، سوى ذلك الاختراع العجيب الذى خرج به على الناس رجل يدعى « مونجولفييه » .. فقد زعم هذا الرجل أن باستطاعته أن يصعد الى طبقات الفضاء، مستعيناً بكرة من الورق مليئة بالهواء . وكان من الطبيعى أن يجد مثل هذا الزعم لدى الناس انكاراً يصل الى درجة التكذيب .. وافضى التكذيب - من ناحيته - الى التحدى العلنى ، والى مطالبة « مونجولفييه » بتجربة اختراعه عملياً ..

وانبرى احد ربابنة السفن التجارية لتأييد (مرنجولفييه) ،
واعلن عن استعداداته لأن يقوم بالتجربة بنفسه ، في (اكس
ان بروفانس) ، وحدد لذلك اليوم الاول من شهر يونيو من
ذلك العام . . وقد اثار هذا النبأ ضجة مدوية ، فان التحديق
في الجو ، على كرة من ورق ، حدث خارق . لذلك تقاطر
الناس على (اكس ان بروفانس) من كل حذب وصبوب ،
حتى ضاقت المدينة على سعتها ، وشاع في جوها الصخب !

مركيزة مذبوحة في فراشها !

♦ وفجأة ، سرى في المدينة نبأ صرف الناس عن الحدث
النادر الذي شغل تفكيرهم أياما طويلة ، والذي كانوا يرتقبونه
في شغف وفضول مشبوب . فقد شاع ان جريمة ارتكبت في
قصر (دى كور) ، مقر المريكز « دانتر كاستو » وزوجته .
ففي صباح ذلك اليرم بالذات ، ولجت وصيفة المريكزة
مخدع مولاتها ، فاذا بها تجددها مسجاة في فراشها ، ذبيحة !
. . ولما كان زوجها - « جان باتيست دى برونى » ، مريكز
دانتر كاستو - من أعرق سادة الاقليم ، ومن أرفعهم مقاما ،
سيما وانه كان رئيسا للبرلمان الاقليمى ، فان السيد
« لوبلان » - النائب العام - خف الى القصر ، بمجرد ان
نمى النبأ الى علمه . .

وكانت المريكزة الشابة في فراشها ، وقد قطع حلقها ،
وأغرقت الدماء أغشية الفراش . وقرر الطبيب - الذى استدعى
في الحال - انها لفظت آخر انفاسها قبل ان يكتشف مصرعها
بأربع ساعات أو خمس . . وبدا زوجها مرتاعا ، شاحب

الوجه ، محزوننا . . وراح يردد في حيرة بالغة : « كيف تسنى أن يحدث هذا ؟ » . ثم لم يقو على رؤية المنظر المروع ، فتهالك وأوشك أن يفمى عليه لولا أن نقل الى مخدعه . .
كل شيء هادىء فى القصر . .

♦ وألفى النائب العام نفسه أمام جريمة غامضة ، لم يكده يلوح له خلال غموضها قبس من ضوء يرشد الى الجانى . .
 وأقبل يسأل الخدم واحدا واحدا : فسأل « مارى بال » وصيفة المركيزة ، و « أوجيست رينو » وصيف المركيز ، و « كلود بارنوان » الخادم الخاص للمركيزة ، و « فيجيه » الطاهى ، و « بوكيون » حارس الباب . . ولكن أحدا لم يستطع أن يدلى بشيء ذى قيمة . . **لقد أجمعت أقوالهم على أن أحدا لم يفطن الى حدوث شيء غير عادى ، فى الليلة السابقة . .** فان كلا من المركيزة والمركيز قد تناول عشاءه خارج القصر فى تلك الليلة - كل لدى اصدقاء غير الذين كان زوجه فى ضيافتهم ! - وقد كانت المركيزة هى الاولى فى العودة ، ثم لحق بها المركيز - فى الحال تقريبا - فقضيا بضع دقائق فى الحديث عما شاهداه وسمعاها فى ليلتهما ، ثم انصرف كل منهما الى مخدعه . . فقد كانا ينامان فى مخدعين مستقلين ، تفصل بينهما قاعة للجلوس . ولم يسمع أحد - خلال الليل - أى صوت فى داخل القصر أو فى الحديقة .
 وعنى النائب بتبين ما اذا كانت ثمة سرقة قد حدثت ، فوجد أن مخدع المركيزة وحده هو الذى كان فى حال غير عادية . . كانت قطع الاثاث فى غير أماكنها ، وكانت الادراج

مفتوحة عنوة ، وقد تناثرت محتوياتها في كل مكان .. وبينها
نقود ذهبية ، وحلى ومجوهرات ثمينة !

المرء لا يقتل نفسه ثلاث مرات !

• **وادلهمت دياجير الحيرة** التي اكتنفت النائب العام ..
وازاء انعدام حافز السرقة ، وتأکید الجميع ان احدا لم يسمع
صوتا أو جلبة ، خطر له ان المركيزة ولا بد قد انتحرت ،
وان الفوضى التي سادت الحجرة كانت من صنعها ، في غمرة
حيرتها ، أو في حرصها على اعدام بعض أشياء خاصة بها ،
قبل ان تفارق العالم . ولكن اهل القصر استهجنوا هذا
الخاطر ، فقد عهدوا في مولاتهم رزانة وتقوى تصدانها عن
مثل هذا التصرف .. وان فكرة الخلاص من الحياة - على
هذه الصورة - لم تساورها في أشد الملمات المحزنة .

وروى استشارة الطبيب مرة أخرى ، فذكر ان الوفاة
حدثت نتيجة ثلاث ضربات بسلاح حاد ، وان كل ضربة من
الثلاث كانت قاضية .. ولا يعقل أن يقتل المرء نفسه ثلاث
مرات بيده .. واذا كانت الضربة الاولى كافية للقضاء عليه،
فكيف تجرى يده بالسلاح مرتين آخرين ؟

وازاء هذا عدل النائب العام عن الافتراض القائل ان
المركيزة قد انتحرت .. ورجح انها ماتت قتيلة .. ولكن ،
منذا الذي قتلها ؟

هذا هو السؤال الذي لم يكن ثمة بد من البحث عن جواب
له ، مهما يكبد ذلك من جهد !

القاتل .. من أهل القصر !

♦ وعاد النائب العام الى سؤال الخدم ، وقد استعان بالضابط الجنائي لمدينة (اكس) ، السيد لانج دى سوفران . وكان الزوج - فى تلك الاثناء - قد تمالك نفسه شيئاً فشيئاً ، فلما سئل أكد انه لم يسمع أية حركة تريبيه فى تلك الليلة ، وأعلن انه لن يهدأ ولن يستكين ، حتى يعثر على الجانى الأثيم .. وقد ذهب فى ذلك الى حد أنه راح يقول : « اننى أنزل عن نصف ثروتى فى سبيل الكشف عن القاتل ! » وما لبث حزنه أن طغى عليه حتى انه لم يعد يقوى على البقاء تحت سقف القصر الذى شهد الجريمة الشنيعة ، فأثر أن يهجره ، وأن يقيم لدى عمّة له تدعى « مدام دى بلونديل » ، كان قصرها المحوط بحديقة شاسعة ، يقع فى ضاحية فى أقصى أطراف المدينة ..

وكان النائب العام والضابط الجنائي قد أعادا سؤال الخدم ، فلم يدل هؤلاء بشيء جديد . ولقد فحصا كل شبر فى الدار ، فلم يصلا الى أثر واحد يشى بالجانى . ومن ثم فانهما ناقشا الأمر مع المركز ، قبل مبارحة القصر ، عسى أن يتذكر أى عدو يحتمل أن يكون المجرم المنشود ، ولكنه قال انه ازاء الظروف والملابسات المحيطة بالجريمة يرى أن القاتل ولا بد من المقيمين فى القصر ، ولعله أحد الخدم !

((موسى)) الفأبّة من خزانة المركز !

♦ وصادف هذا الرأى هوى من نفس الضابط الجنائي السيد « لانج » ، فقرر أن يعمل على هداه . وكان خدام

القصر قد احتجزوا في داخله - منذ البداية - تحت رقابة لم تمكن أحدا منهم من أن يفادر القصر أو يتصل بأحد خارجه . فاستدعاهم السيد « لانج » واحدا بعد واحد ، وأخذ يلاحق كلا منهم بأسئلة دقيقة ، ويضيق عليه الخناق ، مستخدما أبرع أساليبه وحيله . . ولكن كلا منهم كان يكرر عين ما قاله في التحقيقين السابقين .

على أن خادما منهم أبدى اضطرابا وهو يعتصر ذاكرته ، عندما سئل للمرة الثالثة . ذلك كن « اوجيست » وصيف المركيز . واستفل المحقق هذا الاضطراب ، فأخذ ينهال عليه بالاسئلة ، حتى قال أخيرا : « الواقع أننى فطنت الى غياب موسى من خزانة أدوات الزينة الخاصة بمولاي » .

وسأله المحقق وقد أرهف النبأ حواسه : « وبماذا تعلل ذلك ؟ » . فأجاب الوصيف حائرا : « لست أدري ، ولكنى متأكد من غياب الموسى ، فقد أزلت بنفسى شعر لحية سيدى المركيز بالأمس ، ثم نظفت الموسى ورددتها الى مكانها . . وفى هذا الصباح ، فتحت الخزانة لأعد العدة لمباشرة زينة مولاي - ولم يكن الحادث المشئوم قد عرف بعد - فلاحظت اختفاء تلك الموسى بالذات ! »

.. وقميص غائب ، كذلك !

♦ وتفقد السيد « لانج » بنفسه خزانة أدوات الزينة - فى جناح المركيز - والمكان الذى كانت تشغله الموسى منها ، ثم راح يلح بالاسئلة على الوصيف ، وقد داخله الشك فى انه هو الذى أخذ الموسى ، ولكن « اوجيست » أقسم باغلظ

الاقسام ، مبرثا نفسه . . وما كانت الايمان يوما بالوسيلة الى اقناع المحققين . لذلك فتش الضابط حجرة الوصيف فلم يهتد الى اثر للموسى . وعاد يفتش جميع غرف القصر . . وفي خزانة ثياب المركز ، كانت ثمة مفاجأة أخرى للمحقق . . فقد تبين ((أوجيست)) ان واحدا من أقمصة المركز - التى كان يعرفها بحكم عمله - قد اختفى من الخزانة . . ولم يسفر البحث عن العثور عليه ، او على اثر باق منه ! وادى غياب الموسى والقميص الى اشتداد الغموض ، والى تحير السيد « لانج » ، حتى انه اضطر الى تأجيل التحقيق الى اليوم التالى ، اذ ان التفكير فى ذلك شتت عقله ، فلم يستطع المضى فى سؤال بقية الخدم ! على ان السيد « لانج » لم يكذب يرح القصر ، حتى افتحت « مارى بال » - وصيفة المركزية - بأوجيست جانبا ، وسألته عن سر ماكان عليه من اضطراب ، فعاد يقسم بأقدس الايمان على براءته . ثم أردف قائلا ان ماثار ارتبائه هو شعور راوده - حين كشف أمر اختفاء الموسى - بأنه انما كان يتهم بذلك مولاه الذى لم يعهد فيه سوى كل طيبة ، وتقوى ، ونبل أخلاق . . ومن ثم فقد كان يخشى ان يسىء بذلك الى المركز .

ولم تناقشه « مارى بال » فى ذلك ، ولكنها راحت تقول ان من واجب المرء ان يدلى للعدالة بكل ما يكون لديه ، مهما يكن تافها او غير ذى بال فى نظره ، مادام مطمئنا الى براءته ، والى صدق مقصده . وأردفت انها لن تكتم عن المحقق -

إذا ماسألها في اليوم التالي - شيئاً مما لاحظته أو لمحتته ،
عسى أن تستطيع بذلك أن تساعد العدالة على الوصول الى
المجرم الذى قضى على مولاتها بتلك الوحشية الضارية !

وهج في نافذة المريكز ..

♦ واستأنف السيد « لانج » التحقيق في الصباح التالي،
فبدأ أول مابداً بالتحرى عن المسالك التى كان من المحتمل
أن يتسرب خلالها أى اجنبى الى مخدع المريكزة . ولكنه لم
يعثر على أى أثر لمتسلل ، ولم يكتشف ما ينم عن أن أحداً
ولج القصر من غير أبوابه العامة !

وتقدمت اليه - فى تلك الاثناء - احدى المقيمات على مقربة
من القصر ، وتطوعت بالشهادة بأنها استيقظت فى الفجر
الذى أعقب ليلة الاغتيال ، لتأهب للذهاب مبكرة الى
الساحة التى كان مقررا اجراء تجربة الطيران فيها . وفيما
كانت تستعد ، لمحت وهجا شديداً فى نافذة حجرة ظهر أنها
كانت مخدع المريكز .. ولو ان الوقت كان شتاء ، لما بدا
ثمة داع للعجب أو الدهشة . ولكن اشعال النار بين جدران
مخدع ، فى شهر يونيو ، كان خليقا بأن يثير الشبهات ..
وبالفحص ، تبين « لانج » أن ثمة آثار أوراق واقمشة قد
أحرقت فى مدفأة مخدع المريكز !

واشتدت حيرة الضابط الجنائى .. ترى ما الذى دعا
المريكز الى احراق تلك الاوراق والاقمشة ؟ .. وما كنهها ؟
.. وهل كان من قبيل المصادفة أن تحرق فى عين الليلة التى
شهد فيها المخدع المجاور جريمة الاغتيال ؟

همسات .. وظواهر مريبة !

• وقبل أن يمضى السيد « لانج » قدما في تحريباته ، طلبت الوصيفة « مارى بال » أن يسمح لها بالافضاء ببعض أقوال لديها . فلما اجاب رجاءها ، انطلقت تتكلم دون توقف .. فذكرت انها فاجأت مولاتها - فى عدة ليال - وهى تبكى لتكرر تغيب المركيز عن القصر .. وكانت تباده - عند عودته - باللوم ، فيرد اودها فى غضب ، مما كان يثير بينهما الشقاق والمشاحنات •

.. وخفت صوتها وهى تردد الأقاويل التى شاعت بين خدم القصر ، عن حادث وقع للمركيزة .. فقد قدر لها أن تحمل - بعد طول ارتقاب - ولكن الحمل لم يكتمل ، اذ حدث أن زلت قدمها يوما ، ف وقعت على سلم القصر .. وكان الخدم يتهايمسون - فيما بينهم - بأن هذا الحادث لم يأت عفوا ، وانما كان مدبرا !

كذلك ذكرت « مارى » أن المركيز قدم - ذات مساء - الى زوجته كوبا من شراب الليمون ، أعده بنفسه ، ولكن المركيزة لم تكد تتذوقه حتى ارتجفت شفتاها ، وتقلصت عضلات وجهها ، وأبت أن تتناوله !

واختتمت « مارى » أقوالها بما يسرى من همسات عن علاقة بين المركيز وحسنة تدعى « مدام دى سمان سميون » .. ولم يضيع المحقق وقتا ، بل انصرف لتوه الى النائب العام ، وقد تجلى له ان الأمر أخطر من أن يستهان به . وكان المركيز دانتير كاستو يقيم - فى تلك الاثناء - فى

قصر « مدام دي بلونديل » ، وهو نهب لمشاعر وانفعالات عنيفة ، لم تكن تدع له سبيلا للراحة . فكان يروح ويفدو في ارجاء القصر مضطربا . ويكثر من الاختلاء بنفسه ، ويرفض ان يلتقى بالناس . . حتى لقد ابى أن يستقبل من اقبل لعزيمته من اعضاء البرلمان الافليمي .

وفي صباح اليوم الثالث ، كان يجلس الى المائدة مع عمته وصديق حميم لهما يدعى « المركيز دي شاتونيف » ، واذا وصيفه « أوجيست » يلتمس مقابله . . وبادر المركيز باستدعائه ، ثم سمح له بالكلام امام عمته وصديقه ، فروى له الوصيف ما افضى به للمحقق عن اختفاء الموسى ، وما تكشف من اختفاء أحد أقمصته . . وراح المركيز يصفى في صمت ، وهو مقطب الجبين ، حتى اذا انتهى الوصيف ، غمغم في غيظ وسخط : « يالك من احمق ! »

وذكر له الوصيف ما أفضت به « ماري بال » للمحقق ، فشحب وجه المركيز ، وهتف مرة أخرى : « يا للفتاة الفبية الثرثارة ! » . ثم لاذ بالصمت .

الدائرة تزداد ضيقا !

• وما ان انصرف الوصيف ، حتى ساد قاعة المائدة صمت واجم ممض . ثم قال المركيز دي شاتونيف : « لا مرأى في أن السيد لانج دي سوفران من اذكى المحققين . . وهو لا يألو جهدا في السعى وراء أى مجرم يتولى قضيته . . وأرى انه لم يلجأ الى النائب العام ، الا لأن شكوكه تتجه الى شخصية عظيمة المقام ، فرأى أن يستمد التأييد من رؤسائه فيما هو مقدم عليه ! » . . ولم ينبس « دانتر كاستو » ببنت شفة ، فقالت

عمته : « أحسبك قد أدركت أن الشكوك تتجه اليك ، واني
 لآمل أن تكون شكوكا غير صحيحة . ولكنك أجدر بأن
 لاتضيع وقتا ، وعليك ان تعمل على هدى ما يوحى به
 ضميرك . فاذا كنت موقنا من براءتك ، فعليك ان تسلم نفسك
 للنائب العام ، الى أن تنجلي الحقيقة . أما اذا . . »
 وترددت لحظة ، ثم استجمعت جراتها وقالت : « اما اذا
 كنت - لسوء الحظ - مدانا ، فمن واجبك أن تبادر بمبارحة
 فرنسا بأسرها ، حرصا على شرف الأسرة وكرامتها ! »
 واشتد شحوب وجه « دانتر كاستو » ، ولكنه ظل صامتا .
 فعادت عمته تسأله : « علام اسنقر رايك ! » . وكان
 جوابه : « دعيني افكر ! »

المركيز يؤثر مغادرة فرنسا !

♦ وفكر طويلا ، ولكنه لم يلبث ان قال لعمته في النهاية :
 « اذا أمكنك ان تزوديني ببعض المال ، فاني أوتر أن ارحل ! »
 . . وكان هذا الجواب اعترافا واضحا منه بالجريمة !
 وسرعان ما أعدت « مدام دي بلونديل » لابن أخيها عربية
 خفيفة ، استقرت أمام الباب الخلفى لقصرها . ثم زودته
 بقدر من العملة الذهبية . . وبعد نصف ساعة ، صعد المركيز
 الى العربية ، بغير متاع ، فتهالك على مقعدها مهموما !
 وانطلقت العربية بأقصى ما كان لدى جواديهها من سرعة ،
 ميممة شطر (مارسيليا) .

وفي تلك الاثناء ، كان السيد « لانج » قد حصل على
 سلطة واسعة ، فراح يتجه في التحقيق اتجاهات جديدة . .
 وسرعان ما تجلت له الحقيقة واضحة . .

سعادة و ثقة .. بين الزوجين

♦ كانت « مدام دنتر كاستو » قد تزوجت من المركيز وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، بينما كان هو بصغرها بعام واحد . وكان من الواضح انها زيجة دبرت كما لو كانت صفقة تجارية ، على غرار ما كان متبعاً فى تلك الايام ، فى أسرات الطبقة العليا . بيد أن هذا لم يحل دون أن ترفرف السعادة على الزوجين ، وأن تطمئن المركيزة الى زوجها - فتعهد بثروتها اليه ، فضمها الى ثروته ، وتولى رعايتهما معا وهو مطلق اليد فيهما .

ومع أن المركيزة - وكان اسمها الأصلى « أنجيليك » - لم تكن جميلة الوجه ، الا انها كانت بديعة القوام ، ذات اخلاق دمثة ، وطباع رقيقة ، وعينين جذابتين تفيضان رقة وطيبة واخلاصا .. كما كانت ذات ذكاء لمّاح ، وشخصية قوية . فسرعان ما أمسكت بمقاليد القصر بيد حكيمة ، فأعجب زوجها بتدبيرها ، ولم يتردد - ازاء كثرة أعبائه ، كرئيس لبرلمان الاقليم - فى أن يكل اليها شئون ثروتهما وممتلكاتهما المشتركة ، فأدارتها ببراعة اغتبط لها المركيز ..

صائدة بارعة تلقى شباكها !

♦ وعاش الزوجان محلقين فى أجواء السعادة زهاء ست سنوات ، الى أن قدر لامرأة غريبة أن تتسلل الى حياتهما .. او الى حياة المركيز على الاصح .

وكانت تلك المرأة تدعى « سيلفى دى سان سيمون » .. كانت ابنة أحد أعضاء البرلمان ، وقد ترملت قبل سنوات ،

وانصرفت الى حياة الاجتماعية ، فلمع نجمها في الاوساط الراقية ، سيما وانها كانت ذات جمال باهر ، وجراه عجيبة تسول لها ان تسعى الى اغراضها دون ان تعبأ بالناس !
 وعقببت « سيلفى » بالمرينز الشاب ، فلم تتورع عن طرح شباكها عليه ، واستحدثت كل ما أوتيت من فتنة واعراء في سبيل اجتذابه .. ولقد حاول المكينز ان يقاوم محاولاتها ، واستطاع ان يصمد زمنا ، ولكنه لم يلبث ان وقع صريع الفتنة ، فلم يعد يرى سوى « سيلفى » الحسناء ، ولم يعد يعيش الا على حبها !

.. وحل الشقاق محل الزئام

• وحاول العاشقان ان يتكتما هوائهما ما استطاعا . ولكن محاولتهما لم تدم طويلا ، اذ لم يلبث الامر ان شاع في المجتمع الراقى في (اكس) . ولم يكن غريبا — بعد ذلك — ان تتناهى الشائعات الى اذننى المكينزة دانتر كاستو ، فتلقى اصدقاء على بعض تصرفات كانت قد لاحظتها على زوجها في الفترة الاخيرة .. اذ كان المكينز قد بدأ ينصرف عنها ، ويهمل بعض واجباته كزوج ورب اسرة . فضلا عن انه كان يكثر من طلب المال وانفاقه في اسراف .. ثم لم يلبث ان بدأ يرى في ادارة زوجته لثروة الاسرة ذلة ومهانة له ، وهو الرجل ، رب الاسرة ، فأخذ يسعى لاسترداد سلطانه ..

ودب الشقاق بين الزوجين اللذين كانا مثالا للسعادة الزوجية .. وشعرت « انجيليك » بأن تردى زوجها في هوى تلك الارملة الحسناء ، طعنة قاسية أصابت قلبها وثقتها

وكرامتها . لذلك شعرت بازدياد شديد له ، فلم تحاول أن
تفاضل من أجل استرداده ، ولم تشأ أن تطالبه بأكثر من أن
يتحفظ في علاقاته بعشيقته ، وبأن يصون المظاهر التي كانت
تطلبها مكانتهما الاجتماعية كزوجين ، حفظا لكرامة الأسرة !

أضواء تكشف الجريمة

• وكان خليقا بالزوج أن يحمدها هذا المساك ، وأن
يقنع بما أبدته ازاء هواه . ولكن المفتون لم ينكس يسمى
لاسترداد سيطرته على ثروة الأسرة ، فرأت زوجته في هذا
التكالب منه سبيلا الى الانتقام لكرامتها ، وتشبثت بما كان
قد وكله اليها طواعية من حق الاشراف على تلك الثروة ..
وآثار هذا الامر بينهما مشاجرات عديدة ، ولكن شيئا لم
يقو على أن يزحزح المركيزة عن رأيها العنيد . ومن ثم بدأ
المركيز يدبر الخطط للتخلص منها .. وكان هو الذي تسبب
في انزلاقها ووقوعها - وهي حامل - أملا منه في أن تموت
اثناء الاجهاض ! .. كما كان هو الذي عمد - في مرة أخرى -
الى دس السم في كوب الليمون الذي أبت المركيزة أن تشربه !
ثم كانت تلك الجريمة التي أقامت (اكس) واقعتها ..
فقد كان هو الذي ذبح زوجته بالموسى ، اذ تسلل الى
مخدعها - اثناء نومها - في تلك الليلة المشؤومة . ثم اغتصب
أدراجها ، وأخذ منها كل الوثائق التي كانت كفيلا بأن توجه
الشبهات اليه ، فأحرقها مع القميص الذي كان يرتديه وقت
الجريمة ، والذي لطخته الدماء .. وظن انه بذلك قد نجا
من سطوة العدالة . ولكن الاحداث خيبت ظنه !

قبر .. في دير اسباني

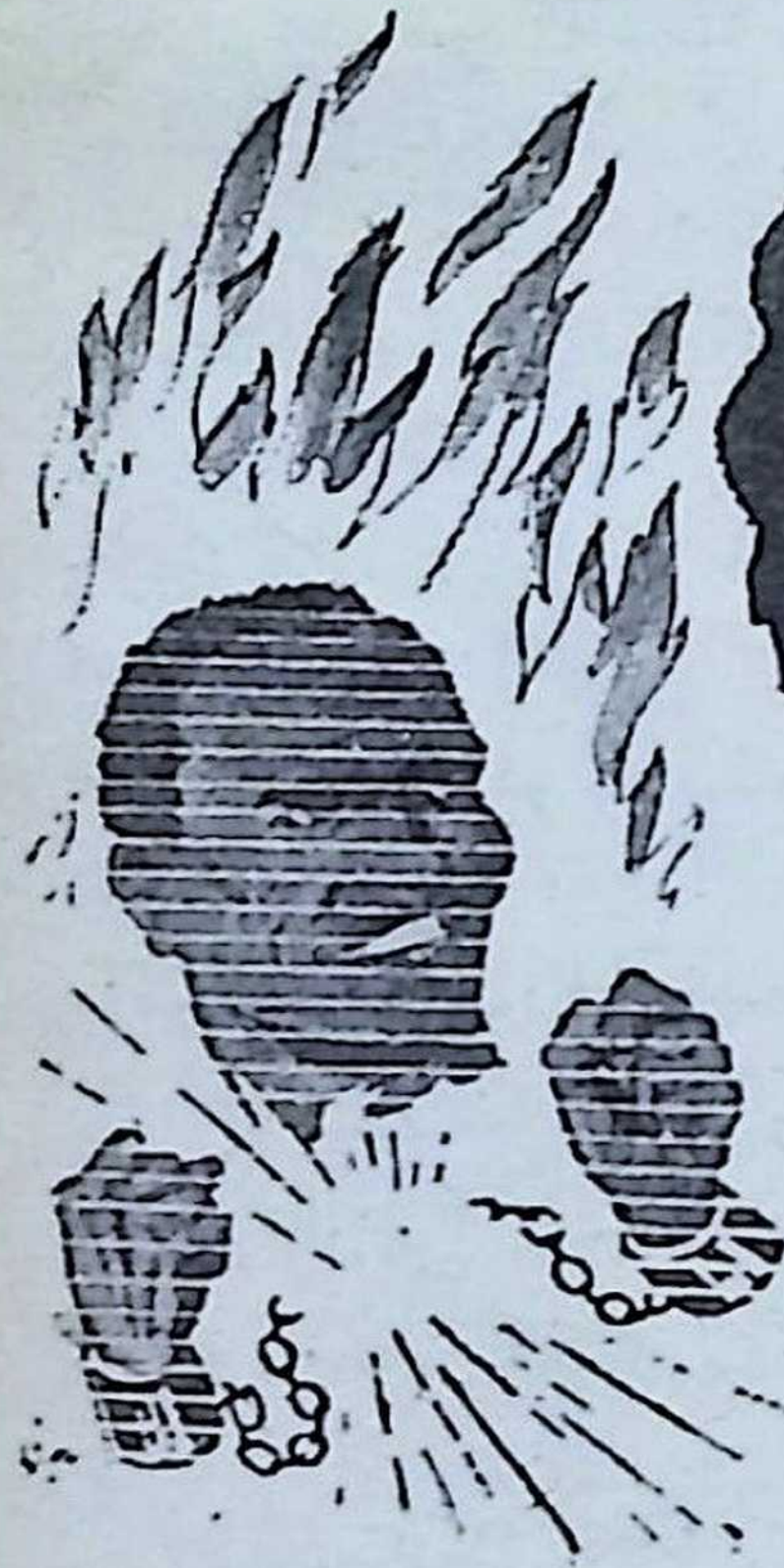
♦ كل هذه الحقائق اكتشفها السيد « لانج » ، وجمع الأدلة والقرائن التي كانت تدعمها . وجريا على التقاليد التي كانت متبعة اذ ذاك - نظرا لامتيازات النبلاء وأمراء الاقطاع - عرضت القضية على لجنة برلمانية خاصة ، لم تلبث أن أصدرت حكمها باعدام الماركيز - بقطع رأسه - ولكن .. في تستر بعيد عن العلانية ، نظرا لمكانته ! .. أما « مدام دي سان سيمون » ، فلم يثبت ان لها أى دور في الجريمة ، فبرئت ساحتها ..

على أن يد الجلاد لم تستطع أن تمتد الى الماركيز ، اذ انه هرب الى ايطاليا ، عن طريق جبال الالب ، ووصل الى (نابولى) تحت اسم مستعار . وهناك نمت اليه أن الحكومة الفرنسية قد اهتمت الى مكانه ، وطلبت الى السلطات الايطالية أن تسلمه اليها ، فلم يتوان عن الفرار الى اسبانيا، حيث لجأ الى أحد الاديرة - تحت اسم مستعار - وانخرط في سلك رهبانه !

والى هنا ، تعتبر حياته قد انتهت .. فقد فقد اسمه ، وفقد صلته بوطنه ، وفقد صلته بالحياة الاجتماعية .. على أن النهاية الحقيقية لحياته لم تحن الا بعد عام كامل من وفاة ضحيته - أو بالاحرى ، في ١٦ يونيو سنة ١٧٨٥ - اذ مات بداء الصدر ، في صومعة في الدير .. ودفن في قبر منزو ، تحت اسمه المستعار !



LOVE IS ETERNAL
BY
IRVINO STONE



وراء كل عظيم .. امرأة !

الحب .. أبدى !

قصة المرأة التي دفعت "ابراهيم لنكولن" الى كرسي الرئاسة !
بقلم الكاتب المؤرخ : ارفنج ستون

عزيزى القارىء ..

ما من كاتب مسرحى استطاع أن يخلق قصة ، اجتمع فيها من عناصر المأساة ما اجتمع فى حياة « ابراهيم لنكولن » ! فكما كان يحدث للأبطال فى تراجيديات الاغريق القديمة ، كان الفشل حليفا للنكولن فى كل عمل تولاه ، او خطة سار فيها .. فلما عرف النجاح فى النهاية ، وجد مذاقه أشد مرارة من الفشل !

وفى زهرة شبابه ، فجع بفقد المرأة الوحيدة التى أحبها .. فلما تزوج من أخرى - بعد أعوام - كانت زوجته أشد حرصا على أن تراه مشهورا ، منها على أن تراه سعيدا ! .. وشتان بين الهدفين !

واستمر الفشل يلاحقه ..

.. فلقد دخل ميدان الاعمال الحرة ، ففشل !
.. ومارس المحاماة زمنا ، فكان مهضوم الحقوق دائما !
.. ورشح نفسه لعضوية مجلس الشيوخ الأمريكى ، فهزم !

.. وسعى الى أن يعين فى أحد مناصب الادارة المحلية ، فرفض طلبه !

.. ورشح نفسه لمنصب نائب الرئيس ، فخسر المعركة !
.. وحين فاز أخيرا برئاسة الجمهورية ، دخل (البيت الابيض) فى ظروف يظللها الأسى أكثر مما يكللها النصر !
.. فرغم تكريسه نفسه للسلام ، فانه وجد نفسه « مرغما » على الاشتباك فى حرب !

.. وفي الوقت الذي كان هو - بطبعه ، وقلبه - « أرق »
الآباء ، وأكثرهم حنانا ، نكبته الاقدار في بنيه ، فأحني رأسه
في حداد على قبري اثنين من أطفاله ، ماتا في زهرة الصبا !

.. وبقدر لطفه ودمائه نحو كل كائن حي ، كتب عليه
ان يضطر - المرة تلو المرة - الى ان يوقع أحكام الموت على
الجنود الذين فروا من الميدان خوفا من الموت !
.. ورغم ما طبعت عليه روحه من استقامة وحب للخدمة
العممة في وضوح النهار ، فقد أجبر على أن يعيش سنوات
رئاسته للجمورية في الظلام.. ظلام الحرب والقتال والدمار !
.. وأخيرا ، حين لاح فجر الانتصار ، بعد ليل اليأس
الطويل ، لم يعيش لنكون ليشهد انبلاج الصبح .. اغتاله
متهوس مخبول بعد انتهاء الحرب الاهلية بأقل من اسبوع !
.. وكان المؤلف المسرحي الأعظم في السماء ، أراد ان
يجعل من حياة لنكون درسا يتعلم منه كتاب المسرح الصغار
على الارض ، كيف يكتبون ((تراجيديا)) مثالية !

حياة لنكون .. في سطور

- ١٨٠٩ : ولد في ولاية (كنتوكي) الامريكية
- ١٨٣١ : اشتغل في وظيفة كتابية بسيطة بأحد متاجر
مدينة (نيوسالم) بولاية (إلينوى) .
- ١٨٣٤ : انتخب عضوا بالمجلس التشريعي لولاية (إلينوى)
- ١٨٣٥ : ماتت خطيبته « آن روتلج »
- ١٨٣٧ : بدأ يمارس المحاماة، بعد حصوله على الليسانس .
- ١٨٤٢ : تزوج من « ماري تود »
- ١٨٤٧ - ١٨٤٩ : خدم مواظنيه في المجلس النيابي .
- ١٨٥٤ : ألقى في (بيوريا) خطابه المشهور ضد انتشار
الرق .

- ١٨٥٦ : انضم الى الحزب الجمهورى الذى تأسس حديثا .
 ١٨٥٨ : اشتبك فى مناظرة حامية حول موضوع الرق ، مع
 خصمه السياسى « ستيفن دو جلاس » .
 ١٨٦٠ :لقى خطابا هاما فى « اتحاد كوبر » ، حول
 الموضوع ذاته .
 ١٨٦٠ : انتخب رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة
 الامريكية . . (الرئيس السادس عشر)
 ١٨٦١ : أخذ على كاهله مسئولية اشعال الحرب الاهلية
 بين ولايات الشمال والجنوب ، من اجل تحرير
 العبيد
 ١٨٦٣ : أصدر اعلان الفاء الرق .
 ١٨٦٣ : ألقى خطاب (جتيسبرج) التاريخى المشهور .
 ١٨٦٤ : اعيد انتخابه رئيسا للجمهورية .
 ١٨٦٥ : اغتاله متهموس فى مقصورة بمسرح « فورد » .

الحب . . ابدى !

تلخيص : الأنسة كليمانس م . عبد الملك

وقفت امام المراة لتكمل زينتها ، استعدادا لاستقبال
 المدعوين الى الوليمة التى دعا اليها والدها فى ذلك المساء .
 وأخذت تدور أمام المراة ، متلفتة ذات اليمين وذات
 اليسار ، لكى تطمئن على أناقتها ، بينما ثوبها الحريرى
 ينسدل على جسمها ، كاشفا عن صدرها المرمرى .
 ولم يمض على انشغالها بنفسها وقت طويل ، اذ لحقت
 بها شقيقتها « آن » - وكانت فى الخامسة عشرة من عمرها -
 فوقفت تنظر اليها وتطرى أناقتها . . ومضت فترة صمت

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١١٩

قصيرة ، تبادلت الشقيقتان خلالها الابتسامات ، الى ان قطعت « آن » الصمت بقولها :

— اياك ان تضيي على نفسك فرصة هذه الزليمة ياماري .. ان والدتي تعتقد انها آخر ..

ثم أمسكت عن الحلام مشفقة ، لكنها مالبت ان استطردت قائلة : « مالم تفكري في « ساندی » .. وتجعليه يتقدم لطلب يدك ! »

ويبدو ان كلمات شقيقتها قد مست وترا حساسا في قلب ماري ، اذ انها صمتت ، وسارت بخطوات متشاقلة ناحية النافذة المظلة على مروج (بلوجراس) الشاسعة ، حيث وقفت تتأمل قرص الشمس وهو ينسحب رويدا رويدا الى اقصى الغرب .

.. وانسحبت ذاكرتها بدورها الى الورا ثمانى سنوات .. ايام ان كانت في ربيعها الثانى عشر .. وكانت لها احلام وردية تراودها ، وتنقلها ، وهى فى اليقظة ، من مكان الى مكان ، نازكة لها فرصة الاختيار .. لكنها كانت تتشبث بمكان واحد دون سواه .. لم تقل لأحد أصدقاء والدها من السياسيين : « لكم تروق لى السكنى فى واشنطن .. فى البيت الأبيض بالذات ! ؟ » .. نعم كان الطموح يوجه احلامها .

على انها سرعان ما ارتدت الى الواقع ، تاركة الماضى فى مستودع الذكريات .. وهبطت الى الحديقة ، حيث جلس ابيها « روبرت تود » ، الذى ضحى بنبوغه فى العلم وتبحره فى التاريخ والمنطق واللغة اللاتينية ، وآثر ان يكون صاحب

شركة للبقالة ، الى جانب منصبه كرئيس لمجلس ادارة بنك (لسنجنون) ، مما كان يحز في نفسها كثيرا ، اد تراه على هذه الحال ، بينما مكنه الحفيظ هو السياسة وشئون الدولة ! . . لكنها كانت تعزى نفسها بما عقدته من اسل على الرجل الجالس بجوار أبيها الان . . او ليس « هنرى نلاى » عازما على ترشيح نفسه للرئاسة ؟ او ليس صديقا حميما لأبيها ؟ اذن لابد انه سيسند الى أبيها منصبا حكوميا رفيعا ، اذا ما صعد الى كرسى الرئاسة ذات يوم . .

كان الاشتغال بالسياسة وشئون الدولة ركيزة هامة في منطقة طموح « مارى » . . وكانت أضواء المناصب الرسمية تسحرها ، وتوجه اهتماماتها الاخرى . . أما « البيت الابيض » فقد كان بمثابة الكعبة التى تحج اليها أحلامها بين حين وآخر !

الملك والشباب ليسا كل شيء فى الرجل !

بدا البيت ، فى تلك الليلة ، كشعلة من الأنوار . . كل شيء فيه كان متلألاً براقا . . بينما مارى تتنقل بين المدعوين والفرحة تكسو وجهها ، وهم يبادلونها التهئة واستمنيات . . فقد كان الحفل من أجلها . . بمناسبة عيد ميلادها . . وما أن اكتمل عقد المدعوين ، حتى نهضت « مارى » فافتحت الحفل بمراقصة « ساندى مكدونالد » . ثم التف القوم حول الموائد ، وراحوا يتحدثون ويثرثرون . . وتذكرت « مارى » ساعتئذ أن زوجة أبيها « بيتى همفرى تود » لم تحضر الحفل ، فشعرت بالاكئاب لحظات ، ثم عادت الى سرورها بعد أن تذكرت أن زوجة أبيها لم يمض على ولودها

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٢١

السادس وقت طويل ، وربما أعجزها الضعف عن الحضور ..
وقد تكون فكرت أيضا في أن تتيح للفتاة فرصة القيام بدور
المضيقة ورببة البيت معا في هذه الحفلة بالذات .

على ان ماري لم تلبث أن ضاقت بجو المائدة ، فتسللت
مع ساندي الى الحديقة .. وهناك جاسا .. وشرع الشاب
يذكرها بالزواج وضرورة اعلان الخطبة في اليوم التالي ،
اثناء حفل التخرج الذي ستقيمه جامعة ترنسلفانيا ، حتى
تزدان (لكسنجتون) بأنوار حفلتين في وقت واحد !

لكنها لا تدري كيف واجهت طلبه بدموع طفرت الى
عينها وتسملت الى خديها فبللتها ، بينما الشاب واجم
لا يدري ماذا يقول .. وأحست ماري بذلك فقالت متأثرة :
- انها دموع الشكر ، فانت اول شخص يطلب يدي ..
ولا أدري لماذا .. لعاني لم أغرم باحد قط !

كان ساندي يحبها حقيقة ، بالاضافة الى ماورثه عن أبيه
- مؤخرا - من أراض ومزارع شاسعة . وكان يتمنى أن
تقبل طلبه . كذلك لم يكن أحد يتوقع أن ترفض ماري طلبا
لشاب يعتبره الجميع صفقة رابحة بالنسبة لبناتهم ! ..
لكن ماري كانت من نوع آخر .. لم يكن يهمها الشاء أو
الفتوة بقدر ما كان يهمها أن تحصل على رجل من نوع آخر
.. كانت تهوى الرجال ذوي العقول الحبارة .. ذوي
الطموح والجلد والاحساس بالمسؤولية تجاه ما يدور في العالم
من محن ومشكلات .. لهذا كان من المستحيل أن تقترب
ساندي ذي الذراعين المفتولين والجاه العريض .. أضف

الى ذلك مشروعها الذى فكرت فيه طويلا ، واستقر رأيها على تنفيذه . فهي لم تنس السنوات القليلة الماضية التى صرفتها فى مد العون لفريق من البشر كانت كل جريوتهم أنهم ولدوا سود البشرة . وانكم أحسست بالتعاطف مع قضيتهم ، ولكم حاربت الرق الذى واجههم به أبناء جلدتها من البيض .

المرأة الصادقة لاتحب الا مرة واحدة !

وفى الصباح التالى ، استيقظت « ماري » على صوت زوجة أبيها « بيتسى » وهى تلومها على رفضها الزواج من « ساندى » ! .. وكاد النقاش بينهما أن يتطور ويحتد ، لولا أن تداركت « ماري » الأمر ، اذ تذكرت عناية « بيتسى » بها منذ أن ماتت أمها .. وتذكرت أخوتها الخمسة الاشقاء ، وأخوتها الستة غير الاشقاء الذين انجبتهم زوجة أبيها ذات الشخصية القوية ..

وحل موعد حفل التخرج ، فأسرعت ماري الى الجامعة التى درست بعض مناهجها ، عقب انتهائها من دراستها فى مدرسة البنات ومدرسة « مدام مينتل » الداخلية ، حيث اتقنت فيهما اللغات ، والعزف على البيانو ، والتمثيل والفناء ..

وفيما هى عائدة الى دارها ، مرت بسوق الرقيق ، فواجهتها المشكلة مرة أخرى عندما شاهدت فتاة صغيرة تعرض للبيع والناس يساومون فى تقدير ثمنها كالحيوان ! ..

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٢٣

فتنهدت ، ثم تمتمت لنفسها بعبارة حفظتها عن أبيها :
« ان رجلا واحدا لا يستطيع أن يضع حدا للرق ! »

ومضت الايام بها ، وهي غارقة في المشكلات من حولها ،
الى أن دعته جدتها ذات يوم لزيارتها .. وهناك تفرع بهما
الحديث ، لكنهما التقيتا عند نقطة بعينها .. كانت مشكلة
الزواج هي المرفأ الذي استراحت عنده الجدة العجوز التي
ترملت اكثر من تسعة وثلاثين سنة ، ايمانا منها بمبدأ حافظت
عليه ، يقول : **« ان المرأة الصادقة لا تحب الا مرة واحدة ! »**
.. وراحت الجدة تلقى اللوم على « روبرت تود » لزواجه
من امرأة أخرى بعد زوجته الأولى .. وراحت ماري بدورها
تبدى رأيها في الزواج ، وفي فارس احلامها الذي قصرت شروطها
بالنسبة له ، على الشجاعة والخلق المذهب والحكمة ..

وعندما انتهت الزيارة ، عادت « ماري » الى المنزل
فوجدت في انتظارها رسالة من شقيقتها « اليزابيث » تصف
فيها حفل زواج شقيقتها « فرانسيس » التي اقترنت
بشباب فجأة دون أن تخبر والدها ! .. وشفعت « اليزابيث »
وصفها بدعوة « ماري » لزيارتها ، حتى تشغل الفراغ الذي
خلفه رحيل فرانسيس ..

ومضت ايام أخرى ، ودعت ماري بعدها أفراد الأسرة
وغادرت البيت الى دار شقيقتها في (سبرنجفيلد) .

شخصية جديدة في الميدان !

ولقيت « ماري » حفاوة بالغة بها في سبرنجفيلد ، وقضت
ايامها الاولى في استقبال الزائرين الذين وفدوا على دار

شقيقتها للترحيب بمقدمها . وكان من بين هؤلاء شباب في الرابعة والعشرين من عمره يدعى « ستيفن دوجلاس » ، كانت ماري معجبة بذهنه الوقاد وذلاقة لسانه . .

غير أن السياسة نجحت في اجتذاب « ماري » مرة أخرى ، إذ وجدت من حولها اهتماما بها أوسع مما وجدته في محيط أبيها . وقد صادف أن دعيت في اليوم التالي إلى مؤتمر سياسي ، سرعان ما رحبت به ، وانطلقت بصحبة شقيقتها وزوجها لحضوره . وهناك حدثت ضجة أثناء مناقشة الخطبة التي القاها أحد المتحدثين . . إذ صرخ الشاب المتحمس « دوجلاس » مطالبا بانزال الخطيب من فوق المنبر ، وكان ذلك إيذانا بالهرج والمرج اللذين أعقبما ذلك . . وتطلعت « ماري » تتأمل المكان ، وإذا بها تلمح ، وسط هذا الجو الصاخب ، ساقين طويلتين نحيتين تخطوان بسرعة إلى حيث كان الخطيب . . كنتا حاملان رجلا يبلغ طوله ستة أقدام ، طويل الذراعين ، نحيل العنق ، ذا شعر أسود وبشرة داكنة ووجه لطيف بشوش . . وتقدم الرجل ناحية المتحدث ثم واجه الجمهور ، حاملا على الموجدتين لضيقهم بحرية الرأي التي كفلها دستور البلاد . .

وأحست « ماري » أنها أمام شخصية غريبة ، فسالت شقيقتها عن الرجل الغريب ، واجابتهما اليزابيث بقولها : « انه ابراهام لنكولن المحامي ، وشريك ابن عمك «ستيوارت» . . انه شاب لطيف ، لكنه لا يهتم أسرة تود »

« مارى تود » .. ملهمة « لنكولن » فى كفاحه ١٢٥

شجاعته فى التحدث عن فتره !

ثم التقت مارى بالمحامى الشاب النحيل مرة اخرى ، اثناء حضورها مذاكرة سياسية .. لكنه كان فى هذه المرة اكثر حماسة وعنفًا ، اذ تصدى لخطيب يدعى « تايلور » ، كان يعنف الارستوقراطيين على بذخهم ، ويحاول ان يظهر الديموقراطيين الذين ينتمى اليهم بمظهر العاملين لمصلحة الشعب ، الزاهدين فى متاع الدنيا .. لكن « ابراهام » هب فجأة ، واندفع تجاه الخطيب ، وامسك بصديريته وفك ازرارها ، فبدأ داخلها قميص حريرى ثمين ، وسلسلة وساعة ذهبيتان ، بالاضافة الى ماحولهما من حلى اخرى ثمينة .. وعندئذ اغرق الجميع فى الضحك .. لكن المحامى النحيل رفع يده فانقطع الضحك ، وصمت الحاضرون ، وشرع هو يقول :

« أيها الأصدقاء .. انا ابراهام لنكولن الوضيع . حين كان « تايلور » يوجه هذه التهم ضد حزب الأحرار - الذى انتمى اليه - فى طول البلاد وعرضها ، وهو يركب العربات الفاخرة ، ويرتدى القمصان الحريرية ، ويمسك بعصا ذات رأس ذهبية ، كنت انا غلاما فقيرا ، أعمل على قارب بأجر لايزيد على ثمانية دولارات فى الشهر ، ولم أكن أملك سوى بنطلونا واحدا من جلد التيس .. وليس يخفى عليكم أن من طبيعة هذا الجلد أنه ينكمش عند البلل ، ولذلك أخذ البنطلون فى الانكماش حتى كشف عن جزء كبير من ساقى . كنت أنمو ، بينما كان البنطلون يزداد قصرا ، حتى صارت

المسافة بين نهاية جوربى وذيل البنطلون عدة بوصات .
 كما ضاق في الوقت نفسه فخلف على ساقى علامة دكناء ،
 لا تزال باقية الى اليوم . فان كنتم تسمون هذا أرسطوقراطية ،
 فانى أقر بأننى مذنب أمام هذه التهم الموجهة ضد حزبنا ! »
 وصفق الجميع له ، ثم سار كل الى حال سبيله . .
 والتفتت مارى الى شقيقتها « فرانسيس » مستفسرة عن
 أخبار هذا الرجل ، سائلة شقيقتها أن تتيح لها فرصة
 للتعرف به .

وأتاحت الفرصة فعلا ، اذ جمعتهما حفل شاي في بيت
 شقيقتها . . لكنها لاحظت على لنكولن في تلك المرة الصمت
 والانطواء طوال الحفل ، مما اثار فضولها . وانضم الحظ
 الى صفها حين أعلنت شقيقتها بعد قليل أنها مدعوة مع
 زوجها للعشاء خارج البيت . . وبذا أتيح لمارى أن تنفرد
 بلنكولن وتعرف خباياه عن قرب . وسرعان ما تكشفت
 شخصيته لها شيئا فشيئا ، فبدأ بسيطا خجولا ، ميالا الى
 الفكاهة وسرد القصص والطرائف .

وعجبت « مارى » من طريقته في الاجابة على أسئلتها ،
 اذ كان يستعين بالقصص في الرد عليها . وعندئذ دار بينهما
 الحوار التالى :

- انك أغرب شخص قابلاته في حياتى . ولست املك إلا
 الاعجاب بك . . فالاعجاب هو بدء الصداقة !

- قليل من النساء أبدين اعجابهن بى .

- وهل أعجبت أنت بكثير منهن ؟

— اذكر ائنتين أو ثلاثا على الأكثر . ولعله كان حبا مبدئيا .. ولكن متى احببت انت يامس تود ؟
وحملت فيه « ماري » صامنة ، وفكرت برهة ثم قالت :
— لم تكن هناك بديلة لحبي .. أو هو ، على الأقل ، لم يبدأ بعد !

عندما يكون الرجل .. « كالماسة الخام » !

وأخذت علاقة « ماري » بإبراهام تتوثق على مر الأيام .. ولم تكن ماري تتوقع أن تجد في (سبرنجفيلد) هذا الفيض من السعادة .. وقد لاحظت شقيقتها هذه السعادة التي غمرتها ، فأسرت اليها ذات يوم بقولها : « لقد ازددت فتنة وسحرا بدرجة لم أعهد لها فيك من قبل ! .. ترى من الذي استهواك من الشبان ؟ .. طبيعي أن الفارس ليس تلك الماسة التي لم تصقل بعد ! » . فأجابت ماري : « ان صقل ماسة حقيقية يستغرق الحياة بأكملها ! وعلى أية حال ، فالأمر يتوقف على نوعها .. وصفائها من الداخل ! »

غير أن صفاء الماسة وصقلها كان يحتاج الى وقت طويل ، فقد علقت بها شوائب من هنا وهناك ، سيما تلك الحملة المقدعة التي تعرض لها لنكولن من الصحافة المعارضة ، بسبب طريقته في الخطابة ، وفي فض المشاكل عن طريق الفكاهة والأمثال الشعبية .. مما أدى بماري الى القلق على مصير الرجل ومستقبله .. بعد أن علقت عليه آمالا كبار !
و ذات يوم وصلها خطاب من والدها ، بمناسبة عيد الميلاد ، وبداخله مبلغ محترم من المال ، مشفوع بنبا سار

مُوداه ان والدتها قد تركت لها في وصيتها أرضاً زراعية خصبية في (انديانا) ، مساحتها خمسون فدانا ، على ان تحصل عليها فور زواجها .. وكان ذلك فألا طيبا بالنسبة لها ، مما شجعها على طرح الهواجس والقلق جانبا .

وفي الحفل الذي اقامته شقيقتها بمناسبة العيد ، كانت ماري تقوم بدور المضيفة ، نظرا لتخلف شقيقتها التي كانت على وشك الوضع .. وفي تلك الليلة سنحت لماري فرصة بعد انصراف المدعوين ، اذ لحق بها ابراهام ، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء ، وطلب منها ان تأذن له بدقائق من وقتها ، فرحبت به ، وجلسا مستغرقين في حديث ودي . وكم كانت دهشتها عندما اكتشفا انهما - ماري وابراهيم - قد ولدا في مقاطعة (كنتوكي) ، كما فقد كل منهما والدته في سن واحدة .. ثم تحدثا في تلك الليلة كثيرا ، وطرقا شتى الموضوعات .. وعندما سألته ماري ان يقص عليها تاريخ حياته ، اجاب بقوله :

- ان تاريخ حياتي لا يعدو ان يكون تاريخ حياة الفقراء ، وهو تاريخ ساذج قصير !

- لكنك كنت بليفا في خطابك ، فمن أين لك هذه البلاغة ؟

- لم يكن في بيتنا سوى الكتاب المقدس . لكنني كنت أستعير بعض الكتب المصدودة التي كانت ملكا للجيران .. كنت أقرأ ليلا على ضوء الشمعة حتى تفنى .. وكنت أحفظ هذه الكتب عن ظهر قلب ، لقلة عددها .. وهكذا استطعت ان أقرأ كتبا مثل (روبنسون كروزو) و (حياة هنري كلاي)

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٢٩

و (خرافات ايسنوب) ، وما شابه ذلك . وقد عاونتنى زوجة أبى على اكمال تعليمى ، ضد ارادة أبى الذى لم ينل اى قسط من العلم ، ومع هذا كان يسخط على من يطلبه

لا يترافع الا عن المتهم الذى يؤمن ببراءته !

وكانت ماري تسمع أشياء كثيرة تدور من حولها على السنة الناس ، وكلها منصرف الى ابراهيم العصامى المكافح . . قصص كثيرة كانت تروى عن طيبة قلبه وحبه للناس . . وقد أرادت « ماري » ذات يوم أن تتحقق من هذا ، وأن تراه بنفسها . وصادف أن ذهبت الى دار القضاء لتستمع الى مرافعته فى احدى القضايا . وكم كانت دهشتها عندما وجدته يعلن تخليه عن الدفاع . . لكنها مالبت أن اكتشفت الحقيقة ، اذ تبينت أن لنكولن قد علم عن موكله ما يثبت خيانتة ، فما كان منه الا أن سار نحو الباب . . وعندما سأله القاضى : الى أين ؟ أجاب : « الى حيث أغسل يدي من هذه القضية ! »

كذلك رفض المرافعة فى احدى القضايا لأن موكله كان يتجر فى الرقيق ، وامتنع عن دخول المحكمة فى صفه قائلا : « لن أرفع صوتى لصالح الاتجار بالرقيق الذى أومن بأنه مبنى على الظلم والسياسة العقيمة . فالبيض يستطيعون تحرير أنفسهم ، أما السود فهذا ليس فى وسعهم . وهنا تكمن المأساة . ولست أرى من واجبى ، كمحام ، أن أدافع عن شخص يحاول تلويث أرض حرة بتجارة الرقيق ! »



مارى تود فى شبابها (١٨١٨ - ١٨٨٢) . وقد التقت
بلنكولن فى مرقص عام ١٨٣٩ ، وتزوجا فى ٤ نوفمبر
١٨٤٢ ، بعد حب تخلله الشجار ، والقطيعة ، والوصال
.. الخ



مارى لنكولن مرتدية ثوبا للسهرة قبيل خروجها مع زوجها الى حفلة راقصة . وكانت تكره الظهور في صور مع زوجها بسبب الفارق الكبير بين طول قامتيهما !

ولم يكن هذا هو كل ما اكتشفته « ماري » في أبراهام ،
 إذ هالها ذات مرة أن تكتشف تلك القوة الهائلة التي تكمن في
 عضلاته . فقد تبارى القوم يوما على حمل فأس ضخمة ..
 لكن أحدا لم يقو على ذلك ، باستثناء « دوجلاس » الذي
 حركها قليلا . وقبل لنكولن دعوة ماري لحمل الفأس ، بعد
 الحاح منها ، فما كان منه إلا أن خلع ياقته البيضاء ، وتقدم
 نحو الفأس ، ثم رفعها مرة واحدة الى مستوى قامته ..
 ثم طلب فأسا أخرى ، وقام بدفن راسي الفأسين في الأرض ،
 وترك بينهما مسافة قدم واحد ، وما أن انتهى من ذلك حتى
 أمسك كلا منهما بيد ، ورفعهما معا . وكانت النتيجة ان
 شعرت ماري بدوار ، غادرت المكان بسببه فورا ، بينما
 لنكولن يمسح بمنديله العرق المتصبب على جبينه !

القبلة الأولى !

ونجح كيوييد تماما في مهمته ، إذ وفق بين قلبي ماري
 وابراهيم ، وربط بينهما برباط وثيق .. فلکم شعرت ماري
 بارتياح عندما كانت تسير بجوار لنكولن ، ولكم شعر هو
 أيضا بالمسؤولية ازاء حبهما ، فضاعف من حرصه على
 راحة رفيقته .. بل انه لم يعترف باسمها الحقيقي ، وانما
 اختار لها اسما من عنده هو « مولی » .. وهو اسم خاله
 مريحا ، لا يبعث الأشجان مثلما يبعثها الاسم الأصلي .
 (ذلك لأنه كان قد وقع في غرام فتاة من قبل ، كانت تحمل
 اسم « ماري » أيضا ، لكنها خيبت آماله ، وخلفت له
 اللوعة والحسرة !)

« ماري تود » . . ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٣٣

وأصبح المشي هواية للمتحابين . وذات مرة ، فيما هما سائران ، أعلنته « ماري » بأنها ستزور عمها القاضي في (ميسوري) ، لقضاء بعض الوقت هناك . . وأخذا يتناقشان في مسألة السفر ، وهما يتقاربان أكثر فأكثر ، حتى أصبحت المسافة بينهما لا تذكر . . وعندئذ انحنى لنكولن نحو ماري ، فأولته هي الأخرى خدحا دون أن تشعر . . ولم تدر إلا وقد احتضن كل منهما الآخر ، وقد أطبقت شفثاه على شفثيها . . وفي تلك اللحظة انهارت جميع السدود التي تفصل بينهما ، وأصبحا يشعران كأنهما الكائنات الوحيدتان على ظهر الأرض !

وبعد لحظة ، رفع ابراهام فمه عن شفثيها ، وكذلك ذراعيه القويتين اللتين التفتا حول خصرها . . ثم تحول سائرا في طريقه دون أن ينبس ببنت شفة !

صراع . . بين القلب والجسد

فكرت « ماري » كثيرا في ابراهام . . بل انها صرحت بحبها له الى ابنة عمها «آن» فور وصولها الى (ميسوري) ، ودافعت عنه ، وتنبأت له برئاسة الجمهورية ! . . لكن التفكير فيه شغلها ذات ليلة ، وهي في فراشها تتقلب ، وتستدعي النوم بلا جدوى ، اذ أخذت تتساءل :

« ترى لماذا أحب لنكولن أكثر من سواه ؟ ان كان ذلك لأمانته ، فجميع معارفى تقريبا يتحلون بالأمانة ! . . وان كان للبساطة ، فانها سجية لا قيمة لها ! . . وان كان للقوة

البدنية ، فالحيوانات تتمتع بها ! .. وان كان لروحه الفكاهية المرحية ، فهذا لا يدل على ثقافة ذهنية ! .. وهكذا راحت تقلب الأمر على كافة الوجوه ، دون أن تخرج بنتيجة ، اللهم الا تقدير الناس له ، واعتقادهم بكفاءته وقوة شخصيته .. لكن ، هل يبادلها لنكون نفس الحب ؟

كان هو قد جرب هذه العاطفة من قبل ، ولدغته التجربة ، فجعلته يصف الحب بقوله : « انه هلاك ! » . أما هي فقد اصرت على حبها وراحت تغذيه وتطعمه من قلبها ووجدانها .. ورفضت بكبرياء عرض شقيقتها اليزابيث بشأن الزواج

من « ستيفن دو جلاس » ، الشاب الثرى الذى يهواها ، وأبافتها بعزمها على الزواج من لنكون ، رغم مهاجمة امرتها له واتهامه بالجهل والخشونة .. بل وقبح المنظر أيضا !

وما أن عادت الى (سبرنجفيلد) عقب انتهاء زيارتها لعمها ، حتى سألت عن ابراهام ، وعرفت من شقيقتها انه عاد هو الآخر من سفره أمس .. وما ان انقضت الليلة حتى فاجأها ، فى الصباح التالى ، بزيارته فى ساعة مبكرة .. حيث تبادلوا الأشواق من جديد .. ثم انصرف بعد أن وعدها بالزيارة فى الصباح الذى يليه ..

واقبل ابراهام فى مواعده .. وكم كانت دهشتها عندما

قدم لها زجاجة من العطر قائلا : « لست ممن يستطعمون التعبير يامولى .. لأن قدرتى على التعبير تقل كلما انهدت مشاعرى .. لكننى أريد أن تعرفى عنى شيئا واحدا .. هو انك المرأة الوحيدة التى أحبتها ! »

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٣٥

.. وكان لهذه الهدية المتواضعة وقع كبير على نفسها ،
اذ اجتذبتها الحديث ، وأخذت تتنقل به من موضوع لآخر ،
الى أن استقرت عند موضوع الزواج .. فحدثت لنكولن
عن الصداق (الدوطة) الذي تركته لها والدتها .. كما
حدثته عن اعتزامها شراء منزل فخيم للسكنى ، وعندئذ قال
لها : « لم يحدث اننى ملكت الفراش الذى أنام عليه يامولى !
.. لذا أناشدك طرح هذه المسائل جانبا .. اذ ليس من
اليسير على أن أقفز من نصف فراش ، الى قصر منيف ! ..
ولماذا تبغين أن تبدئي الحياة من قمتها ؟ .. انك لن تجدى
عندئذ مجالا للصعود ! »

.. ومضى جبهما هادئا ، حافلا بالبهجة والسعادة .. الى
ان اعتزم لنكولن مغادرة سبرنجفيلد ليقود حملة الانتخابات
للمرة الأخيرة .. فودع ماري على ان يعود بعد أسبوعين ،
بعد ان اتفقا على ان يتم الزواج بعد عودته .. لكن الاتفاق
لم ينجح هذه المرة ، فاضطرا الى تحديد موعد آخر
لاعلان الخطبة ، وانتهزا فرصة عيد رأس السنة ، فاتفقا
على ان تتم فيه الخطبة وعقد الزواج معا ، اثناء حفلة
الشمبانيا التى تقرر اقامتها لهذه المناسبة .
وسرعان ما حل الموعد المضروب . وافتتحت حفلة
الشمبانيا ، وظلت ماري تتطلع الى الباب مترقبة قِدم
ابراهيم ، ولكن بلا جدوى ! .. واضطرت ، قرب نهاية
الحفلة ، الى الاعتذار للمدعوين .. ثم صعدت الى غرفتها ،
ورأسها مثقلة بالهموم والأشجان : ترى ماذا حدث ؟ هل

تسرعت في طلبها ؟ هل ذهب حبها مع الريح .. و .. و ..
 أسئلة عديدة دارت برأسها ، وجعلتها تقضى ليلتها مسهدة ،
 لا يغمض لها جفن ..

وأخيرا علمت أن لنكولن قد أصيب بداء السويداء
 (الملائخوليا) ، وأنه يضيق بالحياة ، وأن حالته العامة
 ليست على ما يرام ، إذ نقل لها ابن عمها ، الذي يقيم في
 واشنطن ، فقرة من خطاب وصله من لنكولن يقول فيها :
 « اننى أشقى مخلوق على وجه الأرض ، وأشعر أنه لو
 وزع شقائى على البشر جميعا بالتساوى لما كان هناك ثفر
 باسم على هذه الأرض ! .. لقد ضقت ذرعا بالحياة ، حتى
 أصبحت لا أقوى على احتمالها .. والآن : اما التقدم ..
 واما الموت ! »

ومع أن مارى تجلدت أمام هذا الموقف ، وأظهرت من
 الشجاعة ما أخفى جزعها وقلقها ، إلا أنها كانت كمن أصيب
 بالحمى ، إذ استسلمت للأمر فى هدوء ، وهى تغلى من
 الداخل ، وكلما أفاقت من أشجانها تذكرت كلماته لها :
 « ان الحب أبدى ! »

وأخيرا .. تم الزواج !

وولى صيف ذلك العام ، وحل الشتاء بثلوجه وزوابعه ،
 لكنه مضى أيضا دون أن تطمئن على الحبيب الغائب !
 وذات يوم ، فى بداية شهر أغسطس ، وصلتها بطاقة
 لتناول العشاء لدى صديقة لها .. ولبت الدعوة .. ولم
 تكن تدري ما يخبئه القدر لها .. فما أن بلغت بيت صديقتها ،

« مارى تود » . . ملهمة « لنكولن » فى كفاحه ١٣٧

حتى حدثت المفاجأة . . كان لنكولن هناك ! . . وكان عتاب
أعقبه الصلح على الفور ، اذ تفاهما ، وصفيا الخصام ،
وتصافحا . . لكنها لم تطلب منه شيئا ، اذ حدث أن واجهها
هو بطلبه . . على أن يتم تنفيذه عقب عودته من جولة أزمع
القيام بها . .

وصدق فى وعده هذه المرة ، اذ عاد فى أول شهر نوفمبر
بعد أن نجح فى جولته القضائية . . وكسب عدة قضايا . .
لكنه عاد بمظهر جديد كلية : ففى جيبه عقد شراء أرض
مساحتها أربعون فدانا اشتراها لوالديه ، وعليه ثياب أنيقة
جعلته يبدو ثريا . .
وتقدم الى مارى قائلا :

— ترى ، أتقبليننى زوجا يا مس تود . . غدا . . أم بعد
غد ؟

— وهل اطمئن الى قبول العرض ؟ . . (واستطردت بلهجة
قاسية) أمتأكد من أنك لن تختفى مع الريح عامين آخرين ؟
— بل عليك أنت أن تحددى المكان . . وسأكون عند
وعدى هناك !

. . وأخيرا تم الزواج ، وتلته حفلة راقصة حتى ساعة
متأخرة من الليل . . لكن العروسين تسللا فى هدوء عند
منتصف الليل ، الى حيث أقلتتهما عربية مضت بهما الى
فندق « جلوب » . . وهناك احتلا نفس الغرفة التى سبق
أن احتلتها شقيقتاهما عند زواجهما !

الكلاب تنبح .. والقافلة تسير !

جعلت ماري من غرفتها عشا زوجيا أنيقا .. وسرعان ما
اعتراها تحول كبير جنح بهما الى السعادة ، ورسم على
محياهما دلائل الصحة والنضارة ..

وكان هو شغوفًا بالكتابة ، واطهار مواهبه الأدبية على
الورق .. أما هي فقد كانت تحنو عليه ، وتحاول ان تشعره
بالراحة والهناء ..

وذات يوم حضرت لزيارتها شقيقتها « آن » ، ولم تكن
قد رأت لنكولن بعد .. لكنها عند ما قابلته ، أحست بخيبة
أمل ، ظهرت آثارها على وجهها في الحال .. مما سبب
ضيقا كبيرا لماري .. سيما وان حساسية لنكولن جعلته
يتنبه لذلك .. فما كان منه الا ان بادر ماري بقوله :

« أخشى أن اكون قد خيبت أمل شقيقتك يا ماري ، فأنا
مضطر لأن أعيد على مسمعها ما سبق أن ذكره المدعى العام
حين قال : ان قبح منظر الرجل يقف عقبة في سبيل نجاحه
.. وان تقير الطبيعة بالنسبة له ، يضطره الى بذل مجهود
جبار لكي يعوض هذا النقص بسلوكه وتصرفاته .. أما من
أسبغت عليه الطبيعة من حسناتها فهو ، على النقيض ،
يطمئن الى وجهه فلا يعنى بنقص عقله أو قلبه ! »

.. لكن ماري طابت خاطره ، وطمأنته ، وأزاحت الأوهام
التي شغلته ..

.. وقد أثمر زواجهما سريعا ، اذ وضعت ماري مولودها
الأول في أول اغسطس التالي .. وأطلقا عليه اسم « روبرت » ،

« ماري تود » . . ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٣٩

تكريما لأبيها . وكان من حظ الطفل أن زارهما « روبرت » الجد ، فاهدى ماري مظروفا به عقد ملكية ثمانين فدانا بالقرب من سبرنجفيلد !

لكن الطفل لم يلبث أن ظهر في إحدى عينيه « حول » أزعج ماري كثيرا ، وخاصة عندما قرر لها الطبيب أنه حول وراثي ، لا علاج له ، وقد ورثه عن أبيه الذي كان يبدو أحول العين عند الاجهاد . .

وشاء لنكولن أن يدخل على قلب زوجته السرور ، ففاجأها ذات يوم بقوله : « لقد اشتريت لك منزل القسي (دوير) الذي استهواك . . فقد حرمت نفسي منذ زواجنا من إقامة الحفلات ، بل ومن ممارسة لعب الكرة التي أعشقها ، وذلك لكي أدخر لك ثمن البيت ! » . . وعندئذ فاضت الدموع من عينيها . . وغمرها فيض من السعادة ، أنساها متاعبها . .

انتخابه مرشحا لرياسة الجمهورية

وجعات ماري من المسكن الجديد جنة وارفة الظلال . . وشاء القدر أن تسفر حركة النشاط السياسي عن انتخاب ابراهام مرشحا لرئاسة الجمهورية . . فكان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة في تاريخ زواجهما . . مرحلة لم تقف في سبيلها الخلافات الزوجية التي كانت تحل بهما من حين لآخر . . على الرغم من ندرتها . . وكانت ماري في ذلك الحين تتمنى أن ترزق ببنت . .

لكنها وضعت طفلا ذكرا ، لم يكن ذا عاهة كأخيه . ويبدو أن قافلة المجد كانت ماضية بهما ، إذ ما لبث لنكون أن رشح لعضوية (الكونجرس) . وكان منافسه هو القس « كارترايت » ، الذي أخذ يدعو لانتخابه على نطاق واسع ، مهاجما في الوقت نفسه ابراهام . وفي أحد هذه الاجتماعات ، وقف القس يخطب ، وعندئذ قال ابراهام هامسا : « لست أدري لماذا يبحث هذا الرجل عن الخطاة ، وجميع من حوله هم أصدقاءه الديموقراطيون ؟ ! » .

وفهم « كارترايت » ما عناه لنكون ، فصوب نظره نحوه لحظة ، ثم رفع ذراعيه قائلا : « من يبغى أن يحيا حياة جديدة ويسلم قلبه لله ، فليقف ! » . . . ووقف عدد قليل من الحاضرين . لكنه أضاف قائلا : « ومن يبغى أن لا يكون الجحيم مثواه ، فليقف ! » . . . فوقف الجميع ، ماعدا ماري وزوجها . . . وعندئذ قال كارترايت : « لقد لاحظت أن البعض قد وقف من أجل تسليم قلوبهم لله ، كما وقف الجميع ، باستثناء واحد ، لأنهم لا يبغون الذهاب الى الجحيم . فهل تسمح لي أن أسألك يا مستر لنكون : إلى أين تبغى الذهاب ؟ » . . . فأجابه لنكون على الفور : « إلى الكونجرس ! » . . . وعندئذ ضج الجميع بالضحك . لكن هذا أزعج القس ، وجعله يذيع تقريرا بادانة لنكون وعدم أهليته لتمثيل المسيحيين في الكونجرس .

.. غير أن لنكون استطاع أن يكتسب عطف ٥٦ ٪ من مجموع الرأي العام ، في صراعه مع القس المرشح .

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٤١

أما حياته في البيت في تلك الفترة ، فكانت حديث الناس ،
اذ كان عطوفا على طفليه وزوجته .. ولم يكن يسمح لماري
بالقسوة عليهما ، وكان يقول لها : « ان العالم حافل
بصنوف الشقاء ، فلينعما على الأقل بطفولة سعيدة ! »

الحياة في واشنطن

كان على الأسرة الصغيرة أن تنتقل الى واشنطن بعد
نجاح عائلها .. لكنها لم توفق الى استئجار منزل مناسب ،
اذ احتلت غرفة متواضعة بأحد البنسيونات .. وكان هذا
يسبب حرجا لماري ، اذ وجدت أنها تتردد كثيرا على البيت
الأبيض بحكم مركز زوجها ، مما جعلها تتذمر من هذا
الوضع .. وتشكو لابراهيم ، وترجوه التفكير في هذه
المشكلة .. لكنه لم يكن يأبه بها ، بدعوى أن أهل المدينة
الكبيرة لا يهتمون بمثل هذه الامور ، سيما وأن زوجات
بعض الأعضاء يقمن في نفس المكان دون تذمر ..

وفكرت ماري في الأمر ، ورضخت في النهاية لرأيه ،
حتى لا تجرح احساسه ، وحتى لا تضاعف من متاعبه التي
أخذت تتزايد بفعل المضايقات التي كان يلقاها من جراء
معارضته لحرب المكسيك ، وإيمانه بالحلول السلمية ..

وقد حدث أن عرض عليه منصب محافظ ولاية
(أوريجون) ، بمرتب سنوي قدره ثلاثة آلاف دولار ، لكن
ماري وقفت في وجه هذا العرض ، رغم احتياجهم للمال ..
وراحا ينفقان من مال كانت هي قد ادخرته ..

المصائب لا تأتي فرادى .. !

غير أن القدر لم يمهل سعادتهما أكثر من هذا .. اذ شغلت ماري بعملية جراحية أجريت لعين « روبرت » الصغير .. ثم نكبت بوفاة والدها « روبرت » الكبير .. وآلمها أن تباع محتويات منزله بالمزاد العلني ..

ثم مرض طفلها الاصغر « ادوارد » بالدفترية ، لكنه لم يمكث طويلا ، اذ فاضت روحه الي بارئها .. وعبثا بحثت في قلب « روبرت » عن عوض لفقد أخيه .. ومع هذا تحملت ماري ما حل بها من مصائب ، وضفطت على أعصابها لكي تبدو هادئة ..

وأقبل عام ١٨٥٠ يحمل ربيعا صافيا ، أحال (سبرنجفيلد) الى جنة خضراء ، لكن هذا الصفاء لم ينتقل الى الجو السياسى الذى كان ملبدا بالفيوم .. كانت هناك بوادر تفرقة وتشاحن بين الولايات الشمالية والجنوبية بسبب تجارة البرقيق ، جعلت ابراهام يتوه فى دوامة من القلق والأسى .. دوامة شاركته فيها ماري التى كانت تحمل فى أحشائها جنينا مضت عليه شهور قليلة ..

ولم يخفف من عذاب الزوجين سوى موت الرئيس « تيلر » ، وفوز نائبه « ستيفن دوجلاس » بالرئاسة .. ورزقا بطفلها الثالث الذى سمي « وليم ولاس لنكولن » ، اعترافا بجميل زوج شقيقتها الطبيب الذى عنى بها . وكان ابراهام فى تلك الفترة مشغولا بالمحامة والانتخابات ، وكثيرا ما كان يتغيب عن بيته .. وذات يوم كانا عائدين من

« ماري تود » . . ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٤٣

الكنيسة ، وكان هو يجر عربة « وليم » ، وماري من خلفه تسير في هدوء وثبات . . لكنها ما لبثت أن خرجت عن هدوئها واندفعت صارخة نحو وليدها الذي هوى في تلك اللحظة على الأرض بعد أن سقط من العربة ، بينما أبوه ماض في جرّها ، غير منتبه الى ما حدث . . وعقدت المفاجأة لسانه عندما استدار واكتشف اهماله ، فوقف صامتا ، زائغ البصر . . ولم تتمالك ماري أعصابها ، فراحت تؤنبه بحدة . واستمع هو اليها حتى فرغت ، ثم قال : « ان العالم شاق يا ماري ، والناس فيه تظل تسقط من أعلى العربات . . فجدير بوليم أن يتعود ذلك منذ طفولته ! »

. . وازداد « لنكولن » قلقا ، وأصبح عصيبا ، حاد المزاج . . لم يكن يفادر مكتبه الا لماما ، ولم يكن يتناول طعامه بانتظام . . واعتلى وجهه وجوم وهزال كئيبان ، جعل ماري أشد حساسية وخوفا عليه مما سبق . . بل ان هذا الجو المقبض انتقل الى ماري في النهاية ، فصارت تتشاجر مع الباعة ، وتقسو على خادمتها ، وتثور لاتفه الأسباب ! وبلغ السيل الزبى عندما بلغت شائعات عن تودد ابراهام الى احدي الممثلات . . وعندئذ ثارت ثائرتها واندفعت اليه تريد أن تثار لنفسها . . لكنه نظر اليها في هدوء ثم قال : « ان أعظم ثناء تكليينه يا ماري لرجل حرمة الطبيعة من نعمة الجمال ، هو أن تفاري عليه ! . . فلا خوف على من النساء قط ، لأن المرأة تؤكد لي انني أقبح رجل في الوجود ! » لكن الشائعات مضت تتواتر ، بينما ماري منتبهة متحفزة

للقضاء على كل منها في مهدها .. ثم انتهزت فرصة حلول اليوم الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٥٢ ، فاحتفلت بالذكرى العاشرة لزواجهما .. وكان هذا ردا بليغا أخرس الألسنة من حولها . وراح ابراهيم ، من جانبه ، يكشف لها عن الحقيقة ، ويشكو لها متاعبه وآلامه ، معترفا بفضلها عليه ، معتذرا عما بدا عليه من وجوم وقلق .

امنياته .. لابنه الرابع

ووضعت ماري طفلها الرابع - وجاء ولدا هذه المرة أيضا ! - فألمها أن تخلو ذريتهما من البنات ، لكنها ما لبثت أن استراحت ورضيت بما قدر لها .. وكان الطفل أشقر ، ضخم الرأس ، مما دعا أبوه الى تشبيهه بفرخ الضفدع قائلا : « يبدو أنك ستفدو ذا عقلية جبارة يا فرخ الضفدع ، وأعتقد أننا سنخرج منك شاعرا أو فيلسوفا .. ولن يصل بك الجهل حتى تصير محاميا ريفيا كأبيك ! » .. وسمى الطفل : « تاد » أو « تدي » ، لكنه كان ، كأخيه الشقي ، ذا عاهة في حلقه ..

غير أن الزوجين سعدا بعد ذلك بنبا أثلج صدريهما .. اذ قرر مجلس شيوخ ولاية (الينوى) جعل مدينة (لنكولن) - التي سمى باسمها ابراهيم - عاصمة لمقاطعة (لوجات) .. وكان ذلك يوم ١٢ فبراير ، أى في عيد ميلاده .

عند ما تتحول السياسة الى طعام وشراب ! .. كان ابراهيم يؤمن بأن السياسة كالماء والهواء .. بل انها تحولت الى طعام وشراب بالنسبة له ! .. وكانت

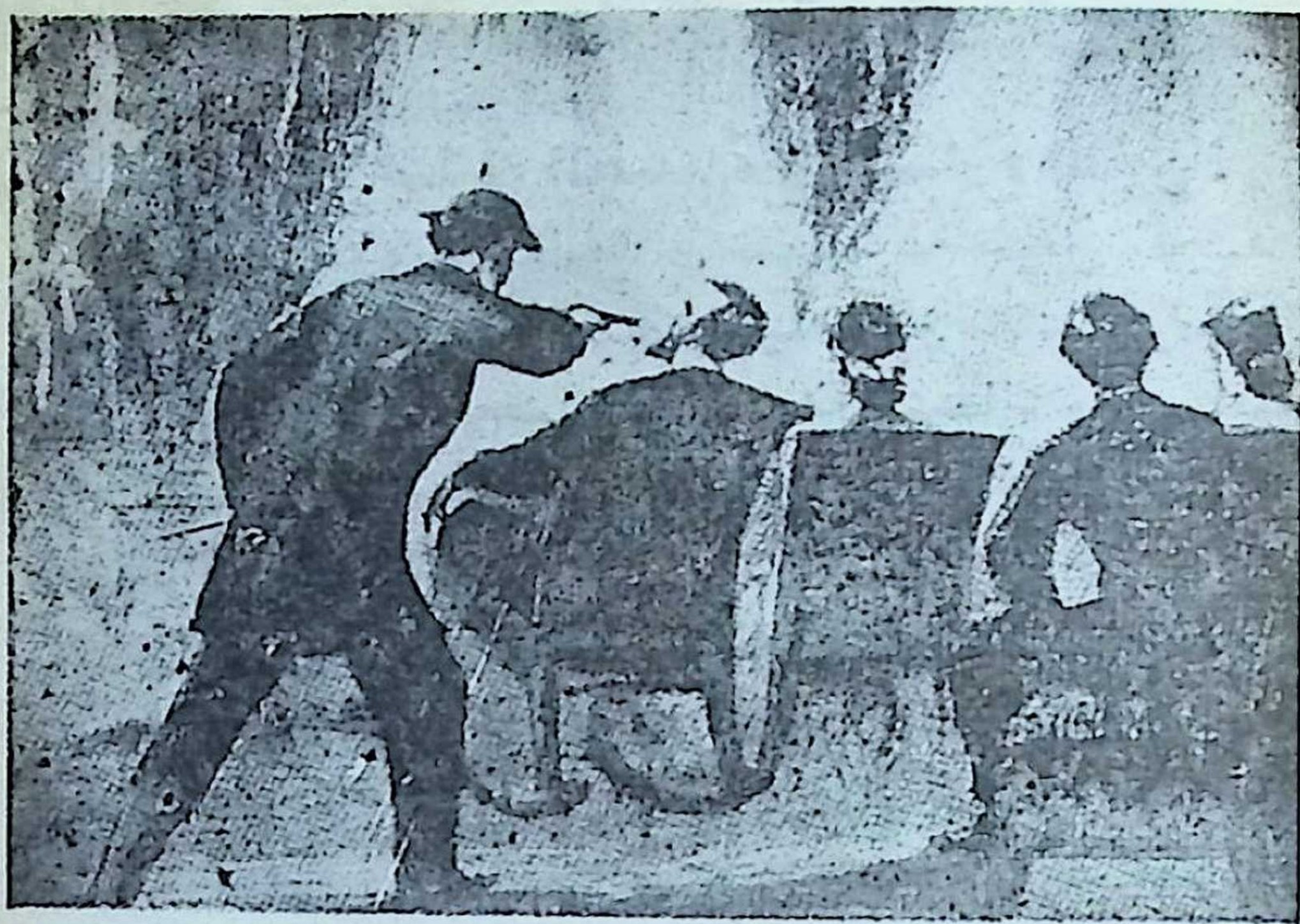
« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٤٥

مشكلة الرق على رأس المشكلات التي عانى منها كثيرا ..
وتذكر ماري انها استيقظت ذات يوم في ساعة مبكرة ،
فوجدته جالسا على حافة سريريه وهو يديم النظر اليها ..
وعندئذ عرفت أنه عاد الى قلقه وتوتره . وقال لها بعد لحظة
من انتباهها اليه : « يا ماري ، هل يمكن أن تدوم هذه
الامة ، بينما نصفها مستعبد والنصف الآخر متحرر ؟ ! »
لقد طفت المشكلة عليه ، واستحوذت على تفكيره ، فجعلته
ينصرف اليها . فلم يكن يذهب للمكتبة للتسلية ، وانما
للدراسة والبحث في حلول للمشكلة .. حتى بدأ الناس
ينفضون من حوله ساخطين ، مستنكرين تقديره للحرية ..
أما ماري فقد تحولت الى مستودع سره وساعده الأيمن !
وعند ما أقر الرئيس دوجلاس تعديل الدستور في ٤
مارس ١٨٥٤ بما يضمن اقرار تجارة الرقيق ، ثارت
الصحف ، وجميع طوائف الشعب .. حتى رجال الدين ..
وفي ذلك اليوم عاد ابراهام الى بيته والفضب يؤجج
نفسه .. وأخذ يعلن لماري احتقاره لذلك الرجل الذي فرض
الرق على الناس ، وتصميمه على الجهاد من أجلهم . ولكن ،
ما وسيلة ذلك ؟ .. لاشك أن عضوية الكونجرس تضمن له
نصيبا إيجابيا في المعركة ، هكذا قالت ماري وهي تحثه على
ترشيح نفسه ، مستطردة : « اننا لم نعد نستحق الرثاء ،
أو نسترق النظر حولنا لنبحث لأنفسنا عن قبور وخصيعة
نتواري خلفها .. وانما نحن نمضي قدما على الطريق ! »
.. لكنه فشل في أول تجربة .. اذ فاز بالعضوية رجل

آخر من حزب الأحرار الذي ينتمى إليه . ومع هذا لم يفت اليأس في عضده ، بل انه مضى الى الفائز على الفور وهناه قائلا : « ان فشاي يعادل تشوقي لتهنئتك يا صديقي العزيز ! »



صوره تاريخيه للرئيس لنكولن ، وهو يراجع دروس ابنه « تاد » . وقد التقطت الصورة يوم ٩ فبراير سنة ١٨٦٤ ، قبل مصرع لنكولن بعام واحد



(في أعلى) : الممثل
الفاشل « جون
ويلكس بوث »
يطلق النار على
لنكولن اثناء عرض
كوميديا « ابن عمنا
الامريكي »
(الى اليسار) :
صورة نادرة للقاتل
(٢٦ سنة) ، وقد
قتله رجال الشرطة
في جرن قمح بعد
١٢ يوما من قتله
لنكولن ، ووجدوا
في جيبه صور
خمس نساء !

سيدة ضئيلة الجسم ، في الشارع الثامن !

وأحسست ماري أن عليها أن تمهد له طريق المجد الذي ينتظره ، فانتهزت فرصة رحيله ، وقامت بترميم البيت الذي يقيم فيه ، حتى بدأ جديدا منيعا ، وأضافت إليه طابعا آخر . لدرجة أن أبراهام تردد في دخوله عند عودته ، وهو لا يصدق نظره !

ومرة ثانية أخطأه الحظ في الانتخابات ، لكنه لم ييأس . بل ظل يشعل النيران تحت القدر السياسي لكي يزيد من اضطرامه وغليانه ، فراح يدعو زعماء الحزب الجمهوري في كافة الولايات الى نبذ تجارة الرقيق وتحطيم الاصوات المؤيدة لها ، حتى لا تستفحل الانقسامات وتؤدي الى حرب أهلية بين ولايات الجنوب وولايات الشمال . كما استعان بموهبته الخطابية لالقاء الضوء على المشكلة . وفي كل هذا كان مرحا على غير عادته .

وأسفرت المعركة السياسية الناشبة في ذلك الحين عن عقد مؤتمر كبير اصطبغ بالصبغة الرسمية ، وافتتح في شيكاغو في ١٦ مايو ١٨٦٠ .

ثم كانت المفاجأة !

ففي الصباح التالي خرج أبراهام الى مكتبه ، لكنه ما لبث أن عاد الى بيته . وفوجئت به ماري وقد شحبت وجهه . لكنها لمحت السرور طاغيا على عينيه وحركاته . واذ ذلك حانت منها التفاتة الى يده : كانت ممسكة ببرقية . ولمعت عينا ماري بسرعة ، ووجدت نفسها بين ذراعي

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٤٩

ابراهيم وهو يقول لها : **((لقدتم ترشيحنا لرئاسة الجمهورية يا ماري .. وقد وصلتني هذه البرقية فقلت لنفسي ان في الشارع الثامن سيدة ضئيلة الجسم تهمة هذه الرسالة .. لذا أقبلت على التو من أجلك !))**

ولم تستطع ماري أن تسمع أصوات اطلاق المدافع والأجراس والتهليل ، بسبب دقات قلبها القوية .. واحتضنها ابراهيم بقوة وضمها الى صدره ، ثم اطبق شفاته على شفتيها .. وعندئذ استعادت تاريخ أول قبلة منذ عشرين عاما .. عندما وقعت في شرك الرجل الذي كانت النساء يعتبرنه في ذيل قائمة الرجال !

سيدة البيت الأبيض !

وتوافد المهنئون على دار لنكولن بعد ظهر ذلك اليوم .. وأحضر له البعض سلة غاصة بزجاجات الشمبانيا .. وقال له قاضي بنسلفانيا - وكان معروفا بطول قامته : « يسرني اننا رشحنا لرئاسة الجمهورية رجلا علينا أن نرفع رؤوسنا عند النظر اليه ! »

وظهرت نتيجة الانتخابات .. وفاز لنكولن .. وبقي يوم ٤ مارس وهو يوم البيعة .. وعند ذلك تسلمت الشائعات ، وارجف المرجفون ، ظانين أن لنكولن لن تتم مبايعته ، بل سيقتل قبل أن يفادر (سبرنجفيلد) الى (واشنطن) ! وبلغت الشائعات ماري فلم تأبه بها . ووقفت بشجاعة تجلو زيفها .. لكنها اضطرت - تحت ضغط الحاح الاصدقاء - الى التخلف في سبرنجفيلد حتى ينجح زوجها ،

وحتى لا يلحق بها خطر ..

وقبل أن يتحرك القطار مقلًا الرئيس المرتقب ، وقف هو ، ورفع قبعته ، وخطب في الجموع المحتشدة لتوديعه في سبرنجفيلد : « لا يمكن لأى شخص في غير موقفى أن يقدر الألم الذى أشعر به لفراقكم : اننى مدين لهذه البقعة بكل شئ ، مدين للعطف الذى اسبغتموه على .. لقد عشت هنا ربع قرن مارا بمرحلة الشباب الى مرحلة الكهولة .. هنا ولد أطفالى الذين وارىت الثرى احدثهم ، وها أنا أرحل - ولست أدري ان كنت سأعود أم لا - وأنا أحمل على كاهلى مسئولية أعظم من تلك التى حملها « جورج واشنطن » . لكننى اثق بالكائن الأزلى الذى يستطيع أن يعضدنى ويقف فى صفى على الدوام . فلنشق - حيثما كنا - بأن كل الأشياء تعمل معا للخير .. ها أنا استودعكم عناية الله .. وأخيرا أودعكم وداع المحبة »

وتحرك القطار ، والهتافات تتصاعد ، والمناديل تخفق .. بينما الدموع قد أغرورقت بها العيون .
.. وفى (واشنطن) تمت البيعة ، ووقف ابراهام يردد القسم ، وهو يضع يسراه على الكتاب المقدس ، بينما يمناه ممتدة نحو السماء . وراح قاضى القضاة ينطق بالقسم ولنكولن يردد :

« أقسم أنا ابراهام لنكولن بأن انفذ قوانين الولايات المتحدة بكل أمانة ، وأن أعمل كل ما فى وسعى لصيانة دستور البلاد وحمايته . »

وأصبحت ماري « سيدة البيت الأبيض » .. بجداراة .

« مارى تود » . . ملهمة « لنكولن » فى كفاحه ١٥١

نشوب الحرب الاهلية . .

لكن الرياح كثيرا ما تأتى بما لا تشتهى السفن . . اذ لاحت فى الأفق بوادر عواصف وأزمات . . فقد اشتد النزاع بين الولايات الجنوبية ، وعددها ست ، وبين الولايات الشمالية وعددها اثنتا عشرة . واضطر ابراهام الى اخلاء قلعة « سومتر » ارضاء للجنوبيين وابقاء على الاتحاد . لكن الثوار الجنوبيين هاجموا القلعة التى رفض قائدها التسليم ، وعندئذ اشتعلت الحرب . وانتاب الجزع مارى ، لكن لنكولن اجابها قائلا : « سأتولى أمر هذا النزاع بنفسى الى أن أنجح ، أو أموت ، أو أهزم ، أو تنتهى مدة رئاستى ، أو تنبذنى أمتى والكونجرس ! »

. . وتخرجت الحالة عندما حاصرت قوات الجنوب مدينة واشنطن ، لكن الحصار ما لبث أن انفك بوصول نجدات من الشمال . .

وتحمل الرئيس الجديد النقد الذى وجه اليه ، وشارتته مارى فيما وجه اليها ، أيضا ، من نقد لتصرفاتها . . لكنها تمسكت بالشجاعة واستطاعت أن تكتسب عطف الكثيرين وثناءهم ، بمن فى ذلك الضيوف الاجانب كالامير لويس نابليون الذى زار أمريكا فى ذلك الوقت ، ولقى حفاوة بالغة من سيدة البيت الأبيض .

وحاول ابراهام ، من جانبه ، أن يجنب الشعب ويلات الحرب وسفك الدماء ، بل انه ضحى بإبطال تجارة الرقيق فى سبيل المحافظة على وحدة الصفوف واتحاد الولايات التى

انقسمت فيما بينها ازاء هذه المشكلة .. وكم كان ابراهيم يود لو أن الناس سعوا الى الصفاء والسلام ، وعالجوا الامور بتساهل وحب ، كما كان يفعل أطفاله حين يختلفون فيما بينهم ..

وما أمر المحنة التي اجتازتها ماري في تلك الظروف ، حين انهال عليها النقد والتقريع من الصحافة .. وما اشد أسفها حين عرضت الصحافة بنشأتها في الجنوب وتعصبها لأهلها .. حتى لقد طالبوا بشنقها أو طردها من البيت الأبيض !

بل ان الاقدار قامت أيضا بدور عدائي ازاء الزوجين ، اذ اختطف الموت ولدهما ((ولیم)) اثر اصابته ببرد شديد لم يقو على احتماله .. ولئن كان ابراهيم قد استطاع أن يتغلب على أحزانه ، الا أن ماري لم تستطع التغلب على مصيبتها الأخيرة ، التي خلفت الحزن في قلبها والمرض في جسدها .. الى أن كان يوم فقدت فيه أخاها شهيدا في القتال الذي اشتد عقب وفاة ابنها .. وعبثا حاولت أن تعيد الطمأنينة الى قلبها . فقد حاولت أن تستعين بتحضير الأرواح في الاتصال بوليم ، دون جدوى . ووقف زوجها في وجه هذه الخرافات ، ونهاها عن تصديقها ، قائلا لها : ((أترين مصحة الأمراض العقلية الرابضة على قمة التل ؟ .. ان المدد الأكبر من ضحاياها هم أولئك الذين لم يتمكنوا من ضبط مشاعرهم !)) .. وحاول أن يصطحبها الى مستشفى الجيش ، وهناك شاهدت ضحايا القتال ، وقد شوهدت

« مارى تود » . . ملهمة « لنكولن » فى كفاحه ١٥٣

الشظايا أجسادهم ، فتأثرت غاية التأثير ، وغادرت المستشفى والدموع تنهمر من عينيها . .

وقالت له ، وهما يستقلان العربة : « ما أشد خجلى من تلك الدموع التى ذرفت على خسارتى الشخصية . . كان يجب أن أذرفها على هؤلاء الشبان الذين يحتضرون ، وعلى أمهاتهم اللواتى لا يستطعن البقاء الى جوارهم ليخففن عنهم ويهتمن بهم ! »

وكانت من نتيجة عمله هذا ، أن وجدت مارى نفسها مشدودة الى هؤلاء المساكين ، فراحت تزورهم وتشجعهم وتغمرهم بهداياها ومعوناتها المالية التى ادخرتها من مالها الخاص . . ووجدت فيهم عوضا عن فقدائها لأولادها وأخيها .

أعظم قرار أصدره لنكولن الانسان !

ما أن أصبح الخطر يهدد العاصمة بعد تقدم جيش الجنوب ، حتى قطع ابراهام عهدا باصدار قرار ينص على تحرير جميع العبيد ، فيما لو تراجع جيش الجنوب عن بنسلقانيا . . وشاءت الأقدار أن يتم هذا ، ولكن بعد قتال عنيف راح ضحيته ألفان من جنود الطرفين المتخاصمين . . وتناولت الصحف قرار ابراهام بالتأييد والتزكية ، وعلقت عليه بقولها : « لقد صدق الرئيس على أعظم قرار أصدره انسان على هذه الأرض ! »

كما بعث النبأ فى أهل الشمال حماسا شديدا . . وطففت الفرحة به على أسى مارى الذى تجدد هذه المرة عندما

جاءتها الأنبياء تحمل مصرع أخيها « دافيد » في القتال ..
 .. غير أن القتال بلغ أشده عندما التحم الجيشان في
 المعركة الفاصلة ، التي تحولت الى مجزرة قتل فيها ما يربو
 على اثني عشر ألفا من الفريقين ، مما اضطر الحكومة الى
 تحويل الكنائس الى مستشفيات لاستقبال الجرحى
 والضحايا ..

ولم يكن ابراهيم في ذلك الوقت في حالة طيبة ، اذ سيطر
 عليه الجزع والقلق ، وخلفا به حالة عصبية أشبه بالهستيريا
 .. وكادت حالة الهستيريا هذه أن تعصف بماري أيضا ،
 وخاصة عندما أتاها نبأ مقتل أخيها « اسكندر » في الحرب ،
 وكانت قد حملته على ذراعيها ، وهو بعد طفل ، قبل أن
 تغادر لكسنجتون الى سبرنجفيلد ..

ونجح ابراهيم في اقناعها ، وسط هذا الجو الملبد بالغيوم ،
 بأن تمضي بعض الوقت في رحلة خلوية بعيدة عن واشنطن ..
 لكنه انقطع عن امدادها بالأخبار فترة ، الى أن جاء يوم
 وصلتها منه برقية تقول أن القتال الأخير لم يكن في صالحهم ،
 وأن زوج شقيقتها الصغيرة قد قتل .. وعندئذ لم تتمالك
 نفسها فصرخت في أسى : « ترى كم ساء فقد من أفراد
 أسرتي ؟ ! » .. وكانت العربية في انتظارها في تلك اللحظة ،
 لتقلها الى الزوج الحائر الشجاع ..

وفي واشنطن ، مرة أخرى ، طلب من ابراهيم - عند
 تدشين مقبرة جديدة للقتلى - أن يخطب في الحاضرين عن
 سبب نشوب الحرب .. فقال في خطبته : « لقد جاء

« مارى تود » . . ملهمة « لنكولن » فى كفاحه ١٥٥

أسلافنا الى هذه القارة منذ سبعة وثمانين عاما ، وتكونوا
أمة جديدة تتمتع بالحرية ، مكرسين أنفسهم للمبدأ الذى
ينص على أن « جميع البشر قد خلقوا متساوين » . .
وها نحن نخوض غمار حرب أهلية لكى نختبر مدى سر
هذه الأمة بموجب المبدأ الذى كرست نفسها من اجله ! «
وكان عليه أن يخوض المعركة الانتخابية مرة أخرى ،
لانتهاء مدة رئاسته . . لكن الظروف خدمته ، هذه المرة
أيضا ، ففاز بالرئاسة فى الوقت الذى بدأت فيه كفة الشبان
فى الرجحان . . وأطلقت المدافع فى واشنطن ، بعد أسابيع ،
احتفالا بصدور قرار الفاء تجارة الرقيق فى ماريلاند
وأركنساس ولويسيانا ، بصفة نهائية . . ومر جمع كبير أمام
البيت الأبيض لشكر الرئيس الذى وقف بجوار مارى فى
الشرف ، وهو يلوح واياها للشعب . . ثم التفت اليها
قائلا : « لقد تمخضت مدة رئاستى عن أعظم حدث فى تاريخ
القرن التاسع عشر ! »

وتمت البيعة الثانية بنفس النجاح والتوفيق الذى تمت
بهما البيعة الأولى . . وخطب لنكولن فى ذلك اليوم وهو يد
ذراعيه كما لو كان يود أن يحتضن الجمع الفقير الذى مثل
أمامه . . قال : « علينا أن نناضل من أجل انجاز ذلك العمل
العظيم الذى شرعنا فى تنفيذه ، وقد خلت قلوبنا من الحقد ،
وامتلأت بالعطف على الجميع . . نناضل ونحن ثابتون فى
الحق . ولنضمد جراح الأمة ونعتنى بأولئك الذين خاضوا
غمار القتال . . كما أن علينا أن نعتنى بأراملهم وأيتامهم . .

ولنعمل على دعم العدل والسلام الدائمين فيما بيننا ..
وكذلك فيما بيننا وبين الدول الأخرى ! »
ووضعت الحرب الأهلية أوزارها في النهاية .. وصفا
الجو ، وعادت إليه نضارته .

.. وأخيرا توقف القلب الكبير !

وخصص ابراهام يوم ١٤ ابريل عام ١٨٦٥ ليكون عيداً
لشكر ، فعم الفرع انحاء الشمال .. أما في واشنطن فقد
تحولت المدينة بأسرها الى مهرجان كبير تصدح فيه الموسيقى
وتتألا فيه الأضواء ..

وفي مساء ذلك اليوم اتفق ابراهام ومارى على أن يذهبا
الى مسرح ((فورد)) ..

وفيما كانت متكئة على ذراعه ، وهو ينظر اليها وعلى
وجهه ابتسامة الحب والاخلاص ، اذ بها تسمع ، فجأة ،
صرخة تنبعث من الخاف .. فقفزت من مكانها .. واذا
بالدخان يملأ مقصورتهما .. والتفتت الى ابراهام ، فهاها ما كان
عليه .. وتجمدت الدماء في عروقها وهى تتأمل مظهره : كان
مغمض العينين ، ورأسه مائل الى الوراء ، وابتسامته ميتة
على شفثيه !

وعندئذ انطلقت منها صرخة مليئة بالهلع والخوف !
.. وكان الجانى شخصا غريبا لم تتبين مارى ملامحه
.. وجىء بالطبيب ، فقرر أن الرئيس مصاب بجلطة دموية
على الكتف بسبب جرح عميق .. لكنه استدرك فقال :

« ماري تود » .. ملهمة « لنكولن » في كفاحه ١٥٧

« يؤسفني أن أقول ان الرئيس قد أصابته أيضا رصاصة خلف رأسه »

وحملوا ابراهيم الى منزل مجاور حيث أرقدوه على سرير .. وهو واقع تحت تأثير غيبوبة جعلت شفتيه تصدران أنات خافتة ، والدماغ تسيل على وسادته ..

ورغم أن الأطباء نجحوا في اخراج الرصاصة من جسمه ، فان حالته ساءت بعد ذلك ، فتورمت عينه اليسرى ، وبدأ تنفسه في الاضطراب .. مما أفرع ماري ، وبشل حركتها ، حتى تلاشى العالم من ذاكرتها ، ولم تعد تميز أو تعي شيئا .

وأقبل الصباح ، وكان أغبر قاتما ، واذا بولدها روبرت يمسك بيدها ويقودها الى حيث والده .. وما أن خطت داخل الفرفة ، حتى أدار الرجال وجوههم ، وتسלلوا الى الخارج ..

لقد مات ابراهيم ! وتوقف القلب الكبير عن النبض ! ..
وعندئذ ألقت بنفسها على صدره ، وانهالت على فمه تقبله وهي تقول صارخة : « يا الهى .. لقد فرطت في زوجى ، ودفعته بيدي الى هذا الطريق ، ليلقى مصرعه ! »

ونقل الجثمان الى البيت الأبيض .. حيث انزوت ماري في غرفة صغيرة للضيوف .. وبجوارها ولدها « تدى » ..
وتساءلت في الصباح التالي بصوت عال : « كيف تشرق الشمس وقد مات ابراهيم ؟ ! »

وعندئذ أجابها تدى قائلا : « ان هذا لدليل على ان أبى

سعيد في السماء يا أماء .. انه لم يسعد قط منذ أن حل
هنا .. ولم يكن هذا المكان يصلح له !))
.. ثم جثا تدي على ركبتيه بجوار جثة والده وقد
ارتسم الألم والأسى على وجهه ..

الحب أبدى .. لا يموت !

ودفن الرئيس الراحل .. وكان موكب الجنازة مهيبا ،
بينما كانت أجراس الكنائس تدق ، والموسيقى تعزف اللحن
الجنازي ، والجيش يسير بخطوات بطيئة خلف النعش
الذي لفه العلم واشتركت في جر عربته ستة خيول .
.. وأخيرا تلقت ماري رسالة بانتهاء مدة ضيافتها في
البيت الأبيض .. فأخذت تحزم متاعها ، تاركة وراءها
ذكريات ، بعضها حلو والآخر مر .. واستقلت القطار الى
شيكاغو بعد أن ألقت نظرة أخيرة على غرفة نوم ابراهيم
ومكتبه .. كانت ماري في حالة يرثى لها ! .. كل ما كانت
تذكره ، وهي تستقل القطار ، أنها كانت زوجة وأما ، أقامت
مع ابراهيم طوال هذا التاريخ ، بدافع من كلماته لها : ((ان
الحب أبدى لا يموت !))

نعم .. كان حبها أبديا ، رغم كل ما واجهه من صعاب !



من الأدب الهندي

المسيود!

قصة من روائع أديب الهند الأكبر
رابندراناث تاغور

تلخيص: المحرم



تلخيص: حلمي مراد

بلغت العاصفة ذروتها في المساء ، وبدأت سيول المطر
المنهمر ، مع هزيم الرعد ، ووميض البرق ، وكأنها معركة
رهيبة قامت في أعالي السماء ! .. وكانت السحب السوداء
تزحف على صفحة الفضاء ، كأنها أعلام الفناء ، وأشجار
الحدائق التي تحف بضفتي النهر تتماوج وتتمايل ، من
جانب الى جانب ، وهي تئن وتتأوه .. وفي غرفة مقفلة بأحد
البيوت المشرفة على النهر في بلدة (شاندر ناجور) ، جلس
رجل وزوجته على حشية وضعت على الارض ، والى جوارهما
مصباح من الخزف يرسل ضوءه الهزيل . وأخذا يتناقشان
في اهتمام . قال الزوج « شارات » : « بودى لو تبقين هنا
أياما أخرى ، اذن لاسترددت صحتك وعدت الى بيتنا قوية
كما كنت » .. فقالت زوجته « كيران » : « انى بخير ، ولن
يضرنى البتة أن أعود الى بلدتنا الآن » . وكل رجل متزوج
يستطيع أن يدرك أن المناقشة لم تكن قصيرة الى هذا الحد !
.. وهذا ما حدث بالفعل ، فرغم أن المشكلة لم تكن معقدة ،
فقد كثر الاخذ والرد بين الزوجين ، دون أن يقتربا بها من
الحل المنشود .. وظلت المناقشة تدور وتدور حول نفسها ،
كقارب بلا دفة تتنازعه الامواج والرياح ، حتى أوشكت
أن تفرقهما في فيضان من الدموع !

كان شارات يقول : « ان الطبيب يرى أن صحتك تقتضى
بقاءك هنا أياما أخرى » .. فتجيبه كيران : « ان طبيبك

يدعى العلم بكل شيء ! » . . فيعاود الزوج الالاحاح : « ولكنك تعلمين - بفض النظر عن قوله - ان شتى صنوف الامراض والابئة تنتشر هناك الآن ، فمن الخير ان تطيلي بقاءك هنا شهرا او شهرين . . » فتجيبه الزوجة متسائلة في اصرار : « وهل لا توجد هنا الآن امراض وأوبئة ؟ »

وكانت « كيران » محبوبة عند اهلها وجيرانها الى حد كبير ، وقد اقلقهم جميعا مرضها الخطير ، على ان اغبياء القرية الكثيرين رأوا ان من العار على زوجها ان يقيم الدنيا ويقعدها لاجل ذلك ، وان يفكر في نقل زوجته من القرية طلبا لتغير الهواء ، وراحوا يتساءلون فيما بينهم : « أترأه يحسب ان امرأة غيرها لم تمرض من قبل ؟ أم تراه يحسب ان سكان البلدة التي يزعم الانتقال اليها من المخالدين الذين لا يموتون ! ؟ » . . ومهما يكن من شيء ، فان اشارات وامه اعارا هذه الاقاويل آذانا صماء ، ورايا ان حياة عزيزتهما المريضة اهم من الاقاويل . وهكذا سافر اشارات و كيران الى (شاندر ناجور) ، وهناك شفيت الزوجة من مرضها ، وان ظلت ضعيفة خائرة القوى ، صاحبة الوجه الى درجة تستثير الاشفاق . وكانت « كيران » شفوفة بالمجتمعات وما فيها من ضروب التسلية ، فضاق صدرها بالوحدة التي تعيش فيها في منزلها المشرف على النهر ، حيث لا شيء يشغلها ، ولا جيران ممن الفتهم . . لاشيء سوى مواعيد الدواء والوان الطعام ! . . ومن هنا كان نقاشها مع زوجها في غرفتهما المقلنة في تلك الليلة العاصفة . وكانت

كفتاهما تتعادلان في النقاش حين تمضى كيران في الجدل . .
 اما حين كانت تحجم عن الرد ، وتدير رأسها في اكتئاب الى
 الناحية الاخرى ، فان المسكين كان يوشك أن يسلم سلاحه ،
 بلا قيد ولا شرط ! . . وقد كان هذا شأنه ، حين طرق
 الباب خادم ، يحمل رسالة !

نهض شارأت ، وفتح الباب ، فاذا الخادم ينبئه بأن قارباً
 قد انقلب بركابه في النهر أثناء العاصفة ، وأن فتى براهيميا
 منهم أفلح في الوصول الى الشاطئ ، واللجوء الى حديقتهم
 . . وما كادت كيران تسمع بالنبأ ، حتى تحاملت على نفسها
 ونهضت لتحضر للغلام اللاجئ ثياباً جافة . . ثم أعدت له
 قدح لبن ساخن ، ودعته الى غرفتها . .

كان الغلام ذا شعر طويل مجعد ، وعينين كبيرتين
 معبرتين ، فسقته كيران قدح اللبن ، ثم شرعت تسأله عن
 شأنه ، فذكر لها أن اسمه «نيلكانتا» ، وأنه من أفراد فرقة
 مسرحية جائلة كانت قادمة للتمثيل في مكان قريب ، فانكفاً
 القارب بأفرادها فجأة ، متأثراً بشدة العاصفة ، واستفل
 هو براعته في السباحة فنجاً بنفسه ، أما بقية زملائه فلا
 يدري عن مصيرهم شيئاً ! . .

واثارت نجاة الغلام من موت محقق رهيب عطف كيران
 عليه ، فرحبت ببقائه عدة أيام ، ورحب زوجها بالغلام الذي
 ظهر في الوقت المناسب كي يؤنس وحدة كيران ويشغلها عن
 فكرة العودة الى القرية ، كما شملت حمايتها برعايتها

وعطفها . أما « نيلكانتا » نفسه فقد فرح بالخلاص المزدوج - من سطوة رئيسه في الفرقة المسرحية ، ومن العالم الآخر ! - كما فرح بهذا المأوى المريح الذي وجدته في كنف الاسرة الفنية .



ولم تمض فترة قصيرة حتى تبدل شعور شارات وأمه نحو الفلام ، وتاقا الى الخلاص منه ! . . فقد كان نيلكانتا يجد لذة خفية في تدخين « جوزة » شارات ، وأخذ يتسلل الى الخارج في هدوء برغم المطر المنهمر ، كي يقوم بجولة في القرية ، محتميا بمظلة مضيئه الحريرية الثمينة ! . . ثم اصطفى لنفسه كلبا ضخما من كلاب القرية ودلله الى حد جعله يقتحم حجرات المنزل بأرجله المحملة بالوحل ، ويترك طابع زيارته على الفراش الناصع النظيف !

وأخيرا جمع نيلكانتا حوله عصابة من صبية الحى وراحوا يعيشون في الحديقة فسادا ، فكانت النتيجة أن ثمرة واحدة من ثمار المانجو لم تنضج على شجرتها في تلك السنة !

ولم يكن شك في أن كيران كانت لها يد في تدليل الفلام وافساده . . وقد حذرهما شارات مرارا من ذلك ، لكنها لم تصغ لتحذيره ، فصارت تلبس نيلكانتا ثياب زوجها القديمة، بل كانت تصنع له أحيانا ثيابا جديدة أنيقة ! . وكانت تلبس مياها الى الفلام وفضولها الى معرفة كل ما خفى من أطواره بأن تدعوه الى غرفتها كل حين ، بعد أن تستحم وتتناول غداءها ، فتجلس على الفراش وتسلم شعرها الى الخادمة تحففه

وتصففه، بينما يقف نيلكانتا أمامها يتلو مقطوعات من أدوار التمثيلية المحفوظة ، مصحوبة بالحركات والافغانى التى تلائمها ، فتهتز خصلات شعره ويتماوج مع حركاته .. وهكذا كانت ساءات الأمسية الطويلة تنقضى فى مرح وحبور ..

وكانت كيران تحاول أحيانا اقناع زوجها بمشاركتها الاستماع الى تمثيلات الفلام وأغانيه ، ولكن كراهيته للفلام كانت تغريه بالرفض فى أكثر الاحيان . والواقع ان حضوره كان يفقد نيلكانتا غير قليل من جراته ، فلم يكن يجيد أداء أدواره نصف اجادته لها فى غيبته ! .. أما ام شارات فكانت تلبى الدعوة أحيانا ، راجية أن تسمع بعض الاسماء المقدسة فى مقطوعات الفلام ، لكن شغفها بنوم القيلولة كان لا يلبث أن يستأثر بها ، فتغيب فى أحلامها .. ! وكم من مرة جذب فيها « شارات » اذننى الفلام بشدة ، تأديبا له أو تأنيبا ، لكن ذلك لم يكن شيئا بالقياس الى ما اعتاده نيلكانتا من مدير الفرقة الجائلة ، ومن هنا لم يفلح هذا العقاب فى زجره ! .. وكانت تجاربه المحدودة قد دلته على أن حياة المرء مثل الكرة الارضية التى تنقسم الى قليل من اليابسة وكثير من الماء ، وكان الطعام عنده يعنى اليابسة فى حياته ، بينما كان الضرب أو التأنيب يعنى الماء !

وكان من الصعب تحديد سن نيلكانتا . لو قلت انه فى الرابعة عشرة لكان وجهه ينبىء بأكثر من سنه ، ولو قلت انه فى السابعة عشرة لكان الامر على العكس . فهو أما رجل

نضج قبل الاوان ، أو صبي تأخر نضجه عن الاوان . . جسمه وذتنه الملساء يوحيان بصفر سنه ، بينما لفته وادمانه التدخين وتفضن شففيه توحى بكبر سنه ! . . البراءة والشباب يسطعان من عينيه الكبيرتين ، ويفيضان من قلبه البكر ، **لكن العمل من أجل الرزق في سن الصبا قد أنضج مظهره قبل مواعده !**

على أن الطبيعة لم تلبث أن وجدت في مأوى « شارات » الهادى وحديقته الفسيحة جوا مناسبا لاتمام عملها دون عائق ، فانتقل الفلام في صمت وهدوء من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة ، فوضحت أعوامه السبعة عشر أو الثمانية عشر . **وبدا ذلك أول ما بدا في أنه صار يخجل حين تعامله كيران معاملة الصبيان .** وحين اقترحت عليه ذات يوم وهى تضحك أن يمثل دور امرأة ، ساءه ذلك وآلمه ، ولكنه لم يجاهر بسبب استيائه وآلمه ، واكتفى بالاختفاء من وجه كيران كلما همت بدعوته الى اللقاء مقطوعاته القديمة ، فلم تكن تعثر له على أثر !

واستقر عزم الفتى اخيرا - بعد ان طال به المقام - على أن يتلقى قسطا من التعليم على وكيل أعمال « شارات » ، لكن الوكيل لم يكد يعلم أن الفتى هو مدلل زوجة مخدومه ، حتى نفذ يده من المسألة ، وآثر أن ينجو بنفسه من الحرج ! . . كما أن الفتى ذاته عجز عن تركيز ذهنه في الدرس والتحصيل . كانت الحروف الابدجية تتراقص أمام عينيه

كالضباب ، فكان يجلس ساعات والكتاب مفتوح فوق فخذه ، مستندا بظهره الى جذع شجرة فى الحديقة الساكنة ، والامواج تنهد تحت قدميه ، والقوارب تنهادى على صفحة النهر أمامه ، والعصافير والطيور تزقزق فوق رأسه بلا

انقطاع ..

ترى أية أفكار كانت تطوف برأسه وهو يرمى ببصره الى الكتاب فى تلك الساعات ؟ .. انه وحده الذى يعلم ذلك - ان كان يعلم شيئا - فالواقع انه لم يكن يشتغل من كلمة الى اخرى ، ولكن شعوره بأنه يقرأ كتابا ، كان يملأ أعطافه بالبهجة والجدل . وكان كلما مر قارب رفع كتابه الى مستوى بصره وراح يتظاهر بأنه يقرأ جادا ، بأعلى صوته ، حتى يبتعد « النظارة » ، فتنتفخ حماسته بالتدريج !

لقد كان فيما مضى يفنى مقطوعاته التمثيلية بطريقة آلية ، أما الآن فان أنغامها ترن فى وعيه ، فيحس - كلما فهم معانيها - كأنه ينتقل الى عالم آخر ، وقوم آخرين ! .. وهذه الارض التى ألفها ، والحياة المتواضعة التى يحياها ، صارت تستحيل حينذاك الى موسيقى وأنغام .. بل انه هو نفسه صار يستحيل الى انسان آخر ، تتراءى فى مرآة ذهنه القصص الخرافية القديمة فى صورة جدية ، حافلة بألوان الجمال الخارق الفتان .

كان يستعيد فى خياله - كالحلم - قصة الطفل الفقير القدر الجائع ، الذى أوى مع المساء الى بيته الحقيق ، بعد ان سمع بما يروي عن الإمبراطورة والذهب الاصفر الرنان ،

فينطلق عقله من قيود الواقع المرير ، من قيود الفقر والبؤس
والحجرة الحقيرة التي تضيئها شمعة ضئيلة . . ويروح
يخلق في آفاق تلك الارض السحرية الجميلة التي يعيش
فيها الامير والاميرة !

. . لكن عبث « نيلكانتا » وأقرانه بحديقة المانجو المجاورة
في اوقات لهوهم ، لم ينقطع ، ولما شكوا صاحبها ذلك الى
« شارات » ، عاد هذا ثائرا وجذب اذنى نيلكانتا بشدة ،
وزجره زجرا عنيفا . . ورغم ذلك ، توالى العبث ، وتوالت
الاعتداءات !



وذات يوم ، حل بالبيت « ساتيش » ، الشقيق الاصغر
لشارات . وقد جاء ليقضى عطلته الجامعية السنوية ،
فابتهجت كيران لقدوم هذا الرفيق الجديد ، ليؤنس وحشتها
وكانا في سن متقاربة ، فصارا يقضيان أيامهما في اللهو ،
واللعب ، والمشاحنة ، والصاح ، والضحك . . وفي الدموع أحيانا !
. . كانت تفاجئه من الخلف ، فتطوق عينيه براحتيها
الملطختين بالفحم ، وتكتب على ظهره كلمة « قرد » ! . . أو
تفلق الباب عليه من الخارج لتمنعه من مبارحة البيت ،
فيشفى غليله بالضحك ! . . ولم يكن ساتيش بدوره يففل
فرصة رد الصاع لها صاعين ، فكان يدس لها الفلفل في
الحلوى . . أو يخفي مفاتيحها وحليها . . أو يقيدنها الى
الفراش ، حين تكون غافلة !
والله وحده يعلم ما أصاب نيلكانتا المسكين خلال تلك

الايام ، فقد تملكه فجأة شعور بالمرارة الموجهة جعله يتوق الى أن يصب غضبه وانتقامه على انسان ما ، أو شيء ما ، فصار يوبخ اتباعه المخلصين من أفراد «العصابة» دون ذنب جنوه ، وكثيرا ما ردهم الى بيوتهم باكين ! وصار يركل كلبه المدلل حتى يملأ أذنيه وصياحه الفضاء !

وحيثما يخرج للتريض كان يضرب بعصاه الأغصان ، فترسم أوراقها المتساقطة طريقه من الجانبين ! .. وأكثر من هذا أنه كان - قبل حضور « ساتيش » - أكلولا ، قادرا على هضم كل ما يقدم له ، لا يكاد يرفض طعاما جيدا مهما يكن مقداره ضخما .. فكان يلذ لكيران أن تدعوه لتنعيم بمشاهدته وهو يلتهم طعامه في حضرتها ، في نهم ملحوظ .. فلما جاء ساتيش ، لم يبق لها وقت فراغ تضعه في ممارسة هوايتها هذه ، الا فيما ندر !

وكان غيابها فيما مضى لا يؤثر في شهيته للطعام. أما الآن ، فقد صار لا يكاد يشتهي الطعام ، وكثيرا ما نهض عنه دون أن يقربه ، قائلا للخادمة في صوت كسير : « لست جوعان ! » وقد كان يأمل أن تصل أتباء عزوفه عن الطعام الى سمع كيران ، فترسل في طلبه ، وتلج عليه في أن يأكل ! .. لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فلم تعرف كيران بأمر ما طرأ عليه .. ولم ترسل في طلبه ! .. بل صارت الخادمة تتولى الاجهاز على الطعام الذي يتركه ! .. فأمسى - حين تخذله أعصابه - يأوى الى غرفته ، فيطفيء المصباح ، ثم ينكفيء على فراشه في الظلام ويدفن وجهه في الوسادة .. ليبللها

بدمعه ! . . وأخيرا ، حين لا يقتحم عليه خلوته غير النعاس ،
كان القلب الجريح للفتى اليتيم يستسلم لاجنحة النوم
الناعمة الرحيمة !

وانتهى نيلكانتا الى الاقتناع الجازم بأن ساتيش لا بد قد
سمم أفكار كيران ضده . فكان اذا شرد ذهنها ولم تقابله
بابتسامتها المعهودة ، يفسر ذلك بأن ساتيش قد دس له
عندها ! . . وعلى هذا ، جعل يصلى للآله ، بكل حرارة حقه
المشتعل ، كى يجعل روحه تتقمص - فى الولادة القادمة -
جسم ساتيش ، ويجعل روح ساتيش تتقمص جسمه هو ،
وتقاسى عذابه . وكان موقنا من أن صلاته لن تذهب هباء . .
لكنه كلما حاول أن يحرق ساتيش بنار دعواته ، كان هو
نفسه الذى يحترق ، ولا سيما حين يسمع صدى ضحكات
ساتيش ومزاحه مع زوجة شقيقه ، صادرا من الطابق
العالى !

غير أن نيلكانتا لم يجرؤ على المجاهرة بعدائه لساتيش ،
وإن عمد الى مائة حيلة وحيلة لمضايقته ! . . كان ساتيش اذا
ذهب ليسبح فى النهر ، وترك قطعة الصابون على الشاطئ ،
يعود فيجدها قد اختفت ! . . ومرة رأى سترته المفضلة
تسبح بعيدا فى الماء ، فحسب أن الهواء هو الذى ألقاها فى النهر !
وذاات يوم ، أرادت كيران أن تسلى ساتيش ، فأرسلت
تدعو نيلكانتا كى يمثل أمامه بعض مقطوعاته . لكن هذا
وقف جامدا لا ينطق ، وقد بدا عليه الاكتئاب . فلما سألته
كيران فى دهشة عما به ، أبى أن يخرج عن صمته !

.. حتى اذا ما ألحت عليه في أن يلقي مقطوعة معينة كانت تفضلها ، أجاب في صرامة : « لست أذكرها » .. وخرج من المكان !



وجاء أوان عودة أسرة شاربات الى قريتها ، فانهمك الجميع في اعداد معدات السفر ، وحزم الامتعة . وبدأ أن ساتيش يعتزم السفر معها .

أما نيلكانتا فلم يحدثه أحد في الامر بكلمة ! بل لم يبد أن أحدا فكر البتة في مصيره !

لكن الواقع انهم فكروا في أمره فيما بينهم ، فعرضت كيران أن يأخذوه معهم . لكن زوجها وأمه وأخاه عارضوا في ذلك بشدة ، فاضطرت كيران الى نبذ فكرتها .

وقبيل موعد رحيلهم بأيام ، أرسلت في طلبه ، ونصحت له في كلمات رقيقة بأن يعود الى بيت اهله ! .. وكان لهذه اللفتة الكريمة ، بعد الاهمال الطويل ، أثرها في نفس الفتى ، فانخرط في البكاء ، ولمعت الدموع في عيني كيران ، فقد أدركها الندم . لكن ساتيش تبرم ببكاء الفتى ونشيجه فقال لها : « لماذا يقف هذا الاحمق مولولا ، بدل أن يتكلم ؟ » فأنبته كيران على غلظته ، واتهمته بأنه مخلوق مجرد من الشعور . فكان جوابه أن قال : « انت لا تفهمين الامر على حقيقته ، وقد كنت طيبة وسخية بثقتك أكثر مما ينبغي ، اذ عاملت هذا الافساق الذى لا يعلم الا الله من أين جاء ، كما يعامل الملوك .. وطبيعى أن النمر لا يريد أن يعود

فأرا ، وهو لهذا يحاول تحريك قلبك . و الانته بهذه
الدموع ! » . . ولم يستطع نيلكانتا أن يحتمل هذا التقرير ،
فترك الغرفة لا يلوى على شيء . وكم تمنى في هذه اللحظة
لو كان سكيناً ، تقطع أحشاء ساتيش وتمزقه . . أو ابرة
تخز قلبه وتدميه ، أو نارا تحرقه وتحيله رمادا !

. . لكن ساتيش لم يصب بخدش ، وانما قلب نيلكانتا
المسكين هو الذى ظل ينزف بلا انقطاع !

وكان ساتيش قد أحضر معه من (كلكتا) محبرة فاخرة
على شكل قارب مرصع ، تجره أوزة من الفضة . وكان
شديد الاعتزاز بها ، ينظفها بنفسه كل يوم بعناية ، بمنديل
حريرى ، فتضحك كيران وتضرب منقار الاوزة بأصبعها وهى
تفنى . ثم تنشب بينهما المعركة الكلامية المألوفة !

فلما كان اليوم السابق ليوم رحيلهم ، اختفت المحبرة
الثمينة فجأة ، وفشلت جميع الجهود التى بذلت فى العثور
عليها . فابتسمت كيران وقالت لساتيش : « لا بد أن أوزتك
قد طارت ! » . . لكن ساتيش كان حانقا مغيظا ، موقنا من
أن نيلكانتا قد سرق المحبرة المفقودة ، سيما بعد أن شهد أكثر
من شخص بأنهم رأوه يحوم حول الغرفة فى الليلة السابقة !

ومن ثم أمر ساتيش باحضار « المتهم » أمامه ، وكانت
كيران حاضرة ، ثم صرخ فى وجهه قائلا : « لقد سرفت
محبرتى أيها اللص ، فأعدها الى فوراً ! »

ورغم أن نيلكانتا طالما تلقى العقاب من « شارات » فى
ارتياح تام ، حتى حين كان يعتقد أنه لا يستحق العقاب ،

فانه وجد نفسه لا يستطيع صبرا على اتهام ساتيش اياه في
حضرة كيران . وسرعان ما اتقدت عيناه بغضب وحشى ،
وغص حلقه ، وتلاحقت أنفاسه . ولو أن ساتيش أضاف
كلمة أخرى الى ذلك لوثب وانقض عليه كالقطة المتوحشة !
واستاءت كيران من هذا المشهد ، واكتأب قلبها ، فأخذت
الفتى الى غرفة أخرى ، حيث قالت له بلهجتها الناعمة
الرقيقة : « نيلو ، اذا كنت قد أخذت المحبرة ، فاعطنى اياها
فى هدوء ، وأنا أعدك بأن أحدا لن يمسك بكلمة أخرى فى
شأنها ! »

**وغص الفتى فى حلقه ، وتدحرجت على خديه دمعتان
غزيرتان . . وعبثا حاول مغالبة دموعه ، فاضطر الى اخفاء
وجهه بيديه . . وانخرط فى البكاء !**

وعادت كيران الى زوجها وشقيقه وأمهما ، قائلة : « أنا
واثقة من أن نيلكانتا لم يأخذ المحبرة » . . لكن الرجلين أصرا
على اتهامه . ثم اقترح شارأت أن يستجوب الفتى ، لكن
زوجته أبت بشدة . وعند هذا اقترح ساتيش بدوره
تفتيش غرفة نيلكانتا وصندوق متاعه . فقالت كيران : « اذا
جرؤت على أن تفعل ذلك فلن أغفر لك قط . انك لن تتجسس
على الفلام البرىء الفقير ! » . . وكانت تتكلم والدموع تملأ
عينها الجميلتين ، فلم يسع شارأت وساتيش الا السكوت !
ثم رأت أن تطيب خاطر الفتى المتهم « البرىء » ، فأعدت
قميصين جديدين ، وزوجين من الاحذية، ومضت بها فى هدوء
الى غرفة نيلكانتا ، وفى يدها ورقة مالية كبيرة أيضا ، معتزمة

ان تضع كل هذه الهدايا في صندوقه .. وكان الصندوق نفسه هدية من هداياها .

واختارت من حلقة مفاتيحها مفتاحا يصلح لفتح الصندوق ، ثم فتحتة بغير ضجيج . كان مملوءا بالمتاع الى درجة لم يتسع معها للهدايا الجديدة ، فآثرت أن تفرغ محتويات الصندوق وتعيد ترتيبها من جديد . **وحين** أوشكت أن تصل الى القاع ، اصطدمت يدها بشيء صلب .. واذا هي ترى أمامها .. المحبرة المفقودة !



صعد الدم الى وجه كيران ، وجلست مذهولة ، والمحبرة في يدها ، حائرة لا تدري ماذا تصنع .. وظلت الافكار تختلط في ذهنها المضطرب .

وفي تلك اللحظة ، كان نيلكانتا قد عاد من الخارج وصعد الى غرفته ، فما كاد يدخلها حتى رأى كيران منكبة على صندوقه ، وقد أخرجت منه المحبرة ! .. وتبادر الى ذهنه انها انما جاءت خلسة لتفتش الصندوق وتضبطه متلبسا بالجريمة .. وأدرك أن أمره قد افتضح ، ولم يدر كيف يقنعها بأنه ليس لصا ، وأنه لم يأخذ المحبرة الا رغبة في الانتقام من صاحبها ! .. وهتف به قلبه : **((أنا لست لصا . لست لصا))** . لكن ماذا يكون اذن ؟ .. وماذا يقول تبريرا لموقفه ؟ .. لقد سرق ، ومع ذلك فهو ليس لصا !

لكنه لم يستطع أبدا أن يوضح الامر لكيران ، ويقنعها بأنها أخطأت جد الخطأ حين حسبته لصا ! .. وفي هدوء ،

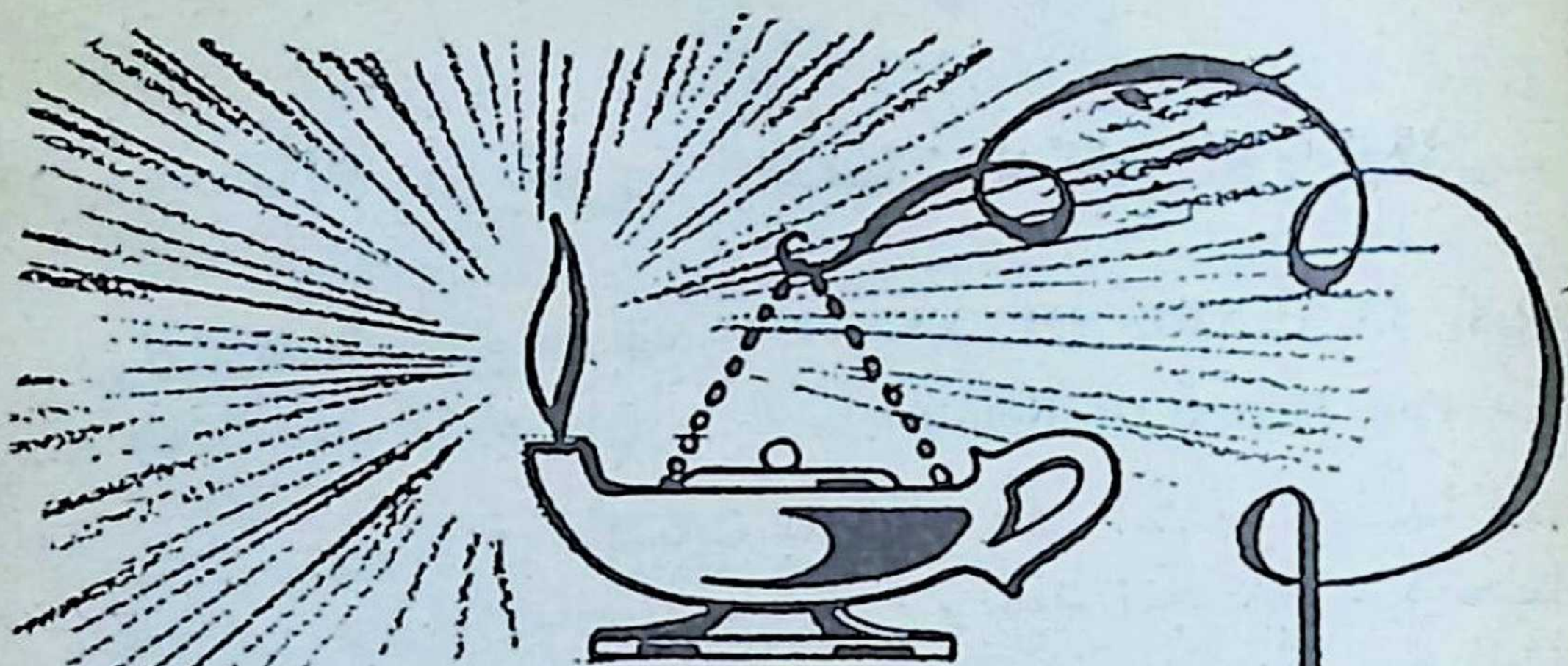
تسلل الفتى عائداً من حيث جاء ، دون أن تشعر كيران
بحضوره أو انصرافه .

وأخيراً تنهدت كيران تنهدة عميقة وهى فى جلستها أمام
الصندوق ، ثم أعادت المحبرة الى مكانها . . وكما لو كانت
هى السارقة، غطتها بالثياب التى كانت تغطيها ، ثم وضعت
فوقها الهدايا التى أحضرتها للفتى . . وورقة النقود الكبيرة !



وفى اليوم التالى لم يعثر للفلام على أثر . وقرر أهل القرية
أنهم لم يروه . وعجز رجال الشرطة عن الاهتداء الى مقره !
. . واذ ذاك اقترح شارات أن يفتشوا صندوقه ، ليروا
أهو مذنب أم برىء . لكن كيران رفضت الموافقة على ذلك ،
فى اصرار وعناد ، ثم حملت الصندوق الى غرفتها ، حيث
أخرجت منه المحبرة خلسة ، والقت بها فى النهر . . دون أن
يشعر بذلك انسان !

وعادت الاسرة كلها الى مقرها ، فأقفرت الحديقة
المهجورة ، ولم يبق من آثار ((نيلكانتا)) غير كلبه الأمين
الجائع ، يذرع شاطئ النهر ، فى عواء محزن كئيب !



مكتبة جديدة

من الغرب والشرق

[عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية في العالم]



الكتب الافرنجية

رسالة بارييس يقدمها : الدكتور أنور لوقا

زولا ، أسطورة وحقيقة ZOLA, LEGENDE ET VERITE

(Par Henri Guillemin)

تأليف : هنرى جيمان

نبدأ جولتنا في مكتبات بارييس هذا الشهر بهذا الكتاب الهام ، ومؤلفه باحث مدقق ، وناقد مجدد ، ومحاضر جذاب ، يعرفه أهل القاهرة لا من خلال كتبه الطريفة فحسب، بل منذ كان أستاذا بجامعة لها مادة الأدب الفرنسى . وقد اشتهر « هنرى جيمان » بهجماته التى توالى فى السنوات الاخيرة على أصحاب الاسماء الكبيرة فى تاريخ الأدب ، وتخصص فى تحطيم الأصنام ، بدراسات علمية شائقة تعتمد على مراجع مطوية لا يلتفت اليها فى العادة جمهرة الباحثين ، وعلى المخطوطات الاصلية ووثائق دور المحفوظات . وهكذا نبش ماضى بعض العمالقة ، من أمثال « فيكتور هوجو » و « ألفريد دي فينيي » ، وفضح كثيرا من نواحي الضعف والهوان لدى أولئك المنادين بالمثل العليا ! وهو اليوم يستخدم منهجه فى هدم أسطورة « اميل زولا » ، ورسم صورة جديدة لهذا الأديب الذى أسرف فى الواقعية، وأرهق أواخر القرن التاسع عشر بقصص المجتمع الفاسد ، والحياة الذميمة (راجع قصته « الوحل » فى « كتابى » عدد ٤٦) . و « جيمان » يعارض رأى الشائع عن « زولا » ، ونفور النقاد منه جيلا بعد جيل، ويدافع عنه دفاعا مجيدا . انه يعود الى آثاره الأدبية من ناحية ، ويراجع فى الوقت نفسه تطور حاله النفسية كما تسجلها الرسائل التى كتبها لأهله وأصدقائه أثناء انشاء تلك الآثار . ومن هذه المقارنات

المتصلة بين أحاديث « زولا » الشخصية والمعاني التي يعالجها في قصصه داخل اطار فنى ، اتضحت للاستاذ الباحث وقائع وحقائق هي التي يعرضها علينا في سياق ممتع .

ويتوقف « جيمان » مليا عند قصة مغمورة كتبها « زولا » في شبابه عنوانها « اعتراف كلود » ، فيبين كيف كان هذا الأديب - الذى مرغ النقد صيته فى الوحل - فتى كريما عفيفا رفيع الآمال ، تدفعه شهامته وهو فى العشرين من عمره الى أن يحاول انتشال امرأة ساقطة ، فيصطدم - رغم تضحياته - برفضها حياة الشرف وتشبثها بوهدة الرذيلة ، وهنا يعير بطل قصته « كلود » هذه العبارة الرهيبة : « لقد قامت أمامى كل القذارة البشرية » . ولا يخبو نور الأمل فى صدر « زولا » بعد هذه التجربة المريرة ، ولكنه يحس - مع الحاح الفضيلة عليه - بالحاجة الى استكشاف أغوار « الواقع » ، ويقرر قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين « أن يعرف كل شيء ، ليشفى كل شيء » !

وفى الكتاب فصل آخر عميق عن تطور مشاعر « زولا » وانكاره ازاء الدين والايمان بالقيم الروحية . ومن المعروف ان « اميل زولا » قد هاجم فى كثير من مؤلفاته أوضاع الكنيسة الكاثوليكية التى نشأ فى رحابها ، فما أشد عجبنا عندما نتتبع - بفضل تدقيق « جيمان » - فقرات مؤثرة كتبها « زولا » فى حماس هذه المعارك ، وتشهد ألفاظها وحججها بأنها صادرة عن تلك المبادئ نفسها وقد تغلغلنا فى روحه ، وعن تلك القيم الأبدية التى بات يفتقدها ايمان تخبط فى ظلمات الواقع .

انه كتاب خطير ، يصحح أخطاء خطيرة ، ولا غنى عنه ان يعرض منذ اليوم لأدب هذا القصاص الشهير .

POUR PIANO SEUL
(Par André Maurois)

((للبيانو المنفرد))
تأليف : اندريه موروا

((اندريه موروا)) علم من أعلام الادب الفرنسى منذ نصف قرن ، اجتذب برقة فنه ، ورشاقة أسلوبه ، واتساع آفاقه ، الملايين من قراء مختلف اللغات . برع فى القصة الطويلة ، وأصدر سلسلة من سير مشاهير الأدب والتاريخ تجلت فيها غزارة ثقافته الفرنسية والانجليزية - وان كان يميل الى اصطناع التشويق الروائى فى الترجمة لأبطاله . (وقد قدم « كتابى » عدة أمثلة من أدب « موروا » ، راجع الأعداد من

٧ - ١٤

وكتاب « موروا » الجديد ليس رواية ، ولا هو ترجمة حياة فنان ، بل مجموعة من الأقاصيص الصغيرة ، حافلة بألوان المتعة والنقد الاجتماعى الخفيف . انها معرض صور متنوعة . ولا يحتاج الى الاطناب هذا الأديب المراهف الذى اعتاد تحليل النفوس وفطن الى الكثير من خباياها ، وانما تكفيه بضع صفحات ليلج فى صميم مأساة انسانية ، أو ليكشف خبيثة أو وضعا من أوضاع النفاق ، دون أن تفارقه ابتسامة المتحدث اللبق الذكى .

ولنضرب مثلاً واحداً : هاتان « تيريز » و « نادين » تتنازعان أوراق الرجل الذى توفى أخيراً ، وكان زوجاً لهذه ثم تلك ، فقد طارت شهرته ، واهتم الجيل بنشر مؤلفاته ومذهبه الاصلاحى . . ثم يتلاشى خصامهما فجأة ، بل وتسكنان معا لتعاوننا فى تلفيق سيرته وزخرفتها ، عندما تلوح « هوليوود » بآلاف الدولارات لاجراج فيلم عن حياة الرجل العظيم !

وفى الكتاب خمسون قطعة فنية من هذا القبيل ، سريعة العرض ، رقيقة اللذع ، كل منها درس فى اتقان القصة القصيرة يحسن بأدبائنا الناشئين أن يتأملوه وأن ينتفعوا به .

الارستقراطيون الجدد LES NOUVEAUX ARISTOCRATES

تأليف : ميشيل دي سان بير (Par Michel de Saint Pierre)
 وهذه قصة طويلة ، مؤلفها اسم لامع في عالم الرواية ،
 وموضوعها ثورة الشباب المعاصر وحيرته . وما أكثر ما تحدث
 الكتاب عن انحراف الشباب ، وما أكثر ما تحدث الشباب عن
 انحرافهم - والعهد غير بعيد بقصص « فرانسواز ساجان »
 الاولى - غير أن « ميشيل دي سان بير » لا يتخذ من هذه
 المادة القاتمة وسيلة لتلهية القراء ، ولا يتناولها تلبية لحب
 استطلاع خبيث ، بل يواجه مشكلة الجيل الناشئ
 واصطدامه بفساد الاوضاع التي خلفها له الجيل الذي سبقه .
 وفي القصة بطلان : تلميذ في السابعة عشرة من عمره يوشك
 أن يتم دراسته الثانوية ، ينحدر من عائلة غنية أدت الثروة
 فيها الى انحلال أخلاق الآباء واكتفائهم من الفضيلة بمظاهر
 كاذبة ، وتدفعه النعمة الى العبث مع رفاقه في كهوف
 الحرام ، ولكن هذا العبث لا يشفيه ولا يعيد اليه التوازن
 الذي يلتمسه ، وانما هو اضطراب صبياني لا يجد فحوه
 بعد أن تمادى فيه الا نفورا يعادل نفوره من نفاق أبيه .
 وأما البطل الثاني فهو أستاذ الفلسفة في المدرسة ، رجل
 ناضج الفكر ، مرهف الضمير ، قوى العزيمة ، يريد أن يقود
 تلميذه هذا العنيد الى جادة الحياة . وفصول القصة هي
 فصول الصراع العنيف بينهما . وكلاهما نفس أبية ، ممتازة ،
 لا ترضيها الحلول السهلة ، ولا تتهرب من الحقائق . ومن
 هنا كان معنى « الارستقراطية » في العنوان .
 والمؤلف لا ينحاز لهذا البطل أو ذاك ، بل يعرض تلك
 الملحمة عرضا موضوعيا ، وأن كان لا يهتم رأيه ، وهو أن
 الشباب تعوزه تربية عامة جامعة ، تنبع من القيم الروحية

الحياة، وتنمى صفاته الأخلاقية ، بدلا من هذا التعليم المفتت في جزيئات مواد جافة متباينة ، تباين الجغرافيا والنحو والكيمياء والهندسة .. !
ولا شك في أن جميع من احتكوا بشبابنا ومشكلاته في مختلف مراحل التعليم يقدرّون هذا الرأى حق قدره .



دستوفيفسكى DOSTOIEVSKY

تأليف : هنرى تروايا

(Par Henri Troyat)

ضمت الأكاديمية الفرنسية
« هنرى تروايا » في العام الماضى
الى أعضائها « الخالدين » . ولهذا
الاديب الذى لم يتجاوز الخمسين
من عمره آثار شامخة في القصة
الطويلة ، وما زالت أجزاء قصته
الضخمة « البذار والحصاد »
تطلع على القراء منذ سنة ١٩٥٣ .
ولعله ورث طول النفس من عمالقة
القصة الروسين ،

المؤلف : هنرى تروايا

ذلك أنه روسى المنبت ، ولد في موسكو ، وفارقها صبيا
في الثامنة من عمره عقب نشوب الثورة . وفي باريس ، أشرب
الثقافة الفرنسية ، ونبع في الكتابة ، وأصبح خيرا من يتحدث
عن الأدب الروسى . لقد نشر سنة ١٩٥٩ كتابا عن « الحياة
اليومية في روسيا في عهد القياصرة الآخرين » ، وله قبل
ذلك كتاب عن « بوشكين » وآخر عن « دستوفيفسكى » .

وكتابه هذا عن « دستوفسكى » - الذى ظهر الآن فى طبعة جديدة مزيدة - لا يقتصر على سرد أحداث حياة هذا الأديب العظيم الذى تأثر به أكثر أدباء عالمنا الحديث ، بل يمزج بفصول حياته فصولا من قصصه ، وينتقل من شخصيته الى شخصيات أبطاله ، ويبين الصلة الوثيقة بين الفنان وعمله . وهكذا يتسع سطح الصورة المرسومة ، فتشمل - الى جانب ملامح فرد نميزه هو « دستوفسكى » - معالم بيئة عريضة ، وعصر بأكمله . انه مرجع خصب لمادة خصبة .

LA TERRE ET LA FAIM
DES HOMMES

(Par Edouard Bonnefous)

الأرض وجوع الناس

تأليف : ادوار بونفو



جوع الناس فى الارض مشكلة رهيبة ، تهدد مصير العالم ، وتندرج المتشائمون بالحرب . لقد بات « الجوع » يشغل اذهان المفكرين بصورة ملحة . وما أعجب الصيحات التى دوت فى جنيف - وهى من عواصم الرخاء - حول مؤتمر ثقافى دولى ينعقد فى جامعتها فى أوائل سبتمبر من كل عام ، وكان موضوعه الاخير : « الجوع » . . . وقد تكلم فى تلك الندوات الهامة علماء الطب والاجتماع والاقتصاد الذين أقبلوا من الشرق والغرب ، ورددت

المؤلف : ادوار بونفو

الصحافة السويسرية دعواتهم ، واهتز لها الرأي العام . وكانت خلاصة المناقشات انه ينبغي تنظيم حملته واسعة النطاق لمكافحة الجوع في جميع اطراف الارض ، لا عن طريق المساعدات المرتجلة - وان صدرت عن قلوب رحيمة - بل تنفيذاً لخطة علمية دقيقة الدراسة لا تثمر بدونها الجهود . واليوم ينشر الباحث الفرنسي « ادوار بونفو » كتابه هذا ، وفيه تتجاوب اصدااء ما سمعناه في جنيف . وهو يعالج في اطار واحد شامل ، العلاقة بين سرعة تكاثر السكان وبطء نمو الموارد الغذائية ، ذلك الموضوع الذي درسه باحثون مختلفون قبله دراسات جزئية في بلاد متفرقة . وهذه المشكلة قائمة لا في مناطق افريقيا وآسيا المكتظة فحسب ، بل في امريكا وروسيا ايضاً ، وفي أوروبا التي تعاني بعض اقاليمها اختلالاً بين الانتاج والاستهلاك ، رغم ما يبدو لنا من تقدم الوسائل فيها .

والمؤلف متفائل ، يؤمن بالنماء المقبل ، والرخاء الذي سوف يعم الارض اذا عولجت هذه المشكلة علاجاً حكيماً ، يرسم لنا بعض اتجاهاته ، فليست الحرب هي خير سبيل للقضاء على الجوع بالقضاء على الجائعين . . . والكتاب مزود بالخرائط والبيانات والاحصائيات التي اعتمد فيها الباحث على منشورات المنظمات الدولية .

النشاط المسرحي . . على ضفاف السين

حول « كوردينال اسبانيا »

• على أثر النجاح الكبير الذي حازته مأساة « مونترلان » الجديدة ، « كوردينال اسبانيا » ، (التي قدمناها لقراء العربية في العدد الماضي من « كتابي ») - وهو النجاح الذي

تنبأ به كثير من الأدباء والنقاد - انعقدت في مسرح «الكوميدي فرانسيز» ندوة طريفة ناقش خلالها نخبة من أهل الفكر والفن هذا العمل الممتاز ، وشهدوا جمهور حاشد .
 وافتتح الندوة « اندريه مورا » ، فتحدث عن مكان «الكردينال سيسنروس» - بطل المأساة - في تاريخ اسبانيا .
 وختم حديثه الطلى ببضعة أسئلة لا تخلو من لدع ، أجاب عنها - بلباقة - « الأب جوبيت » مدير معهد الدراسات الاسبانية ، فأقر أن « سيسنروس » كان من أعظم رجال عصره ، وأجلهم أعمالا ، وأنه تاق مخلصا الى اعتزال الدنيا ، وبين أن « مونترلان » وهو يقدم صورته قد بالغ في تظليلها وفي تضخيم بعض ملامحها ، إلا أنه لم يتنكر لحقيقتها وجهد في نقلها بأمانة .

ثم شرح « هنري جوهيه » أستاذ الفلسفة بالسوربون فضل « مونترلان » على المسرح الحديث الذي تجتاز فيه « التراجيديا » - بمعناها الروحي القديم - أزمة تكاد تحطم أركانها . وما أجمل أن يسمع الانسان المعاصر دعاء ينبعث من أعماق النفس ! واستأنف الفيلسوف الفنان « جبريل مارسيل » علاج الفكرة ذاتها ، بنظرات واعية في تطور المسرح ، فنعى على المدرسة « الرومانتيكية » فصلها بين الدراما والمأساة ذات الصبغة التاريخية ، وأكد أن « كرينال اسبانيا » تحفة مسرحية رائعة .

وبعد أن ألقى « بير ديكاف » كلمة أظهر فيها إعجابه بأدب « مونترلان » ، وكيف أدخل مسرحياته الى برامج « الكوميدي فرانسيز » ، أدى ثلاثة من ممثلى الفرقة بعض مشاهد المأساة التى تصور ما أثير من الآراء .
 ♦ ونشر « مونترلان » نفسه مقالا بديعا يحلل فيه مسرحيته ، هذه خلاصته :

أوجه الصراع في « كوردينال اسبانيا » أربعة : صراع بين « سيسنروس » والملكة « جان المجنونة » ، وصراع بين الكوردينال وحفيد أخته الذي يستخدمه قائدا لحرسه ، وصراع يدور في قلب الكوردينال بينه وبين نفسه ، وصراع مثله يتقاسم وجدان قائد الحرس .

وأهمها الصراع الدائر في قلب الكوردينال بين العكوف على شئون الدنيا والزهد فيها ، قد أذكت جذوته الملكة جان بانصرافها عن الحياة الى تأمل الموت . ولكن زهد الملكة



على مسرح الكوميدي فرانسيز : «لويز كونت» في دور الملكة المجنونة ،
و «هنري رولان» في دور كوردينال اسبانيا

زهد سلبي ، وأما زهد رجل الدين - أيا كان دينه - فعزوف عن الأرض ونزوع إيجابى إلى حياة أخرى ، خير وأبقى .
 ويفضى إلينا المؤلف بأنه كان يتمثل هذا الصراع محتدما على أشده منذ بدأ فى كتابة المسرحية سنة ١٩٥٥ حتى أنجزها أخيرا وسلمها إلى المطبعة . وبابتعاده عنها الآن ، أصبح يرى هذا الصراع وقد صفر وتضاءل ، كما ينظر الواقف على جبل مرتفع إلى جيشين يتحاربان فى الوادى فيبدو له أنهما جيش واحد تضامت صفوفه . وهكذا يخيل لمونترلان اليوم أن الذى يدور فى نفس الكردينال ليس صراعا طاحنا ، وإنما هو أسف يخامرہ اذ يلمس أنه وقف على العالم معظم نشاطه وجهده ولم يفسح لتأملاته الروحية مجالا أوسع . ومن ردود « سيسنروس » على الملكة أنه بقدرة الله يوفق بين ما تتطلبه منه سياسة العباد وما يجب عليه لرب العباد . ويورد « مونترلان » من مذكراته هذه العبارة : « ان المسألة التى تعنيننا هى الجمع بين العمل والاضراب عن العمل فى حياة متكاملة » ، وما كتبه سنة ١٩٣٥ : « ينبغى الاحتفاظ بكل شئ مع تنسيق الاشياء وتقدير النسب التى يتركب منها المجموع » .

ويختتم الأديب الكبير مقاله بسطور حكيمة ، فلهله قد اخطأ الراى ، ولعله سىرى غير ذلك بعد انقضاء بضعة أسابيع . « وليس للاشياء من واقع الا ما نخلعه نحن عليها بتسليط أضواء مختلفة متوالية » .

« هتلر » فى المسرح القومى الشعبى !

♦ عاد الفنان الكبير « جان فيلار » ، وهو على رأس « المسرح القومى الشعبى » الذى يحتل قاعة « قصر شاىو » الضخمة ، إلى آثار الكاتب الالماني المعاصر « برتولت بريشت » .

والمعروف ان « بريشت » قد وقف حياته على المسرح ،
 وجدد مادته وأغراضه ، واتخذة أداة فنية لتبصير الانسان
 بقوى الشر التي تريد أن تطفئ عليه وتستعبده. و « بريشت »



زوجة « بريشت » ، الممثلة « هيلين فيجيل » ، في دور « الام » الذي تتقنه



«ارتورو وى» - شبيه هتلر - فى مشهد من اخراج
«پريشت» ومن تمثيل فرقته «المجموعة البرلينية»

متفائل ، يؤمن بمستقبل للانسانية سعيد ، ولكن بعد انتصارها على اكاذيب المضللين ، وتفوق العدالة الخليقة بأن تصلح أمور المجتمع . ولذلك عادى النازية وتفنن في نقدها ، واضطر الى الفرار من المانيا سنة ١٩٣٣ . وبعد أن جاب شمال أوروبا ، استقر في كاليفورنيا ، حيث واصل كتابة مسرحيات لم يحفل بتمثيلها الا بعض الهواة وعدد من طلاب الجامعات . واستطاع أن يعود الى وطنه عام ١٩٤٨ . وهناك أسس ، مع زوجته الممثلة الممتازة « هيلين فيجيل » ، فرقة سماها « المجموعة البرلينية » ، وتولى بنفسه اخراج مسرحياته . ولقد أصبحت « المجموعة البرلينية » - بتخصصها واتقانها - اقوى مسارح أوروبا اليوم !

ومسرحية « بريشت » التى قدمها « فيلار » لجمهوره الباريسى منذ أسابيع قليلة ، تروى قصة هتلر ، وصعوده من الحضيض الى القمة ، وفصول سيطرته الرهيبة التى كادت تغير معالم الانسانية . وبطل المسرحية لا يدعى « هتلر » - وان كان يستعير فى كثير من الدقة شكله وحرركاته - بل يدعى « آرتورو وى » (Arturo Ui) ، وهو ليس زعيما سياسيا بل رئيس عصاة من لصوص شيكاغو يستفحل شرها شيئا فشيئا . وفى ختام الاحداث يهيب ممثل بالجمهور ، داعيا القوم الى اليقظة والحذر ، حتى لا يتاح لمثل هذا الطاغية أن يسيطر عليهم ويتجبر . وتلك عبارات تثير الحماسة فى أفواج النظارة ، وقد جددت متشاهد المسرحية نقيمتهم على ما ينكرون من ذكريات . . . ولو أن هذه المسرحية قد اغضبت - بمضمونها الكريه ، وبأسلوبها المثير - فريقا من النقاد يأبون على فن المسرح أن ينزل الى مستوى الدعاية المباشرة والهجاء السافر . .

فاعلة خير . . من الصين

♦ ويقدم « مسرح ريكاميه » - وهو مسرح صغير وضعت الدولة منذ العام الماضي تحت اشراف «جان فيلار» ايضا ، ليكون حقلا للتجارب الفنية الجديدة - مسرحية أخرى من أدب « بريشت » ، لا شك في أنها أرقى وأعمق من « أرتورو وي » .

وهي مسرحية طويلة ، زاخرة بالمعاني والعبر ، حافلة بعديد من الشخصيات والمشاهد . وقد استوحى فيها المؤلف أسطورة صينية طريفة ، تروى كيف مضى ثلاثة آلهة للبحث في العالم عن انسان طيب ، يحقق مبادئهم ، ويبرر - بالتزام جانب الخير والمعروف - وجود هذا العالم . . . فهل سيجدون ضالتهم ؟ ومن يكون ذلك الانسان الصالح ؟ تبدأ المسرحية بقاء الآلهة الثلاثة ، وهم في طريقهم ، برجل سقاء هو « وانج » ، سرعان ما يفتن الى شخصيتهم ، فيقودهم الى كل من يتصف بالصلاح من أهل البلدة ، ويلتمس لهم - دون أن يكشف عن حقيقتهم - محسنا يرضى ان يؤويهم في بيته دون أجر . ويرفض جميع المحسنين ، فيواصل السقاء بحثه حتى ينتهى به المطاف لدى مومس تدعى « شنتى » ، هى التى تقبل الرجاء وتضيف المفتربين الثلاثة . انها اذن صاحبة النفس الطيبة الوحيدة فى مدينة (سى تشوان) !

ويترك لها أحد الآلهة - قبل رجوعهم الى السماء - مبلغا من المال عرفانا بجميلها ، وتشجيعا لها على متابعة فعل الخير . وتستثمر « شنتى » هذا المال فى التجارة ، لكى تعين بأرباحها المساكين الذين تعطف عليهم . على أنها قد اضطرت الى الكذب يوم طالبتها مالكة الحانوت الذى

استأجرته بضامن ، فزعمت أن ابن عمها « شويتا » يضمناها ، وهو رجل لا وجود له . ولم يكن بد من تنكرها في صورة ذلك الرجل الذى يتولى أمرها . وما أصعب تمثيل هذا الدور المزدوج على الممثلة التى تظهر تارة بمظهر المرأة الطيبة ، وتتقمص تارة أخرى رجولة « شويتا » الصارم الذى يحميها من طبيبتها ، ويتدخل بشدته اللازمة لحسم المواقف كلما تأزمت . وما أكثر ما تتأزم المواقف حول « شنتى » ، فان أولئك البائسين الذين تمد اليهم يد المساعدة هم أول من يستغلونها ويختلسون مواردها لسد أعوازهم ! وتتعدد الأمور عندما تحب « شنتى » فتى متعطلا يريد أن يصبح طيارا ، وتتزوجه رغم تحذير « شويتا » الذى خبر هذا الطيار فوجده وصوليا لا ضمير له ، ثم تضيق به وتفارقه . ولكنها تنتظر طفلا . وعليها أن تكفل طفلها وأن تشق له طريقا بين قوم لا يرحمون . وهنا تتشبث بشخصية الرجل العاتى « شويتا » ، وتولى إدارة مصنع أنشأته ، فتنهال عليها الأرباح ، وتصم آذانها عن شكاة من تظلمهم . ويثور القوم على هذا الرجل البغيض الذى بات يحتل مكان ابنة عمه الطيبة ، ويتهمونه بأنه قتلها ، ويقدمونه الى المحكمة ! وفى المحكمة يطلب « شويتا » أن يختلى بقضائاته . وما أولئك القضاة سوى الآلهة الثلاثة . ويعترف « شويتا » المستبد بأنه « شنتى » المحسنة ، وأن ظروف العيش هى التى أخفت تلك النفس الكريمة وراء هذا القناع المنكر . أفيعنى ذلك أن عالما فاسد الجوهر ، يقتل الخير بالشر ، ولا سبيل الى اصلاحه ؟ ان الآلهة القضاة ينطلقون الى السماء ، ولا يلقون الى « شنتى » الحائرة من جواب الا نصيحتهم القديمة بأن تفعل الخير ! وقبل اسدال الستارة ، يظهر ممثل فيوجه السؤال الى الجمهور ، لأن القصة على هذا

النحو مازال ينقصها الحل : أينبقى تغير الطبيعة البشرية ،
 أم تغير نظم المجتمع ؟
 ولعل في هذا التساؤل مايدلنا على شك يساور المؤلف في
 قيمة المذهب الماركسي الذي اعتنقه . ومهما يكن موقف
 « بريشت » ، فان روايته هذه من أجمل آثار المسرح العالمى
 المعاصر .

((طرطوف)) بين مولير وأنوى . . وعثمان جلال
 . يقال ان الأديب الفحل « جان أنوى » ، الذى يعرف
 قراء هذه المجلة بعض أعماله (راجع عددى ٣٨ و ٨٩ من
 « كتابى ») ، قد هم بكتابة مسرحية فكاهية عصرية تعالج
 موضوع « المنافق » على غرار مسرحية مولير الشهيرة
 « طرطوف » (التى قدمها « كتابى » فى العدد ٣٠) . ولكنه
 ازاء روعة النموذج الذى وضعه نصب عينيه ، أحجم عن
 تقليده ، واكتفى بأن يخرجها اخراجا جديدا وأن يعلق عليه .
 وهذا ما يشاهده الباريسيون الآن فى دار (كوميدى
 الشانزليزيه) .

ولقد برع « أنوى » فى نقل مسرحية مولير من القرن
 السابع عشر الى القرن التاسع عشر ، فصور جوا من تلك
 الأجواء العائلية الفائقة التى يتقن تصويرها . وليس
 « طرطوف » هنا رجلا من رجال الدين ، بل هو فتى غريب
 الأطوار تلتهمه العقدة النفسية . ويؤدى هذا الدور الممثل
 الشهير « فرانسوا برييه » أداء ينتزع الإعجاب .
 وتعقب فصول مولير الخمسة قطعة تمثلية من انشاء
 « أنوى » ، تعرض علينا ناقدا مسرحيا يعود الى بيته بعد
 تلك السهرة ساخطا على هذا الأسلوب فى اخراج تحفة الأدب
 الكلاسيكى الماثورة ، منذرا بمهاجمة هذا العبث شديدة فى

مقاله القادم . ويتطرق من نقد « أنوى » الى « نقد » موليير نفسه ، فهل يعبر موليير عن مشاكل عصرنا ؟ وما الذى سيبقى من أدبه يوم يطاء أول رائد روسى سطح القمر ؟ بل ويتساءل : هل كان موليير معبرا عن عصره ، وعن حقيقة مشاكله السياسية والاقتصادية ؟ وما قيمة موليير اذا قورن بأديب مثل « بريشت » الملتزم ؟ وأى نفع لمسرح بلا هدف ؟ .. وهكذا يفرغ الناقد الناغم شحنة غضبه . ومن خلال حديثه الذى تتضارب فيه الحجج والمعانى ، تتسلسل ردود « أنوى » - بطريقة غير مباشرة - على من يهتمونه بالوقوف بعيدا عن المعارك التى يخوضها جيلنا فى ميادين الفكر والسياسة . وبعد ارتباطه بمذهب من المذاهب التى تتصارع اليوم لتصنع تاريخ الانسان الحديث . انه يسخر اذن من دعاوى بعض غلاة « الطليعة » . ولا يلبث الناقد حتى يرى - فى حلم - شخصيات مسرحية « طرطوف » الأصليين ، وقد ارتدوا ملابس القرن السابع عشر ، وهم يتولون الدفاع أمامه عن أسلوب الاخراج الجديد . وفى هذا كله متعة كبيرة للباريسيين الذين يتذوقون لذع التلميح ، ورشاقة التناول ، وتفنن « أنوى » فى تأويل نص من تراثهم يعرفون أدق تفاصيله .

♦ **ويقال** ان فرقة المسرح القومى لدينا تنتوى الاشتراك فى مهرجان مسارح الامم الذى سيقام بباريس فى الصيف القادم ، بروايتين أحدهما « الشيخ متلوف » أى « طرطوف » موليير كما اقتبسها عثمان جلال رحمه الله منذ ثمانين سنة لجمهور ساذج قريب العهد يومئذ بفن المسرح ..

ولقد أصبحت مسرحية موليير بنصها الفرنسى - الذى لا يننى عن دراسته وتحليله الأساتذة والطلاب فى المدارس والجامعات كل عام ، والذى يضع أعلام الفن الفرنسى من كل جيل مواهبهم فى خدمته ، للظهور به فى أروع الصور -

مادة من مواد الترف العقلي لدى أهل باريس ورواد مسارحها من فرنسيين وأجانب .. فهناك ممثلون تخصصوا في دور « طرطوف » وبلغوا في إتقانه درجات عليا ، ولا أسمى هنا سوى « فرنان لدو » الذي كانت عودته إلى أحضان « الكوميدي فرانسيز » منذ بضعة أعوام ، للنهوض بتشثيل

« طرطوف » ، عيداً من أعياد تلك الفرقة العريقة . ترى ماذا سيكون وقع « الشيخ متلوف » في نفوس الدواقين الذين أضاف « أنوى » إلى ثروتهم الثقافية حول « طرطوف » ذخراً جديداً في هذا الموسم ؟ .. اننى أخشى مقارناتهم بين شيخنا المتلوف وبين أصوله العديدة لديهم . وأخشى ان يفرينا النجاح الذى قد تناله في القاهرة أزجال عثمان جلال .. فينسبنا ان المصانع العالمية لا تصدر كل منتجاتها ، بل تحتفظ بصنوف معينة منها للاستهلاك « المحلى » .

يقدمها : على شلش

رسالة لندن

ان كانت الكتب تخلق رجلاً كاملاً ، كما يقول الفيلسوف الانجليزى « فرانسيس باكون » ، فان لندن تخلق ، بدورها ، مكتبات بأكملها كل يوم . ذلك ان هذه المدينة الضخمة ، التى تعد من أهم مراكز العالم الثقافية ، تدفع الى السوق - يومياً - عشرات ، بل ومئات من الكتب الجديدة !

وقد صدرت في الشهر الحالى طائفة متنوعة من المؤلفات ، حملت على أغلفتها عناوين متفرقة لموضوعات عديدة ، منها

ماهو طريف وجديد معا ، ومنها ايضا مايتطلب من القارىء
قدرا معيناً من التخصص والوعى ، كما يرتبط الكثير منها
بأحداث الساعة ..



المؤلف المخرج « جان انوى » يلقي بتعليماته الى « ادith سكوب »
عن دورها في « حلم ناقد »



«فرانسوا بيرييه» مع «نيكول لانسون» في مشهد من مسرحية
«طرطوف» لموليير كما أخرجها «أنوى»

أثمن هدية على وجه الأرض !

عندما طاف الكاتب الأمريكي « جون جنتر » بالقارة الإفريقية ، خرج من رحلته هذه بكتابه المعروف « داخل أفريقيا » ، الذى سجل فيه وضع الإفريقيين المضطهدين كما لمسه بنفسه ، وقد اعترف فيه بأن أفريقيا هى « أثمن هدية على وجه الأرض ! » .

وقد ظفرت هذه الهدية الثمينة التى شرع أصحابها الحقيقيون فى التشبث باستقلالها ، بأوفر قسط فى حصيلة المؤلفات التى صدرت فى العاصمة الانجليزية هذا الشهر . وقد برزت قضية الكونغو الى الصف الأول ، واستأثرت بجهود كثير من المؤلفين والمعلقين . ومن بين المؤلفات التى تعرضت لمأساة الكونغو هذا الكتاب الذى أصدرته دار « بنجوين » فى ١٧٤ صفحة بعنوان : « كارثة الكونغو » لمؤلفه : « كولين ليجم » .

وقد عرض المؤلف لتاريخ الكونغو بايجاز منذ رحلات « ستانلى » الاستكشافية حتى اليوم . وأشار الى موقف همرشولد والأمم المتحدة ، وأوضح ثلاثة أخطاء رئيسية ارتكبتها الأمم المتحدة . أولها : فشلها فى معالجة مشكلة كاتنجا ، وثانيها : فشلها فى معالجة الموقف العام فى البلاد ، وأخيرا فشلها فى التمييز بين حكومة لومومبا الشرعية ومنافساتها الأخريات الأقل شرعية . لكنه انتهى الى أنه كان من الواجب أن تقف الأمم المتحدة موقفا أشد حزما وأكثر عزمًا على فض النزاع بطريقة سلمية تضمن للبلاد الاستقرار والسلام .

كذلك صدر عن دار « جولانسر » كتاب بعنوان « مأساة الكونغو » فى ١٦٠ صفحة، عالج فيه مؤلفه « ريتشى كالدرا »

القضية ذاتها ، وصور فيه ما يحدث في الكونغو بعد زيارته
للاقاليم الستة ، باعتباره ضمن موظفي منظمة الصحة
العالمية .

واذ نترك قضية الكونغو نجد عددا آخر من المؤلفات التي
تعالج مشاكل القارة الافريقية ابتداء من الجزائر في الشمال
الى اتحاد ولايات الجنوب ، ومن اثيوبيا في الشرق الى
ليبيريا في الغرب . ومن هذه المؤلفات :

♦ **الثورة الأفريقية** (١٩٩ صفحة) بقلم : جيمس
كاميرون - دار تيمس وهندسون

♦ **الجزائر : العصيان والثورة** (٢٠٨ صفحة) تأليف :
جوان جيسبي - دار أرنست بن .

♦ **جنوب أفريقيا والرأي العالمي** (٦٨ صفحة) تأليف :
بيتر كالفوكورسي - مطبوعات جامعة أكسفورد

((ايخمان)) ذو الأنف المقوس !

كذلك شغلت قضية الموظف النازي « أدولف ايخمان »
مطابع العاصمة الانجليزية ، فقد صدرت أخيرا أربعة كتب
تعرضت لحياة الرجل . . وتمضى عناوينها كالآتي :

♦ **ايخمان : حياته وجرائمه** (٢٨٨ صفحة) تأليف
« شارلز وايتون » .

♦ **القبض على أدولف ايخمان** (١٨٢ صفحة) تأليف
« موشي بيرلمان » .

♦ **وزير الموت** (٢٤٦ صفحة) تأليف « كوينتين رينولدز »
وآخرين .

♦ **الصيد** (٢٩٩ صفحة) تأليف « توفيا فريدمان » .
وهكذا شغلت القضية أكثر من ألف صفحة ، والملاحظ في
معظم هذه الكتب ان مؤلفيها من اليهود ، وقد عالجوا

الموضوع من وجهات نظر متعددة ، تجمع في النهاية على ضرورة الانتقام من ايخمان !

والغريب في أمر ايخمان أنه لم يحظ في حياته من قبل بمكانة مرموقة بين زعماء النازية المعروفين ، فقد كان موظفا صغيرا لا يعرفه أحد ، حتى ضحاياه أيضا لم يكونوا يدرون شيئا عن حقيقة أمره والدور الملقى على عاتقه ، والذي ينحصر في افناء يهود أوروبا - وقد كان يعتقد أن القضاء على اليهود يعادل في الأهمية انتصار ألمانيا على الحلفاء . ومن الطريف في أمره أنه يتميز بأنف مقوس لا يختلف عن أنف اليهودي ، مما جعل اليهود ينخدعون في أمره فيحسبونه واحدا منهم .. وهكذا وجد ايخمان مهمته يسيرة هينة !

أخبار أدبية قصيرة

♦ صدر عن دار « تامز وهلسون » كتاب بعنوان ((بقطة العرب)) من تأليف « فرانكسكو جابريلي » . وهو حاققة جديدة من سلسلة كتب الثورات الكبرى التي تصدرها الدار . وقد تتبع المؤلف ، الذي يعد حجة في الشؤون العربية ، تاريخ الحضارة العربية وأنهيارها ثم يقظتها من جديد ، ملتفتا بصفة خاصة إلى أحداث السنوات الستين الماضية .

♦ ومن مطبوعات جامعة أكسفورد الجديدة كتاب بعنوان : ((دافيد دافيز : مدير دعاية لنكولن)) (٣٨٣ صفحة) ألفه « ويلارد . ل . كنج . » وفيه قصة حياة الرجل الذي يدين له ابراهام لنكولن بالكثير ، فهو الذي وقف بجانبه في معاركه السياسية حتى وصل إلى كرسي رئاسة الجمهورية . وقد حافظ دافيز على صلته الوثيقة بأسرة لنكولن ، وظل نصيرا لأفرادها بعد مصرع لنكولن ، إذ كان له فضل كبير في شفاء « ماري تود » من الصدمة العصبية التي انتابتها على

أثر وفاة زوجها ، كما ناصر « روبرت » ابن لنكولن ، وجاهد الى جواره حتى تم تعيينه وزيرا للحرب في وزارة الرئيس « جارفيلد » .

وقد تعرض المؤلف في هذا الكتاب الضخم الى جوانب كثيرة من حياة الرئيس الأمريكى لنكولن ، كذلك قضى على بعض الشائعات التى تواترت عقب مصرعه ، مما يجعل الكتاب فريدا في بابه .

♦ صدر عن دار « الن وانوين » كتاب جديد بعنوان : « المسيح وفرويد » من تأليف « آرثر جويردهام » .

♦ ظهرت في السوق الانجليزية ترجمات كثيرة لكتاب فرنسيين وايطاليين وألمان . وقامت دار بنجوين بطبع مؤلفاتهم بأغلفة برتقالية اللون . ومن بينهم : سارتر ، مالرو ، برخت ، ايزاك بابل ، كامى ، مورافيا .

♦ أثارت الكاتبة « وينفرد جيرين » اهتمام المثقفين الانجليز ومعلقى الصحف الأدبية بكتابها الجديد الذى ترجمت فيه لحياة « برانويل برونتى » شقيق الشقيقات « برونتى » الثلاث المعروفات في عالم الأدب . وقد سبق لجيرين أن أصدرت ترجمة لحياة « آن برونتى » .

♦ دارت معارك أدبية حامية حول مسرحية جديدة أعدها « جون وايتنج » عن قصة لألدوس هكسلى ، وعنوانها : « الاشرار » . وسبب الخلاف بنحصر في اعتقاد بعض المشتغلين بالمسرح بضرورة تحويل الآثار القصصية الممتازة الى مسرحيات ، بينما يعتقد البعض الآخر ان من الأجدى صرف الجهود الى التأليف المسرحى المحض .

والآن ، تعال نفادر (لندن) كى نتابع الحركة الثقافية في .. نيويورك .

رسالة نيويورك يقدمها : على شلش

ولئن كانت باريس ولندن تتصدران مراكز العالم الثقافية، فان نيويورك لا تقل عنهما ، بل انها تبرزهما في بعض المجالات .
ويسكى أن نذكر أن دور النشر الأمريكية لها من النفوذ والامكانيات ما للهيئات الرسمية من نفوذ وامكانيات . بل ان نظام التفرغ الذي أخذت به وزارة الثقافة العربية ، وطبقته في بلادنا ، تطبق مثيله دور النشر الأمريكية ، بعيدا عن الاجراءات الحكومية . ذلك أنها تقوم أحيانا بتكليف عدد من الكتاب والمفكرين ، كل حسب اختصاصه ، باعداد مؤلفات في نواح تقترحها اللجان الثقافية بها . وتوفر لهم ، مقابل ذلك ، كل ما يحتاجونه من مال في حياتهم اليومية ، حتى يتفرغون لأداء مهمتهم .

وقد انتقينا لك عددا من الكتب التي صدرت في نيويورك هذا الشهر ، نقدمها لك بايجاز فيما يأتي :

الموهبة المجهولة ..

♦ برانويل بروننتي وعالمه الخافل بالعذاب (٣٣٦ صفحة)
- تأليف : دافني دي مورييه . عن دار (دبلداي) .
ما من أحد يجهل الشقيقات « بروننتي » ، لكن القليلين هم الذين يعرفون عن هذه الأسرة الموهوبة أنها ضمت ، الى جوار عبقرياتها النسوية ، عبقرية أخرى تمثلت في شخص شقيقهن « برانويل » .

ومن محاسن الصدف ، أو لعلها من دلائل المنافسة بين لندن ونيويورك ، أن يصدر في شهر واحد كتابان يتناولان حياة هذه الشخصية التي خفيت عن الناس زمنا طويلا .

وقد أشرنا في رسالة لندن الى الكتاب الاول . أما هذا الكتاب الذى صدر فى نيويورك فهو يعالج حياة هذا الفتى أيضا ، ويلقى عليها أضواء جديدة ، بل وتمتاز بأن كاتبتة هى الروائية المشهورة « دافنى دى مورييه » مؤلفة القصة العالمية (ربيكا) ، وعشرات من القصص الأخرى المعروفة . والواقع ان « برانويل بروننتى » لم يكن أقل من شقيقاته حماسة للكتابة والخلق الفنى ، فقد عرف بغزارة الانتاج فى سن مبكرة ، حتى انه فاقهن جميعا عندما بلغ الحادية والعشرين من عمره ، اذ كان قد سطر بقلمه مخطوطات عديدة متنوعة فى المسرح والقصة والشعر . لكن هذا الانتاج الفزير لم ير النور للأسف ، فقد ظل طى الكتمان ، يعلوه التراب ، الى ان تنبه له الدارسون ونقاد الأدب . وشخصية « برانويل » تمثل ، فى الواقع ، شخصية الفتى



صورة نادره رسمها « برانويل بروننتى » بريشته ، تمثل شقيقاته الثلاث وقد جلسن من حوله ، وتظهر فيها « (آن بروننتى) » الى اليمين ، ثم « (اميلى) » و « (شارلوت) » الى اليسار .

المراهق ، المضطرب ، القلق ، المعذب النفس . ذلك أنه وجد نفسه ضائعا منذ نعومه أظفاره ، فجرفته رفقة السوء الى اللهو والعبث ، واستسلم في النهاية للخمر والمخدرات ، حتى ضعف جسمه ، واخذ يتحلل شيئا فشيئا ، الى أن توفي في سن الحادى والثلاثين ، تاركا وراءه ثروة فنية ، لا تمثل في إنتاجه فحسب ، وانما تتمثل أيضا في إنتاج شقيقاته اللواتى نهلن من عبقريته ، وشخصيته الملهمه الجذابة .

وتذكر مؤرخته عبارة قصيرة خلفها بعد وفاته . وهى رغم تركيزها وقصرها تلقى ضوئا على حياته ، بل انها تلخص هذه الحياة . يقول برانويل : « ان ماضى من حياتى فارغ وسخيف ، فأنا لم أفعل شيئا ، عظيما كان أم طيبا » ومن الجوانب الهامة فى حياة هذا الفتى التمس أنه هوى الرسم أيضا فى صباه ، لكنه فشل فى الالتحاق بكلية الفنون الملكية ، كما فشل فى الوظائف الصغيرة التى التحق بها . والحق أن برانويل قد عاش حياته قلقا ، مهيبض الجناح ، ولعله أيضا قد مثل الطراز الذى عاشه فتيان أوروبا بعد سبعين عاما فى فترة ما بين الحربين ، مع اختلاف الظروف وتباين المشكلات . ولهذا يجد قارئ أعماله وتاريخه سمات حديثة كثيرا ما يجدها فى أبطال الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر وكامى ، وربما كيركجارد أيضا .

الكاتب الأمريكى الذى يعشقه الروس !

♦ لقاء فى الظهيرة . (٣٦٠ صفحة) - تأليف : ميتشل ويلسون - عن دار (دبلداى) .

رغم أن كاتب هذه الرواية غير معروف فى بلاده ، إلا أنه يقرأ على نطاق واسع فى الاتحاد السوفيتى ، وهم يضعونه

هناك على قدم المساواة مع الروائي المعروف «همنجواي» !
وقد احترف ويلسون (٤٧ سنة) الكتابة قبيل الحرب
الثانية ، أثناء اعداده لرسالة الدكتوراه في الطبيعيات من
جامعة كولومبيا . وربح من كتبه التي ترجمت الى الروسية
نحو ٢٠ ألف دولار ، بالاضافة الى ربحه من روايته الأخيرة
الذي قدر بنحو ١٥ ألف دولار . ومما يذكر انه قضى في
الاتحاد السوفيتي ستة شهور على نفقته الخاصة قبل أن
يكتب روايته هذه ، وكان قد تعلم اللغة الروسية قبل
مفادرتة لبلاده .

وبطل رواية ويلسون عالم أمريكي لامع من علماء الطبيعة
والذرة ، سافر الى موسكو لحضور مؤتمر علمي . وهناك
تعرف الى عالم روسي يعادله علما ومكانة ، لكنه لم يصل
الى ما وصل اليه هو من انتصارات علمية . وارتحل رينيت
(وهذا اسمه) الى القوقاز . ثم أحس بالحب يجرفه نحو
فتاة روسية كانت تعمل سكرتيرة له . .
وبالقصة بعد هذا الحاح على أن العلم ملك للأمم جميعا ،
بفض النظر عن اختلاف نظمها وعقائدها ، وانه ، أي العلم ،
قد خلق لنفع الناس ، والعمل على اتاحة فرص السلام
والطمأنينة أمامهم .

لكن لماذا يعشق الروس الكاتب الأمريكي ويلسون ؟ ولماذا
احتفوا به ، وترجموا أعماله ، وقدموه في برامج التلفزيون
والاذاعة ؟ . . تجيب على هذه الأسئلة فتاة روسية تعمل
في السياحة بقولها : « انه يحيطنا علما بكثير مما لم نكن
نعرفه عن أمريكا . وهو يجعل العلماء انسانيين في طبائعهم
ومعاملاتهم . فهم يغازلون ، ويقعون في الفرام ، كما يهجرون ،
ويقاسون عندما تقابل عواطفهم بالصد والهجر ، كما يهتزون
طربا عندما يلاقون قبولا . . انهم مثلنا . »

أخبار أدبية قصيرة

♦ على رأس قائمة الكتب التي تجد رواجاً كبيراً هذا الشهر قصة للكاتب شوارز بارت عنوانها : « آخر العادلين »

♦ من بين الكتب التي تقرأ الآن في أمريكا هذه العناوين :

« منتصف القرن » : رواية من تأليف الروائي المعروف « جون دوس باسوس » . وتعد أعظم رواية كتبها بعد ثلاثيته الأخيرة : « الولايات المتحدة الأمريكية » .

♦ « المقاومة والعصيان والموت » : كتاب للاديب الفرنسي الذي لقي مصرعه في العام الماضي : « البير كامى » ، وقد عالج فيه مشكلة الجزائر ، وموضوعات أخرى .

♦ صدرت عن دار (هاربر) رواية جديدة ممتعة بعنوان « قضية جوفيه » في ٤٣٤ صفحة ، للكاتب الالماني المغمور « يواكيم ماس » (٦٠ عاماً) . ومما يجدر بالذكر ان كتابة هذه الرواية قد استغرقت منه ثلاثة عشر عاماً . وقد أخذها مؤلفها عن جريمة وقعت بباريس عام ١٨٨٩ ، قتل فيها باريسى يدعى « جوفيه » ، وكانت قد أوقعت به غانية حسناء تدعى « جابريل بومبار » ، بمساعدة شريك لها ، فحكم باعدام الشريك ، أما هى فأخلى سبيلها ! .. واذ ذاك هاجرت الى أمريكا : حيث تعقبها زوج شقيقة القتل ، كى يقتص منها .. لكنه لم يلبث ان وقع فى هواها ، وفى النهاية خدعته مع فتى رقيق من فتيان المزرعة ! .. وهنا يحاول أن يعزى نفسه بقوله : « ان الذئبة » ديمقراطية » ، لايهمها السن ، ولا المركز ، ولا الثراء .. مادامت تستطيع أن تلحق الاذى بالرجال ! »

من الكتب العربية

سيكولوجية المقابلة

تأليف : والتر فاندايك بنجهام وبروس فيكتور مور

ترجمة : فاروق عبد القادر وعزت اسماعيل

ومراجعة : الدكتور مختار حمزة

الناشر دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة

والنشر ، ١٩٦١

عدد الصفحات ٣٢٨

تقديم : الدكتور محمد توفيق رمزي

دعاني زميل في إحدى الوزارات لمعاونته في مقابلة الناجحين في الاختبار التحريري لشغل الوظائف الخالية بإحدى إدارات تلك الوزارة . وأذكر أن عدد الناجحين في الامتحان التحريري العسير الذي عقد لهذا الغرض كان حوالى الأربعين من بين أكثر من مائتى مرشح مستوف للشروط ، وكانت الوظائف الخالية لا تزيد على سبع وظائف .

وكان علينا أن نفكر في القواعد التى سنبنى عليها مقابلتنا لكل فرد من المرشحين الأربعين ، بحيث يكون وزننا للجميع فى إطار عام واحد من المعايير والمقومات ، توخيا للعدالة وخدمة للصالح العام باختيار أكثرهم استحقاقا ومواءمة للوظائف المطلوبة . وأذكر أننا قررنا أن نعطي درجة لكل سمة من السمات التى اتفقنا على ادخالها فى تقدير الشخصية ، وأن نضيف درجة الاختبار الشخصى الناتج عن المقابلة الى الدرجة التحريرية ، بشرط ألا نطلع على الدرجة التحريرية إلا بعد نهاية المقابلة مع الطالب واعطائه تقديرا بعيدا عن التأثير بما أثبت من جدارة فى إجاباته التحريرية . وأن نرتب

المرشحين في النهاية بالتدرج من أعلى الى أسفل حسب المجموع العام لكلا الامتحانين .

يظهر من هذا المثل الواقعي ان المقابلة أو بعض المقابلات على أقل تقدير يمكن أن تعني في حياتنا الفرق بين النجاح والفشل في تحقيق أهدافنا في الحياة ، وبالتالي لها هذا التأثير الفعال في حاضرتنا ومستقبلنا . . بل لا يستبعد أن حاضرتنا هذا قد تؤثر الى درجة ما بما واجهنا من مقابلات سابقة لتحقيق ما كنا نرعى اليه من أهداف ، سواء أكان ذلك للحصول على وظيفة ، أو لاقتناع الآخرين بوجهة نظرنا ، أو لادلائنا بشهادة تمس الغير أو تمسنا . . الى آخره من المناسبات العديدة المتباينة التي تواجهنا الحياة بها .

ويعد الناس أنفسهم للمقابلة بوسائل عديدة : البعض منها يقوم على أساس من علم وفن ، والبعض منها يقوم على خرافات أبعد ما تكون عن وسائل العلم وان كان الدافع اليها لا يخلو من ذكاء ، وقد نرمى بالجهالة الرجل الذي يحمل حجاباً أو طلسماً لكي يكون في وجهه قبول عند مقابلاته ، ولكن علينا أن نعترف بأن ذكاءه الفطري قد دفعه الى تقدير أهمية ما يترتب على هذا القبول من نتائج ، حتى وان كانت الوسيلة التي لجأ اليها لا تمت الى العلم بصلة أكيدة .

والمقابلة مدلول يكاد يكون له شبه الاجماع عند النفسيين والتربويين والاجتماعيين ورجال الاعمال ، فليست كل محادثة مقصودة أو عابرة بين اثنين بمقابلة ، انما المقابلة هي « المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد ، غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها » . والمقابلة لا تنحصر في مجرد الكلام بين الموجه للمقابلة والعميل ، وانما تدخل فيها وسائل أخرى تقوم على الاتصال المباشر ، منها : خصائص الصوت ، وطريقة

اللقاء ، وتعابير الوجه والعينين ، والهيئة ، والايماء ، والسلوك العام ، والتصرف خلال المقابلة ، كل هذه عوامل مؤثرة في الحكم ، الى جانب الموضوع الذى من أجله أعدت المقابلة .

ونظرا لما وضح من أن المقابلة تقوم بدور يزداد أهمية في حياتنا الحديثة التى تتطلب كثيرا من الاتصالات الشخصية وتتأثر بها ، لذلك كله فقد قام الباحثون العلميون والنفسيون بالذات بتكريس الجهد لدراسات علمية منطقية في موضوع المقابلة .

والكتاب الذى نقدمه هنا هو أحسن ما قرأنا في الموضوع ، اذ أن مؤلفيه « بنجهام ومور » كرسا جهدا كبيرا امتاز بعمق التفكير وأصالته في معالجة الموضوع من جميع نواحيه ، كما وضعنا خلال الاعوام الثلاثين التى انقضت منذ تأليفهما الكتاب ، نتائج بحوثهما موضع التجربة فأثبتنا نجاحا يشجع على اتساع نطاق التطبيق ومساندة ما جاء بهذا الكتاب من نظريات وارشادات تفيد كل من يلجأ الى المقابلة كوسيلة لتحقيق أهدافه .

وبديهي أن البعض من هؤلاء قد وضع لنفسه خطة - شعورية كانت أو لاشعورية - للنجاح فيما يرمى اليه من وراء مقابلاته ، وأن تجاربه العديدة قد دلته على الطرق الفعالة المؤدية الى نجاحه فيما يرمى اليه ، بل أن معيار النجاح هو النجاح نفسه ، وأن تباينت المهن وأوجه النشاط . ومنها على سبيل المثال : الباحث الاجتماعى ، وصاحب العمل ، وطالب الوظيفة ، ورجل الصناعة والاعمال ، والتاجر ، والبائع ، والطبيب ، والنفسانى ، والسياسى ، والدبلوماسى ، والمحامى ، والمستشار القانونى ، والمستشار الفنى ، وضابط البوليس ، والمحقق ، والمدرس ، والصحفى .

كل هؤلاء تؤثر في مقاديرهم أساليب المقابلة الناجحة ، وربما كان صحيحا اذا قلنا ان أى انسان راشد مهما تواضع عمله أو وظيفته يؤثر ويتأثر ببعض المقابلات حتى وان لم تكن جزءا من نظام عمله ، أو وسلية من وسائل زيادة فعاليته . ولقد تناول الكتاب معظم الأغراض التى من أجلها تقوم المقابلة . كما أوضح الكثير من المزالق التى ينبغى تلافيها ، وذكر العوامل المعقدة المتعددة التى تؤثر في كل المقابلات سواء أكانت واضحة أم غامضة ، وشرح بجلاء ومقدرة الدوافع لتعبيرات الارتياح والوجوم والاتجاهات والسلوك الانفعالى خلال المقابلة ، وأوضح كيف يمكن التغلب على المواقف الصعبة خلال المقابلة .

وللمقابلة الشخصية وظيفة من ثلاث وظائف رئيسية .

فهى تستخدم للتأكد من المعلومات ، وللارشاد ، وللتأثير أو الدفع والحفز . ويرتبط بالوظيفة الأخيرة ارتباطا وثيقا بالاستخدام العلاجى للمقابلة فى مساعدة شخص على أن يخفف عن نفسه ويتغلب على الانفعالات النفسية التى تراكمت وتعمدت حتى أخذت دورا مرضيا يهدد ببعده عن الاتزان والصحة العقلية .

وأوضح الكتاب أن الفكرة الشائعة عن أن القائم بالمقابلة يجب أن يتصف بالدهاء والحيلة وأن يضع نفسه موضع المحقق أو المدرس أو الواعظ إنما هى فكرة خاطئة ، وأن أنجع السبل لتحقيق النجاح هى صفات الكياسة وعمق التفكير مع جلأته والاستمساك دائما بمبدأ الصراحة والوضوح ، فتللك هى الأسس المؤدية الى التفاهم المتبادل والى تفتح عقل العميل ونفسه وأظهاره لمكونات نفسه . . وأوضح أيضا بنفس الجلاء خطأ الانطباع الذى شاع فى أذهان الناس أمدا

طويلاً بأن التنبؤ بسلوك الناس ومقدرتهم أمر ميسر بمجرد ملاحظة شكلهم الجسماني وملامحهم ، كافتراض أن الفك العريض يعنى الاصرار وقوة الارادة ، وعكسه يعنى الضعف والتردد ، الى غير ذلك من النظم التى شاعت عن الفراسة فى تحليل الشخصية والتى قامت على وجود عوامل ارتباط بين السمات العقلية والخصائص الجسمانية وشكل الجمجمة واللون وتفاصيل الملامح . وهذه وان كانت وسائل لايعتمد عليها العلم الحديث إلا أنها كانت محاولات شبه علمية لجأ اليها المفكرون فى محاولتهم للوصول الى الحقيقة بالوسائل التى كانت ميسرة لهم فى وقتهم ، لذلك لا يجوز لنا أن نهمل هذه المحاولات الدراسية شبه العلمية وأن نقول أنه لا توجد على الاطلاق خصائص خارجية للجسم أو للوجه أو للرأس يمكن بها الحكم بمقياس دقيق على القدرة العقلية أو السمات الاجتماعية للشخص ، ولكن يبدو أن من الأسلم أن نقول أنه لا توجد خصائص تشريحية محددة للجسم أو لأى عضو به يمكن بها تقدير خصائص أو سمات الشخصية بتلك الدرجة من الدقة التى يتطلبها العلم الحديث ، ومن الخير أن يركز الباحث العلمى على دراسة السلوك الحقيقى كأحسن قائمة للشخصية ، واستخدام المقابلة كوسيلة للملاحظة والتحقق من سمات السلوك التى يود أن يتكشفها ، ولتحقيق ذلك كله نصح المؤلفان أن يستمسك القائم بالمقابلة بأهداب الاتزان النفسى والحياد والبعد عن الافكار المتأصلة أو المترسبة فى عقل القائم بهذه العملية الهامة .

وقد عالج الكتاب فى صفحاته التى تزيد على الثلاثمائة الاغراض التى يثبت فيها ويتيسر لها استخدام المقابلة ..
والحاجات فى البحث عن الحقائق التى يمكن أن تفيد فيها المقابلة أحسن من غيرها من المناهج الأخرى المتاحة ..

والمساعدات الخاصة التي قام بها كل ميدان من ميادين المقابلة لهم وضبط المقابلة في عمومها . . ومبادئ المقابلة التي يمكن صياغتها . . والقواعد الخاصة التي يمكن وضعها مثل تلك التي تحكم أسلوب الاسئلة حتى لا تكون غامضة او مضللة . . والاطاء الشائعة او « مطبات » المقابلة ، والاحتياطات التي يجب اتخاذها لتجنب ذلك . . وأخيرا كيف يمكن للقائمين بالمقابلة أن يدرّبوا أحسن تدريب أو يدرّبوا أنفسهم لكي يحققوا بنجاح الاعمال التي سيقومون بها .
وان المترجمين ، وكلاهما من خريجي قسم الدراسات النفسية، قد بذلا جهدا موفقا مشكورا في نقل أفكار المؤلفين بصدق وجلاء وسلاسة في التعبير مما يكفل أن يفيد هذا الكتاب قارئ العربية كما أفاد الأصل بالانجليزية أبناء ثقافتها .

استقاء الانباء فن

(صحافة الخبر)

تأليف : ستانلى جونسون ، جوليان هاريس - ترجمة : وديع فلسطين - تقديم : محمد زكى عبد القادر - الناشر : دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

مما لا شك فيه أن الصحافة ظاهرة حضارية في القرن العشرين، يجب تنبيه الاهتمام اليها . وهذه المهنة لا يجب أن تمارسها بالاحساس بل يجب أن نحصلها بالمعرفة والدراسة . . والكتاب دراسة هامة في هذا المجال تشرح بالتفصيل كيفية استقاء الخبر وعرضه وتقديمه للجمهور بأحسن صورة . . وهو لا يقف عند الحدود النظرية بل يهتم بكل المشاكل العملية التي تعترض الصحفي .

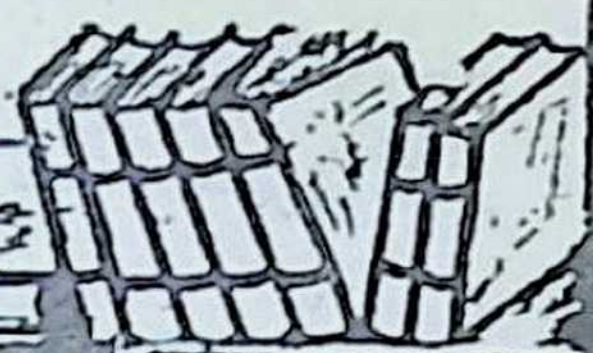
ومؤلفا الكتاب : الأول كان أستاذا للصحافة بجامعة
تنيسي ، والثاني كان أستاذا بنفس الجامعة وهو يعمل الآن
مديرا لإدارة العلاقات العامة ..

وقد زاد هذا الكتاب قيمة في ترجمته العربية ، أن تفرغ
له الأستاذ وديع فلسطين الأديب والصحفي المعروف ، فقد
جاءت ترجمته دقيقة تتابع النص الأجنبي متابعة أمينة .

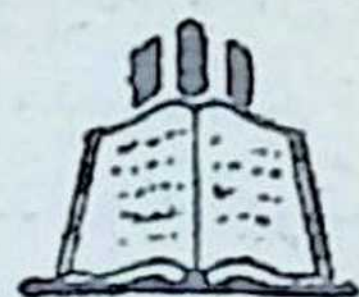
وقد قدم الكتاب الصحفي القدير محمد زكي عبد القادر ،
ويكفي هذا الاسم حتى نتبين ما للكتاب من أهمية .. ويقع
الكتاب في ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وثمانه ٧٠ قرشا



مكتبة اللغة



تقدم



دار الأدباء

تضم نخبة ممتازة

لك... ولأولادك..

تقدم

من كتب :

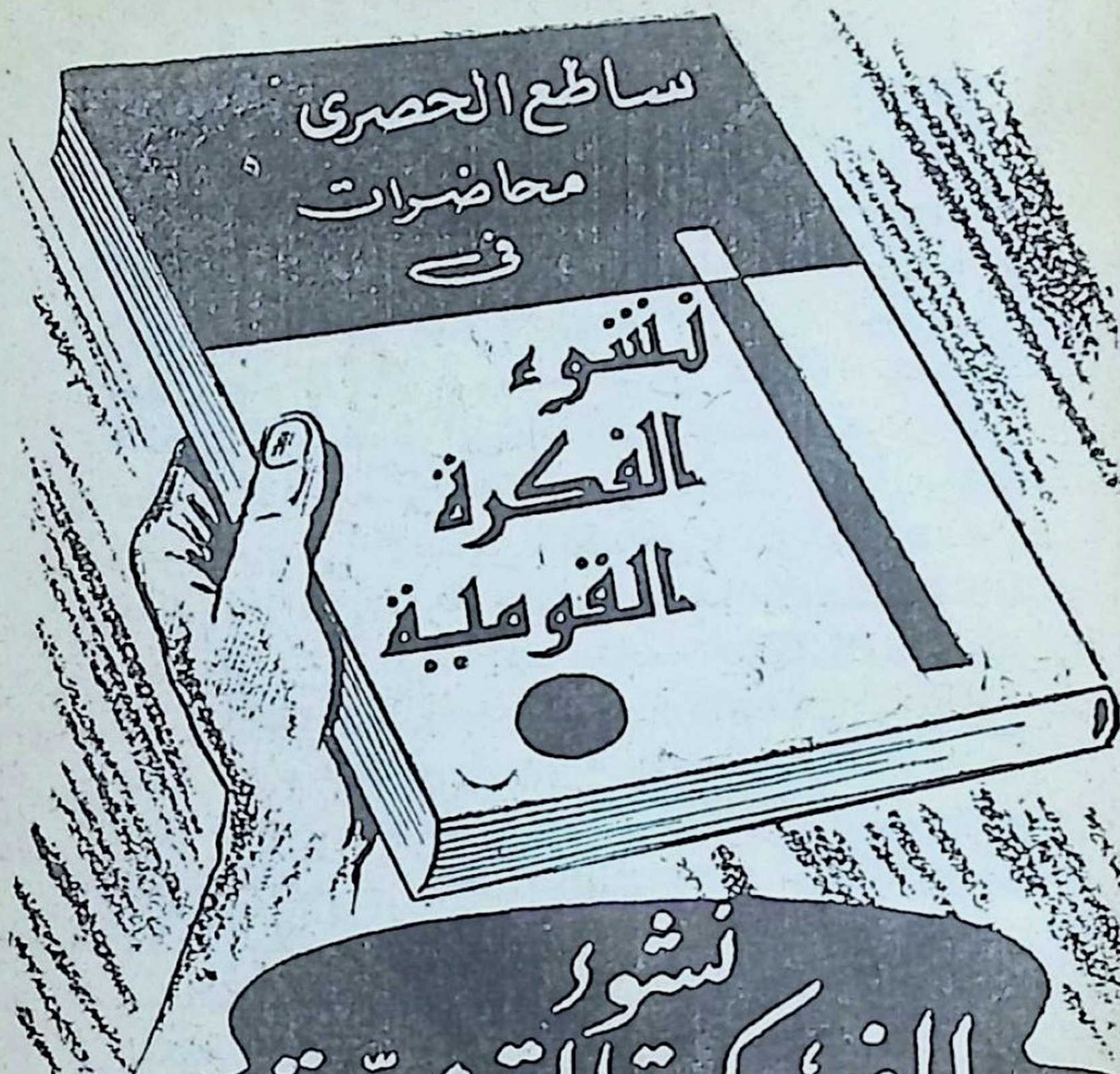
الأدب والعلوم والتاريخ
والسياسة والقانون
والبطولات والوطنية
وكتب الأولاد...
جميع اللغات

بالنقش

المرح

تقدم فوراً... وأملًا الاستمارة الخاصة

١١ شارع طلعت حرب . القاهرة . تليفون ٧٩ / ٧٤١٧٨



نشوء الفكرة القومية

في أوروبا عامة.. وفي ألمانيا... وإيطاليا.. وتركيا.. والبلاد العربية

للفيلسوف العربي المعاصر "ساطع الحصرى"

تلخيص : زكى شنودة المحامى

كتاب على مستوى عالمي !

هذا الكتاب القيم يضم مجموعة محاضرات ألقاها الفيلسوف العربى « ساطع الحصرى » فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآداب خلال عام ١٩٤٨ . وقد تناول فيها « نشوء الفكرة القومية » منذ أوائل القرن التاسع عشر فى أوروبا ثم فى البلاد العربية ، ودلل فيها على أن « الفكرة القومية » هى الأساس الطبيعى الذى تقوم عليه الدول : فالدولة التى لا تقوم على هذا الأساس لا تلبث أن تنهار ، بينما الأمم التى تجمع بينها الفكرة القومية ، لا تلبث - مهما باعدت بينها الأحداث والمطامع - أن تتقارب ثم تندمج فى دولة واحدة .

وكأنما كان ذلك الفيلسوف يتنبأ بظهور نجم بطل القومية العربية جمال عبدالناصر ، حين بشر بهذا المبدأ ودعا البلاد العربية الى اعتناقه ، فقد نادى فى ختام محاضراته البليغة بأن « الغلبة ستكون فى آخر الأمر لفكرة القومية العربية » . . . وكأنه كان يعلم أن القدرة الإلهية تدخر للعروبة زعيما يظهر بعد أربع سنوات من تلك النبوءة ، ويقود العرب تحت راية واحدة ، ليجعل منهم أمة واحدة ، تجمع بين أبنائها - من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى - « فكرة القومية العربية »

نشوء الفكرة القومية

قيام الدول على أساس الفكرة القومية

منذ عقد مؤتمر (فيينا) المشهور ، عام ١٨١٥ ، طرأ على أوضاع أوروبا السياسية من التطورات ما لم يسجل له

التاريخ مثيلا من قبل : ففي مكان **السلطنة العثمانية** التي كانت تشغل القسم الجنوبي الشرقي من أوروبا ، نجد ست دول مختلفة . وفي مكان **عشرات الدول** التي كانت تشغل القسم الغربي الأوسط من أوروبا نجد دولة واحدة هي ألمانيا . . وفي أثناء ذلك انقضت **امبراطورية النمسا** ، وتكونت دولة **إيطاليا** من عدة دويلات صغيرة . . كما تولدت دول عديدة على أساس الانفصال عن بعض الدول القديمة : فانفصلت **بلجيكا** عن هولندا ، و**المجر** عن النمسا ، و**النرويج** عن السويد ، و **فنلندا** عن روسيا ، و **إيرلندا** عن إنجلترا . كما استقلت **اليونان وبلغاريا ورومانيا وألبانيا** عن الدولة العثمانية . وتكونت ثلاث دول على أساس الانفصال من جهة والاتحاد مع جهة أخرى : فقد تكونت **يوغوسلافيا** من أراض كانت منقسمة بين الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية . . كما تكونت **تشيكوسلوفاكيا** من أراض كانت موزعة بين ألمانيا وروسيا والنمسا . وعادت **بولونيا** الى الحياة عن طريق استقلال واتحاد أجزائها الثلاثة ، التي كانت تحت سيطرة الدول الثلاث المذكورة .

وقد تمت جميع هذه التحويلات والانقلابات الدولية العظيمة خلال قرن واحد ، وكان العامل الأساسي في وقوعها هو نشوء ((**الفكرة القومية**)) ، وتغلغلها في نفوس الشعوب . وأساس هذه الفكرة هو قيام الدول على أساس القوميات . وقد كان مفهوم الدولة قبل ذلك يرتبط بمفهوم « الملك » تمام الارتباط ، ومنفصلا عن مفهوم « الأمة » كل الانفصال . فكانت الدولة ملكا للملك ، تخضع لمشيئته خضوعا مطلقا لا يقيده أي قيد . ومن ثم كان لويس الرابع عشر ملك فرنسا يقول ((**الدولة أنا**)) ، وكان هذا لسان حال ملوك أوروبا جميعا . وكانت الشعوب من العناصر المهمة التي

لا شأن لها على الإطلاق في أى أمر من الأمور . وقد استقر في الأذهان « ان الملوك يحكمون البلاد بتفويض وتخويل من الله » فمن يخالف أمر الملك انما يعصى الله !

الشعب مصدر السلطات ..

غير ان المفكرين ما فتئوا ان توصلوا الى نظرية « الحق الطبيعى » المنبثق من الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية ، ومن ثم قالوا « ان مصدر جميع السلطات هو الشعب » . وكان هذا المبدأ يحتوى بذور مبدأ خطير آخر ، هو مبدأ « حقوق القوميات » ، لأنه بعد التسليم بأن الشعب هو مصدر جميع السلطات ، كان من الطبيعى أن تتبادر الى الأذهان سلسلة أسئلة هامة : فما هو الشعب ؟ وممن يتألف ؟ وكيف يظهر مشيئته ؟ وبأية طريقة يستعمل سلطانه ؟ وقد انتهوا من ذلك الى القول بأن من حق كل أمة من الأمم ان لا تخضع لحكم أمة أخرى وأن تؤلف دولة خاصة بها تكون فيها مصدر السلطات بأجمعها ، فلا تصبح ضحية تحكم جماعة غريبة عنها . ولذلك أخذت الأمم تشعر بكيانها الخاص وتنزع الى تقوية هذا الكيان ، فصارت لا تعبأ كثيرا بالحدود السياسية التى تفصل الدول القائمة بعضها عن بعض ، بل أخذت تسعى تارة الى الانفصال عن الدولة التى تحكمها ، لتأليف دولة مستقلة عنها ، وتعمل طورا للاتحاد مع فروعها المنتسبة الى دول أخرى لتكوين دولة موحدة تجمع شمل الأمة بأجمعها ، وهذا ما أوجب الانقلابات السياسية الخطيرة التى ذكرناها . ومن ثم سارت فكرة « حقوق القوميات » سيرها الطبيعى ، ووصلت الى نتائجها المحتومة ، وأعادت بناء الدول الأوروبية على أسس جديدة تختلف عن أسسها القديمة اختلافا كليا .

ولكن ما هى العناصر التى تتكون منها القومية وتتألف منها الأمة ؟

وحدة اللغة . . والتاريخ

يظن البعض ان كل أمة من الأمم تنحدر من أصل واحد . الا أنه ظن غير صحيح : لأن جميع الابحاث العلمية لا تترك مجالاً للشك فى أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد حقيقة . ومع ذلك فثمة عوامل كثيرة توحى بهذا الظن . وأهمها وحدة اللغة ، والاشتراك فى التاريخ .

فاللغة هى أهم الروابط المعنوية التى تربط الفرد بغيره من الناس ، لأنها توجد نوعاً من الوحدة فى الشعور والتفكير ، وتربط الأفراد بسلسلة طويلة ومعقدة من الروابط الفكرية والعاطفية ، فيؤلفون بذلك أمة متميزة عن غيرها من الأمم . وعلى ذلك فإذا أضاعت أمة لفتها ، وصارت تتكلم بلغة أخرى ، تكون قد فقدت الحياة واندمجت فى الأمة التى اقتبست عنها لفتها الجديدة . فاللغة هى روح الأمة وحياتها ، وهى بمثابة محاور القومية وعمودها الفقرى ، وهى أهم مقوماتها ومشخصاتها .

وأما التاريخ ، فهو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها : فان كل أمة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتتعرف الى شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص . والذكريات التاريخية تقرب النفوس وتوجد بينها نوعاً من القرابة المعنوية . والأمة المحكومة التى تنسى تاريخها الخاص ، تكون قد فقدت شعورها ووعيها . ولذلك نجد ان الأمم المستولية والحاكمة تعتمد قبل كل شئ الى مكافحة تاريخ الأمة المحكومة وتبذل ما استطاعت من الجهود لاقضاء ذلك التاريخ عن الازهان . وأما اليقظات القومية - بعد عهود الحكم الأجنبى - فتبدأ

عادة بعكس ذلك ، بتذكر التاريخ القومى ، وبالاهتمام به اهتماما خاصا .

واذن فاللغة والتاريخ هما العاملان الاصليان اللذان يؤثران اشد التأثير في تكوين القوميات .

وفيما يلى نتكلم عن تاريخ نشوء الفكرة القومية ، حتى نلقى نورا كشافا على تفكيرنا السياسى ، ومن ثم يمكننا التنبؤ بما سيكون عليه مستقبل الفكرة القومية في البلاد العربية ، وبالتالي يمكننا اصدار حكم صحيح على ما يجب أن يكون عليه سلوك الناشئة العربية ازاء «الفكرة القومية» .

نشوء الفكرة القومية في ألمانيا

ان تاريخ الوحدة الالمانية من اهم وأمتع صفحات التاريخ في القرون الاخيرة : لان ألمانيا كانت - في العقد الاخير من القرن الثامن عشر - منقسمة الى ٣٦٠ وحدة سياسية ، مستقلة بعضها عن بعض استقلالا مطلقا . غير ان عدد هذه الوحدات السياسية ، أخذ يقل شيئا فشيئا ، بسبب اتحاد واندماج بعضها ببعض ، وكان العامل الأسمى في ذلك هو « نشوء الفكرة القومية » في ألمانيا ، وتغلب هذه الفكرة على « فكرة الدولة » القديمة الباقية من القرون الوسطى .

ويبدأ تاريخ الفكرة القومية في ألمانيا - بصورة واضحة - بالحروب النابليونية : فقد كانت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر تتألف من عدد كبير من الدول والدويلات والمدن الحرة ، وكانت كل منها تتمتع بسيادة تامة في أمورها الداخلية والخارجية . وفي الواقع ، كان هناك ما يسمى - بصورة رسمية - باسم الامبراطورية المقدسة . ولكنها كانت مجرد اسم ، ولم تكن تتمتع بأى سلطة سياسية حقيقية ، اذ كانت الوحدات التى تشتمل عليها مستقلة استقلالا تاما . ومع

ذلك كانت ألمانيا قد وصلت الى مرتبة عالية جدا من التقدم والرقى فى ميادين العلوم والفنون والآداب ، وكان بين أبنائها عباقرة من أمثال « شيللر » و « جوته » و « كانت » و « هيجل » و « غوس » و « هومبولد » و « فرنر » . . . وكان لها عدة جامعات راقية . وبذا كانت ألمانيا قوية وراقية وموحدة من حيث الثقافة ، على الرغم من كونها ضعيفة ومشتتة ومتأخرة من حيث السياسة .

فرنسا تتنكر لمبادئ الحرية !

هذه كانت حالة ألمانيا عندما قامت الثورة الكبرى فى فرنسا ، وقد قوبلت أخبارها بحماس واستحسان فى محافل المفكرين ، لأنها بدت لهم كفاتحة عهد جديد فى تاريخ البشرية سيضمن الحرية لجميع الأفراد ولجميع الأمم . غير أن الوقائع لم تلبث أن خيبت هذه الآمال ، ولم تلبث فرنسا اثنى بادت بأنها ستحرر الشعوب ، أن جنحت الى توسيع سلطانها ، والجري وراء أطماعها ، وقد وصلت هذه الاطماع الى حدها الأقصى بعد تنويع نابليون وتنصيبه امبراطورا على فرنسا . وقد صارت ألمانيا اول أهداف هذه الاطماع واشقى ضحاياها . لأن انقسامها الى دويلات كثيرة صغيرة وضعيفة سهل على نابليون أن يتغلب عليها وأن يتصرف فى شئونها كما شاءت أطماعه واهواؤه : فألحق قسما منها بفرنسا الحاقا مباشرا ، وكون من قسم آخر منها مملكة جديدة سماها باسم مملكة (وستفاليا) ، ونصب أخاه « جيروم » ملكا عليها ، ثم كون دولة اتحادية تجمع عددا غير قليل من الدويلات الألمانية سماها باسم (اتحاد الراين) وأعلن نفسه حاميا عليها . ثم هجم على (بروسيا) نفسها ، ودحر جيوشها فى موقعة (يينا) المشهورة ، ثم زحف الى

برلين واستولى عليها ، وأملى على ملك بروسيا ما شاء من الشروط !

وقد كان من الطبيعي أن تولد هذه الكوارث رد فعل شديدا في نفوس الالمان ، وقد صار الكل يشعرون شعورا واضحا بأن هذه الرزايا كانت من نتائج ((فقدان الوحدة القومية)) و ((ضعف الروح الوطنية)) . ومن ثم تولد في نفوس الالمان تيار قوى جارف من الحماسة الوطنية المقرونة بالرغبة الملحة في الاتحاد ، للتخلص من ربقة فرنسا . وكان مركز هذه الحركة ومحورها في بروسيا ، وقد اندفع الأدباء والشعراء فيها يصورون الرزايا التي ألمت بالبلاد تصويرا مؤثرا ، ويلهبون روح الوطنية ، ويشيرون حب الاستقلال والاتحاد بأشعار حماسية ، واندفع المفكرون والمعلمون يخطبون ويحاضرون ، كما اندفع رجال السياسة يهيئون السبل لحركات الوحدة والاستقلال . وقد كانت القوانين المرعية في بروسيا في ذلك التاريخ تميز طبقات المجتمع بعضها عن بعض تمييزا صريحا فعليا . وقد أدرك رجال الإصلاح ما في ذلك من منافاة لمقتضيات الوحدة القومية ، فألفوا القوانين المذكورة ، واستعاضوا عنها بقوانين جديدة تزيل هذه القيود ، وتجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة ووطن واحد . وقام رجال الجيش أيضا بتنظيم الحياة العسكرية على أسس جديدة تماما ، بطريقة تضمن تدريب جميع المواطنين على الحياة العسكرية . وقد استمرت هذه الجهود والتدابير التنظيمية والإصلاحية بدون انقطاع مدة سبع سنوات ، فخلقت في بروسيا روحا جديدة تماما . . حتى إذا بدأ نابليون يتراجع عن موسكو ، أقدمت بروسيا على التجنيد العام وكونت بفترة جيشا كبيرا قويا انضم إلى جيوش الحلفاء ، وانتصر على الفرنسيين في

معركة (ليبزيج) المشهورة ، فمحا بذلك العار الذى كان قد لحق بالجيش البروسى وبالأمة الالمانية فى موقعة (يينا) .

اختلاف المنتصرين .. بدد الآمال

وكانت الجهود التى بذلها رجال الفكر والسياسة والجيش فى بروسيا تستهدف غايتين أساسيتين : هما تخليص البلاد الالمانية من النير الفرنسى من جهة ، وتوحيدها سياسيا وعسكريا من جهة أخرى . فلما تكللت هذه الجهود باندحار الجيوش النابليونية ، تولد فى نفوس الوطنيين العاملين أمل قوى فى الوحدة الالمانية أيضا . **الا ان السياسة التى سارت عليها الدول المتفقة - بعد الانتصار على فرنسا - خيبت آمال هؤلاء . ذلك لأن سياسة الدول المذكورة قرروا تنظيم أوروبا من جديد على أساس ((إعادة الحقوق الشرعية الى الملوك)) ، وقد حال ذلك دون توحيد ألمانيا بطبيعة الحال . واستمرت كل دولة من الدول الالمانية الكثيرة تعمل مستقلة عن غيرها تمام الاستقلال . الا ان فكرة الوحدة الالمانية - رغم الدسائس - ظلت تتغلغل فى النفوس ، وتتحقق شيئا فشيئا ، ومرحلة بعد مرحلة ، متغلبة على جميع أنواع المشاكل والعوائق التى كانت تعترض سبيلها .**

وكانت أولى مراحل الوحدة بين الدول الالمانية هى توحيد الجمارك بينها ، وقد تكون « الاتحاد الجمركى » الذى عرف باسم « الزولفراين » بين الدول الالمانية .

الا أن الوطنيين لم يكتفوا بهذه الخطوة ، وإنما راحوا يدعون الى توحيد ألمانيا سياسيا ، وان كانوا قد اختلفوا فى وسيلة ذلك : فأراد بعضهم النظام الجمهورى ، وأراد البعض الآخر النظام الملكى . وهذا الفريق الأخير ، كان بعضه يريد الاتحاد بزعامة أسرة « هابسبورج » ، وهى العائلة المالكة

في الامبراطورية النمساوية . . بينما كان بعضه الآخر يريد الاتحاد بزعامة أسرة « هوهينزولرن » ، وهى العائلة المالكة في المملكة البروسية . حتى اذا قامت الثورات الشعبية في مختلف أنحاء أوروبا سنة ١٨٤٨ ، خرجت فكرة الوحدة من ساحة النظريات الى ميدان العمليات : فقد رأى الملوك والامراء ان الحكمة في مسابقة الرأى العام ، ووافقوا على دعوة مؤتمر شعبى عام في (فرانكفورت) لوضع دستور يسرى على البلاد الالمانية بأجمعها ، وذلك بغية تأسيس دولة المانية تجمع شمل الدول والدويلات القائمة على اراضى جرمانيا القديمة . وقد انتخب أعضاء هذا المؤتمر عن طريق التصويت العام الذى اشتركت فيه جميع الشعوب الالمانية . وقد اتفقت الآراء في المؤتمر على تكوين حكومة اتحادية فيدرالية على أن تكون « امبراطورية وراثية » ، وأن يقدم تاج « امبراطورية المانيا الجديدة » الى ملك المملكة البروسية .

حكومات أوروبا « تبتلع » وعودها !

ولكن خلال هذه الفترة كانت معظم الحكومات في أوروبا قد تغلبت على الحركات الثورية في بلادها ، فتراجعت شيئاً فشيئاً عما اتفقت عليه في المؤتمر ، بل ان ملك بروسيا نفسه رفض آخر الأمر أن يقبل تاج الامبراطورية من يد مجلس شعبى . ومن ثم انتهى الأمر بفشل مشروع الامبراطورية الالمانية !

وراحت مختلف الأوساط بعد ذلك تعتبر فكرة توحيد ألمانيا وهماً من الأوهام ، وحلماً من الأحلام . ولكن الوقائع التى حدثت فيما بعد ، برهنت - على العكس من ذلك - على ان هذه التكهينات كانت بعيدة عن الصواب ، لأن أيمنان

القائلين بالوحدة الالمانية لم يتزلزل من جراء فشل مؤتمر فرانكفورت ، بل ظلوا يؤمنون بها ويعملون من أجلها ، الى ان تكللت مساعيهم بالنجاح وتحققت الوحدة الالمانية بصورة فعلية ، بعد مرور عقدين من السنين على محاولة فرانكفورت الاليمة .

دور الادباء في تحقيق الوحدة

وقد كانت العوامل والأعمال التى ساعدت على تحقيق الوحدة الالمانية كثيرة ومتنوعة : وكان من أهمها **الأشعار والمقالات والدروس والخطب التى كانت تصدر بدون انقطاع من أقلام الشعراء والكتاب والأسانذة والخطباء .** كما أن الأعمال والتدابير الاقتصادية والسياسية والعسكرية لعبت دورا هاما فى هذا المضمرة . وكان لربط البلاد بالسكك الحديدية أثر عظيم كذلك .

وأما الأسباب التى كانت تحول دون تحقيق الوحدة على الرغم من انتشار الايمان بها والاعتقاد بضرورتها ، فيمكن أن تتلخص فى الأمرين التاليين :

أولا : أذانية الملوك والأمراء الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على السلطان الذى يتمتعون به .

ثانيا : دسائس بعض الدول الأجنبية ، ولا سيما الدولة الفرنسية ، لتقوية النزعات الإقليمية فى مختلف البلاد الالمانية ، بقصد الحيلولة دون قيام دولة المانية قوية على حدود فرنسا الشمالية .

ولقد أدرك رجال الفكر والسياسة فى مختلف البلاد الالمانية تمام الإدراك أن اتحاد بلادهم لا يمكن أن يتحقق الا بعد تذليل هذه العقبات الأساسية ، أخذوا يعملون فى سبيل ذاك عملا متصلا بحكمة وتمسك وثبات . وقد رأوا من الحكمة أن يختاروا « النظام الفدرالى » لتركها

للملوك والأمراء شيئاً من حقوقهم وسلطانهم ، فيضمنون بذلك عدم معارضتهم لمشروع الاتحاد معارضة قوية قد تصل الى درجة الاستماتة . كما رأوا من الضروري أن ينشئوا جيشاً قوياً ، ليضعوا بواسطته حداً للدسائس والمؤامرات . وكانت هذه الخطط العملية تتطلب جهوداً جبارة للغاية ، وما كانت هناك دولة تستطيع أن تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ هذه الخطط ، سوى المملكة البروسية . ولذلك أصبحت هذه الدولة قبلة آمال جميع القوميين الألمان ، فاحتشدت هناك جميع القوى المفكرة والفعالة من مختلف أنحاء البلاد الألمانية ، سيما بعد أن آلت الزعامة السياسية في بروسيا الى شخصية « بسمارك » القوية . فان هذا الرجل العبقري ، عند ما تولى رئاسة الحكومة البروسية ، كان قد ألم بكل ما يتصل بقضايا الوحدة الألمانية ، ومن ثم وضع خطته السياسية على ضوء اطلاعاته الواسعة . وصار ينتهز الفرص ، لتقريب وجهات النظر بين مختلف الدول الألمانية من جهة ، وللقضاء على تأثيرات الدسائس الأجنبية من جهة أخرى ، وعمل عملاً متواصلاً ، لرفع مكانة بروسيا بين الدول الألمانية ، تسهيلاً لاجتماع الكل تحت زعامتها السياسية والعسكرية . وقد أدت الجهود التي بذلها بسمارك الى اتفاق سبع وعشرين دولة من الدول الألمانية على تأليف دولة اتحادية تحت زعامة العائلة المالكة البروسية .

وفي هذه الاثناء حدثت الأزمة السياسية التي عرفت باسم أزمة العرش الأسباني ، والتي انتهت بأن أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا ، وهزمت فيها شر هزيمة ، اذ أسرت الجيوش البروسية نابليون الثالث امبراطور فرنسا وزحفت على باريس ، فاضطرت فرنسا الى التسليم بشروط بروسيا ، وكان لهذا النصر الذي أحرزته بروسيا أثراً عظيماً في بقية

الدول الألمانية التى كانت تعارض فى الاتحاد ، فلم يعد ثمة مانع يحول دون اعلان اتحاد جميع الدول الألمانية وتنصيب ملك بروسيا وتتويجه امبراطورا على ألمانيا الاتحادية . وقد تم ذلك فى قصر فرساي الشهير القائم فى ضواحي العاصمة الفرنسية فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ . وهكذا تحققت وحدة ألمانيا ونأست الامبراطورية الألمانية . بعد جهود دامت مدة طويلة تقرب من سبعين عاما . وقد كانت وحدة ألمانيا أكبر الانتصارات التى أحرزتها الفكرة القومية فى القرن التاسع عشر .

((وفى العدد القادم نوالى نشر بقية هذه المحاضرات الممتعة ، عن الفكرة القومية فى بلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والبنيا وتركيا . . والبلاد العربية

الشركة الأهلية للبطل طين
والأقمشة الصوفية ش.م.ع.

أول وأكبر مصنع فى الشرق الأوسط
غزل - نسيج - صباغة وتجبير

أفخر البطل طين
أكبر تسكيلة من الأصواف والأصواف

الإسكندرية: الصانع والمكاتب ٢٧٧ شارع قناة السويس ٧٠١١-٧٠١٢
القاهرة: مكتب: ٧١ شارع الأزهر ت ٤٨٥٨٧



يقدم لك في عدده القادم في أوائل أبريل
١ - مسرحية ((تنيسي وليامز)) المشهورة
ملخصة بقلم : الدكتور لويس عوض

عربة اسمها اللذة !

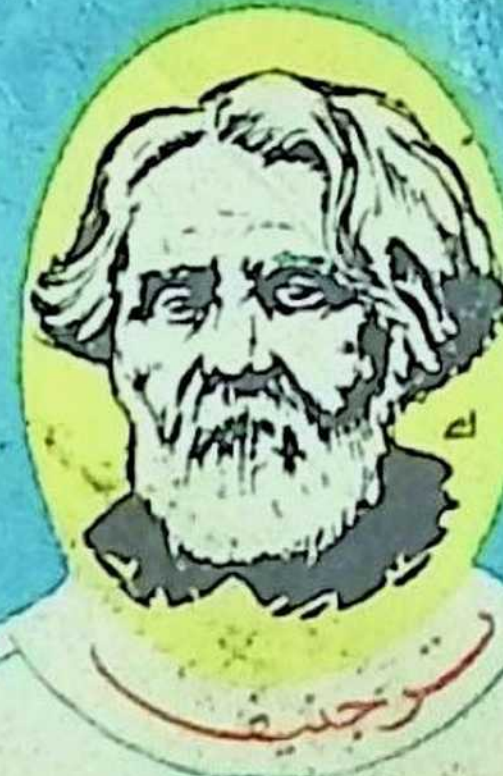
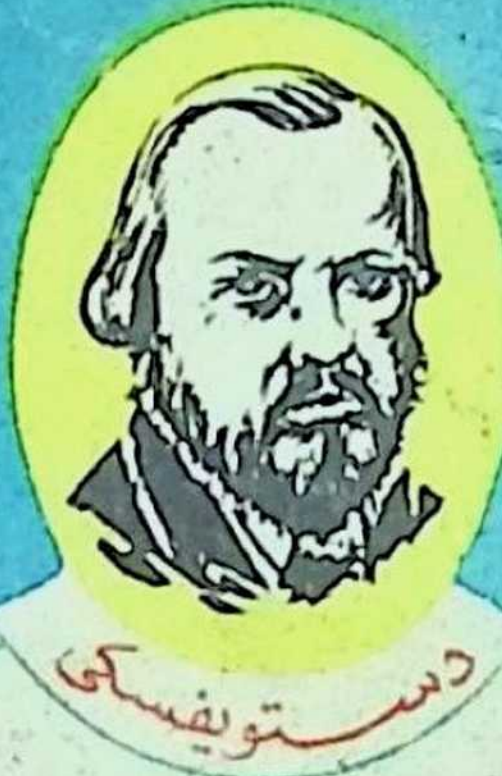
٢ - تلخيصا وافيا للكتاب الذي يقف فريدا في تاريخ
الفكر العربى ، ويعتبر من خيرة كتب الاعترافات التى
خطها المفكرون العالميون :

المنقذ من الضلال

حياة واعترافات الامام الغزالى

الكتاب الذى سبق به الامام العربى اعترافات
((روسو)) و ((اندريه جيد)) وغيرهما من كتاب
الاعترافات ، وبه يساهم (كتابى) فى الاحتفال بإحياء
ذكرى الامام الغزالى هذا الشهر .

+ كتب عالمية أخرى
أجيز نسختك من الآن



مَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ

مؤلف التحفة القادمة لمطبوعات كتابى؟

عزيزى القارئ..

منذ أصدرت من أجلك هذه السلسلة السقيفة لكتابى - سلسلة مطبوعات كتابى - وأنا أحرص على أن تتضمن مجموعتها مختارات متنوعة من أدب جميع البلاد، لأشهر المؤلفين، في جميع العصور كي تكون هذه السلسلة بمثابة دائرة معارف للأدب العالمى من جميع مصادره.

وجرياً على هذه الخطة، أقدم لك فى العدد القادم من "مطبوعات كتابى" - الذى يصدر بعد أيام - تحفة لأحد هؤلاء المؤلفين الذين ترى صورهم فى أعلى هذه الصفحة فمنهم؟ وما هو الكتاب الذى اخترته لك من مؤلفاتهم؟

هذه هى المفاجأة القادمة لسلسلتك المحبوبة



مطبوعات كتابى

الترجمة الكاملة الأمانة لشوامخ الكتب العالمية